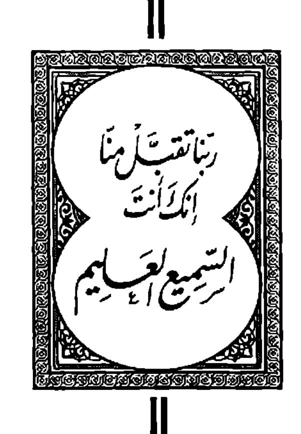

محمود المصري أبو عمار
مسك الختام
نحن نقص عليك أحسن القصص
روائع القصص في حسن الخاتمة
مكتبة الصفا
www.iqra.ahlamontada.com

بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/٢٠٠٨١

مكتبة الصفا




تليفاكس: ٢٢٩٩٩٥٦٦

١٢٧ ميدان الأزهر القاهرة ت: ٢٥١٤٧٣٢٠

١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت: ٢٥١٤٧٩٧٤/ ٠١٠١٤٣١١١٤

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

المصري ، محمود .

مسك الختام / محمود المصري . -

القاهرة : مكتبة الصفا ، ٢٠٠٨ .

٤١٦ ص ؛ ٢٤ سم

١- الوعظ والارشاد .

٢- الإسلام - تراجم .

أ- العنوان

٢١٣



الشيخ

محمود المصري

أبو عمار

مكتبة الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

فمازال فضل الله العظيم الكريم يتوالَى علينا بالتوفيق لإخراج ونشر الكتب الدينية المبينة لشرع ربنا تبارك وتعالَى، فقد مَنَّ علينا سبحانه بالتوفيق لإخراج عدة طبعات جديدة للمصحف الشريف، حرصنا فيها على غاية الإتقان فى جميع ما يتعلق بها.

كما وفقنا لإخراج كتب تفسير كتاب الله العزيز سواء كان كاملاً، أو مفرقًا على هيئة سورة تلو السورة، أو مجموعة سور، أو موضوع تلو الموضوع، كآيات الأحكام وغير ذلك من العلوم المتعلقة بالكتاب العزيز، كما وفقنا لإخراج كتب الحديث النبوى الشريف والتى عليها قوام هذا الدين وهى بيان وتفسير لكتاب الله العزيز، والتى قام بها الجهابذة الأولون من سلفنا الصالح علماء الحديث، الذين وفقهم الله - عز وجل - لتوصيل الدين وتبليغه كتابًا وسُنة، قولاً وفعلاً، نصًّا وفَهمًا وعملاً.

وقد أخرجنا بفضل الله عدة كتب، كموطإ الإمام مالك، وصحيح الإمام البخارى، ومسلم، وسير أعلام النبلاء، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى، وشرح صحيح مسلم، وغيرها من الكتب المتضمنة لحديث رسول الله ﷺ رواية ودراية وشرحًا وبيانًا.

وأيضًا وفقنا لإخراج كتب العلوم الشرعية التى تخدم الكتاب والسُّنة بشتى

الأشكال. والتى قام بها من تبع الأولين بإحسان لبيان مراد الله - عز وجل- فى كتــابه وسنة رسوله ﷺ، فى صــور شتى مــا بين المطول والمختــصر، رحمنا الله وإياهم وغفر لنا ولهم وأحسن إلينا وإليهم.

ويســرنا اليوم أن نقــدم هذا الكتــاب الذى بين يديك أخى القــارئ وهو كتاب «**مسك الختام**»، وهو إضافة جديدة لإصداراتنا والتى نرجو من الله - عز وجل- أن يتقبلها منا قبولاً حسنًا وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمــد لله رب العالمين وصلَّى الله وسلم على نبــينا محــمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتبة الصفا

جعلها الله مناراً لخدمة العلم والدين

إهداء واعتراف لأصحاب الفضل

وكما تعـودت دائمًا أن أقدم هذا الإهداء والاعتراف لأصـحاب الفضل؛ فـوالله أنا لا أسـتطيع أن أنسـاهم أبدًا؛ . . . وذلك من باب قـول الحبـيب ﷺ : «**من لم يشكر الناس؛ لم يشكر الله**»[١] .

وفى مقدمة هؤلاء الناس جميعًا أقدم هذا الإهداء.

*** إلى أمى الحبيبة - رحمة الله عليها -:**

وكيف أنساكِ يا أمى الحبيـبة، يا من ضحيت من أجلى بكل شىء كيف أنسى أيامك العـامرة بالعطـاء والتضـحيـة والرحمـة والحنان؟! والله أنا لا أستطيع أن أوفيك حـقك ولو كتبت ألف كتـاب؛ ولذلك أقول لك: جزاك الله عنى وعن الإسلام والمسلمين خـير الجزاء، فهو سبـحانه القادر على أن يجزل لك العطاء فى الدارين فأسأله سبحـانه أن يرحمك رحمة واسعة، وأن يجعل قـبرك روضة مـن رياض الجنة، وأن يجعل أعمـالى كلها فى مـيزان حسناتك، وأن يجمع بينى وبينك فى الجنة.

*** إلى أبى الحبيب - حفظه الله:**

أسـأل الله تعالى أن يُعـجِّل لك بالشـفاء وأن يبـارك فى عمـرك، وأن يرزقنى وإياك وسـائر المسلمـين حُـسن الخاتمة. . . فـجـزاك الله عنى وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء فلقد كنت ومازلت نعم الأب الرحيم.

*** إلى زوجتى الغالية / أم عمار:**

جعـل الله أيامك عامـرة بالعطاء لدينك. . عامـرة بالسـعادة. . عـامرة بالإخلاص. . وجعل الله آخرتك عامرة بالنعيم والرضوان.

---

(١) صحيح: رواه الترمـذى (١٩٥٥) كتاب البر والصلة، وأحـمد (١٠٨٨٧)، من حديث أبى سعـيد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥٤١).

*** إلى أبنائى الأعزاء (عمار، وهاجر، وسارة، وحبيبة حفظهم الله ورعاهم):**

أسأل الله جل وعلا أن يحفظكم وأن يبارك فيكم وأن يجعلكم من عباده المخلصين الطائعين، وأن يستخدمكم لنصرة دينه وأن يجعلكم فى ميزان حسناتى، وأن يجمعنى بكم فى جنته ومستقر رحمته.

*** إلى إخوانى الكبار الذين أحببتهم فى الله:**

* إلى دولة الرئيس محمد نجيب ميقاتى الذى يبذل وقته وماله لخدمة إخواننا المسلمين فى لبنان (حفظه الله).

* إلى الدكتور عبد الإله ميقاتى الذى يبذل وقته وجهده لخدمة الدعوة فى لبنان (حفظه الله).

* إلى سعادة المستشار إبراهيم محمد بوملحه رئيس اللجنة المنظمة لجائزة دبى الدولية للقرآن الكريم (حفظه الله).

* إلى الأستاذ الفاضل عارف عبد الكريم جلفار عضو اللجنة المنظمة لجائزة دبى الدولية للقرآن الكريم ورئيس وحدة البرامج للأنشطة (حفظه الله).

أقول لكم جميعًا: إن الإخوة الصادقة عُملة نادرة فى هذا الزمان، فما أجمل أن تلتقى القلوب المؤمنة على المحبة الصادقة فى الله -جل وعلا-.

فأسأل الله أن يجمعنى وإياكم مع المتحابين فى الله، فى ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله.

*** إلى كل أخٍ مسلم وإلى كل أختٍ مسلمة:**

والله ما نسيت الدعاء لكم فى صلاتى - وأنا ساجد بين يدى الله- فلا تنسونى من دعوة صالحة، بأن يغفر الله لى ذنوبى، وأن يرزقنى الإخلاص فى القول والعمل وأن يرزقنى حسن الخاتمة، وأن يجمعنى بكم فى جنته إخوانًا على سُرٍر متقابلين. فجزاكم الله عنى خير الجزاء فى الدنيا والآخرة.

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاته وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣).

* أما بعد.. فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار، وبعد:

فإنه ما من عبدٍ مؤمن إلا وهو يتمنى السعادة فى الدنيا والآخرة ومع ذلك فلقد انقسم الناس إلى فريقين:

فمنهم من اعتمد على سعة رحمة الله وعفوه ومغفرته فاسترسل فى الذنوب والمعاصى فخسر دنياه وآخرته.

ومنهم من علم أنه لابد أن يأخذ بالأسباب وأن يغتنم كل لحظة فى طاعة الله (جل وعلا) لأن سلعة الله غالية.. ولأن النبى ﷺ قال: «من خاف

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»[(١)] ففاز بخيرى الدنيا والآخرة.

* ومن أجل ذلك أمرنا الحق (جل وعلا) بالثبات على الإيمان والتقوى لنفوز بحسن الخاتمة فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[(٣)].

وقد وصف الله سبحانه عباده المؤمنينَ بأنهم جَمَعُوا بين شدَّة الخوف من الله مع الإحسان فى العمل فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُوْلَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[(٤)].

وقد كان السلف الصالح يخافون من سوء الخاتمة خوفًا شديدًا.

قال سهل التسترى: خوف الصِّديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة، وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال: ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[(٥)].

وكان على بن أبى طالب يشتد خوفه من اثنتين: «طول الأمل، واتباع الهوى» قال: فأما طول الأمل: فيُنسى الآخرة، وأما اتباع الهوى: فيصد عن الحق. وكان يقول: «ألا إنَّ الدُّنيا قد ولَّت مدبرة، والآخرة قد أسرعت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل؟؟

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٥٠) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، والحاكم فى المستدرك (٧٨٥١)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٢٢).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٣) سورة الحجر: الآية: (٩٩).

(٤) سورة المؤمنون: الآيات: (٥٧ - ٦١).

(٥) سورة المؤمنون: الآية: (٦٠).

* ومن باب قول النبى ﷺ : «بشِّروا ولا تُنفروا» جمعت مادة هذا الكتاب والذى هو بعنوان «مسك الختام» وهو نفس عنوان البرنامج الذى قدمته فى شهر رمضان ١٤٢٩هـ على قناة الرسالة وذلك لأُلقى الضوء على أسعد لحظة فى حياة كل مسلم ومسلمة. . وهى تلك اللحظة التى يفوز فيها بُحسن الخاتمة وذلك من أجل أن تعلو الهمم للطاعة ولنشتاق جميعًا للقاء الله (جل وعلا) فـ ﷺ «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه».

* ولقد جمعت الكثير من القصص عن حسن الخاتمة لنتذكر جميعًا وعد الله (عز وجل) حينما قال: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾[1] فيكون ذلك حاديًا لنا لنعمل ونستعد لتلك اللحظة الحاسمة فى حياة كل عبدٍ مسلم.

* فأسأل الله (جل وعلا) أن يرزقنا جميعًا حسن الخاتمة وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم أن نلقاه وأن يجعلنا مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. . . إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

---

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٢٧).

علامات حُسن الخاتمة

قال الشيخ الألباني في «أحكام الجنائز»[١]: «إن الشارع الحكيم قد جعل علامات بيِّنات يُستدل بها على حُسن الخاتمة، كتبها الله تعالى لنا بفضله ومنِّه، فأيما امرئ مات بإحداها كانت بشارة له، ويا لها من بشارة.

● الأولى: نطقه بالشهادة عند الموت:

قال ﷺ: **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»**[٢].

* **وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال:** «رأى عمر طلحة بن عبيد الله ثقيلاً فقال: مالك يا أبا فلان؟ لعلك ساءتك امرأة عمك يا أبا فلان؟ قال: لا (وأثنى على أبي بكر) إلا أني سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا ما منعني أن أسأله عنه إلا القدرة عليه حتى مات... سمعته يقول: «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبدٌ عند موته إلا أشرق لها لونه، ونفَّس الله عنه كربته، فقال عمر: إني لأعلم ما هي: قال: وما هي؟ قال: تعلم كلمة أعظم من كلمة أمر بها عمه عند الموت: لا إله إلا الله؟ قال طلحة: صدقت، هي والله هي[٣].

● الثانية: الموت برشح الجبين:

لحديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه: أنه كان بخراسان فعاد أخًا له وهو مريض فوجده بالموت، وإذا هو يعرق جبينه فقال: الله أكبر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«موت المؤمن بعرق الجبين..»**[٤].

---

(١) سنذكر كلام الشيخ مختصراً وسنزيد عليه بإذن الله.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣١١٦) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٤٧٩).

(٣) رواه أحمد (١٣٨٧)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح.

(٤) صحيح: رواه النسائي (١٨٢٨) كتاب الجنائز، وابن ماجه (١٤٥٢) كتاب الجنائز، وأحمد (٢٢٥١٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه.

• الثالثة: الموت ليلة الجمعة أو نهارها:

لقوله ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة - أو ليلة الجمعة- إلا وقاه الله فتنة القبر...»(١).

• الرابعة: الاستشهاد فى ساحة القتال:

قال تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

وقال ﷺ: «للشهيد عند الله سبعُ خصال: يُغفرُ له فى أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويُحلَّى حُلة الإيمان، ويُزوَّجُ اثنتين وسبعين زوجةً من الحور العين، ويُجارُ من عذاب القبر، ويأمنُ من الفزع الأكبر، ويُوضعُ على رأسه تاجُ الوقار، الياقوتة منهُ خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويشفعُ فى سبعين إنسانًا من أهلِ بيته»(٣).

* وعن رجلٍ من أصحاب النبى ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله! ما بال المؤمنين يُفتنون فى قبورهم إلا الشهيد؟ قال: «كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة»(٤).

* قال الشيخ الألبانى (رحمه الله):

(تنبيه): تُرجى هذه الشهادة لمن سألها مخلصًا من قلبه ولو لم يتيسر له الاستشهاد فى المعركة، بدليل قوله ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»(٥).

---

(١) حسن: رواه الترمذى (١٠٧٤) كتاب الجنائز، وأحمد (٦٥٤٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٧٣).

(٢) سورة آل عمران: الآيات: (١٦٩- ١٧١).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (١٦٦٣) كتاب فضائل الجهاد، وابن ماجه (٢٧٩٩) كتاب الجهاد، وأحمد (١٦٧٣٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١٨٢).

(٤) صحيح: رواه النسائى (٢٠٥٣) كتاب الجنائز، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤٨٣).

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٩)، كتاب الإمارة.

• الخامسة والسادسة والسابعة: من صُرع عن دابته فى سبيل الله ومن وقصه بعيره ومن لدغته هامة وهو فى سبيل الله:

*** عن عقبة بن عامر** ﷺ **قال:** قال رسول الله ﷺ : **«مَن صُرِع عن دابته فهو شهيد»**(١).

*** عن أبى مالك الأشعرى** ﷺ **قال:** قال رسول الله ﷺ : **«من فصل فى سبيل الله فمات، أو قُتل، أو وَقَصَتْه فرسُه أو بعيرُه، أو لدغته هامةٌ، أو مات على فراشه، بأىّ حتف شاء الله، فإنه شهيد، وإن له الجنة»**(٢).

*** قال المناوى فى «فيض القدير» (٦/ ١٦٣):**

و«من صُرع عن دابته» فى سبيل الله فمات «فهو شهيد» أى: من شهداء المعركة إن كان سقوطه بسبب القتال، وعلى ذلك ترجم البخارى (باب فضل من صُرع فى سبيل الله فمات فهو منهم)، أى: من المجاهدين، فلمّا كان الحديث ليس على شرطه، أشار إليه بالترجمة، وفى الباب ما رواه أبو داود، والحاكم، والطبرانى عن أبى مالك الأشعرى مرفوعًا. «والصرع»، كما فى القاموس وغيره: الطَّرْح على الأرض، وعلةٌ معروفة، والمراد: بالحديث السقوط عن الدابة حال قتال الكفار بسبب أى وجه كان؛ إما بطرح الدابة له، أو بعروض تلك العلَّة فى تلك الحالة عروضًا ناشئًا عن القتال، كأن أورثه شدة الانفعال».

• الثامنة: من سأل الله الشهادة بصدقٍ ومات على ذلك:

قال ﷺ : **«من سأل الله الشهادة بصدق، بلَّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»**(٣).

*** وقال رسول الله** ﷺ : **«مَنْ سأل الله القتل فى سبيل الله، صادقًا من**

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى «الكبير» (١٧/ ٣٢٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٣٦).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٢٤٩٩) والحاكم فى المستدرك (٢/ ٣٤٥)، وحسنه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤١٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٩) كتاب الإمارة.

قلبه، أعطاه الله أجر شهيد، وإن مات على فراشه»[١] .

• التاسعة والعاشرة: المائد فى البحر والغريق:

المائد: هو الذى يموت بسبب دوار البحر فله أجر شهيد.

* **عن أم حرام** رضي الله عنها **قالت:** قال رسول الله ﷺ : «**للمائد أجرُ شهيد، وللغريقِ أجرُ شهيدين**»[٢] .

* **وعن أم حرام** رضي الله عنها **قالت:** قال رسول الله ﷺ : «**المائدُ فى البحر الذى يُصيبه القيءُ له أجرُ شهيد، والغريق له أجر شهيدين**»[٣] .

• الحادية عشر: من افترسه السبع:

* عن ابن قانع، عن ربيع الأنصارى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**الطّعن والطاعون والهدم، وأكل السبع، والغرق، والحرق، والبطن، وذات الجنب، شهادةٌ**»[٤] .

• الثانية عشر: الشريق:

قال ابن الأثير فى «النهاية»: هو الذى يشرق بالماء فيموت.

قال ابن حجر فى «الفتح» (٦/ ٥٢): «وللطبرانى من حديث ابن عباس مرفوعًا: «**المرء يموت على فراشه فى سبيل الله شهيد**». وقال ذلك أيضًا فى المبطون واللديغ والغريق والشريق والذى يفترسه السبع، والخارّ عن دابته، وصاحب الهدم، وذات الجنب».

• الثالثة عشر: القابض على دينه فى وقت الفتن:

* **عن ابن مسعود** رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : «**إن من ورائكم زمانَ**

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذى (١٦٥٤) كتاب فضائل الجهاد، وأحمد (٢١٦٠٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٧٧).

(٢) **صحيح**: رواه الطبرانى فى الكبير (٢٥/ ١٣٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١٨٧).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٤٩٣) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٦٤٢).

(٤) **صحيح لغيره**: رواه الطبرانى فى الكبير (٥/ ٦٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (١٣٩٥).

صبر، للمتمسك فيه أجرُ خمسين شهيداً منكم»(١).

* وعن عتبة بن غزوان، أن رسول الله ﷺ قال: «إن من ورائكم أيامَ الصبر، للمتمسك فيهنَّ يومئذ بما أنتم عليه، أجرُ خمسين منكم». قالوا: يا نبى الله! أو منهم؟ قال: «بل منكُم»(٢).

• الرابعة عشر: من تردَّى من رؤوس الجبال:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن من يتردَّى من رؤوس الجبال وتأكله السباع ويغرق فى البحار لشهيدٌ عند الله»(٣).

* **قلت**: وذلك لمن مات على التوحيد، أما من مات على الشرك فلا يكون شهيدًا ولا يرزقه الله نعمة الشهادة.

• الخامسة عشر: المرابط فى سبيل الله:

* لقوله ﷺ: «**لرباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله، وأُجرى عليه رزقه، وأمِن الفتان**»(٤).

* ولقوله ﷺ: «**كل ميت يُختم على عمله إلا الذى مات مرابطًا فى سبيل الله فإنه يُنمَّى له عمله إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر**»(٥).

• السادسة عشر: من قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله:

قال رسول الله ﷺ: «**سيِّدُ الشهداء: حمزة بن عبد المطلب، ورجلٌ قام**

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (١٠/ ١٨٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٣٤).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى (١٧/ ١١٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله بشواهده فى السلسلة الصحيحة (٤٩٤).

(٣) إسناده صحيح: أخرجه عبد الرزاق فى «المصنف»، كتاب الجهاد، باب فى الشهادة (٥/ ٢٦٩)، موقوفًا بإسناد صحيح، والطبرانى فى الكبير (٩/ ٣٤٥).
قال الحافظ فى «الفتح» (٦/ ٥٢): إسناده صحيح، وأخرجه سعيد بن منصور فى «سننه».

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٩١٣) كتاب الإمارة.

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٢٥٠٠) كتاب الجهاد، والترمذى (١٦٢١) كتاب فضائل الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٥٦٢).

إلى إمامٍ جائر، فأمره ونهاه. فقتله»[١].

- **السابعة عشر: الموت على عمل صالح:**

قال ﷺ: «من خُتم له بصيام يومٍ دخل الجنة»[٢].

وقال ﷺ: «... ومن تصدق بصدقةٍ ابتغاء وجه الله خُتم له بها دخل الجنة»[٣].

وقال ﷺ: «إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا استعمله»، قيل: كيف يستعمله؟ قال: «يوفقه لعمل صالح قبل الموت، ثم يقبضه عليه»[٤].

- **الثامنة عشر: الموت بالطاعون:**

قال ﷺ: «الطاعون شهادة لكل مسلم»[٥].

* وعن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون؟ فأخبرها نبى الله ﷺ: «أنه كان عذابًا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبدٍ يقع الطاعون فيمكث فى بلده صابراً يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد»[٦].

- **التاسعة عشر: الموت بالهدم:**

قال ﷺ: «الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد فى سبيل الله»[٧].

---

(١) حسن: رواه الحاكم فى المستدرك (٤/ ٣١٢)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٦٧٥).

(٢) صحيح: رواه البزار (٤/ ٣٤٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٢٤).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٢٨١٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٩٨٥).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢١٤٢) كتاب القدر، وأحمد (١١٨٠٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٥).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٣٠) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٩١٦) كتاب الإمارة.

(٦) صحيح: رواه البخارى (٥٧٣٤، ٦٦١٩) كتاب الطب، كتاب القدر.

(٧) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤) كتاب الأذان، ومسلم (١٩١٤) كتاب الإمارة.

● **العشرون: الموت بداء البطن:**

* لقول رسول الله ﷺ: «... **ومن مات فى البطن فهو شهيد**»(١).

* **وعن عبد الله بن يسار قال:** كنت جالسًا وسليمان بن صرد وخالد بن عرفطة، فذكروا أن رجلاً توفى، مات ببطنه، فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء جنازته فقال أحدهما للآخر: ألم يقل رسول الله ﷺ: «**من يقتله بطنه فلن يُعذَّب فى قبره**»(٢).

فقال الآخر: بلى، وفى رواية: «صدقت».

● **الحادية والعشرون: المرأة تموت فى نفاسها بسبب ولدها:**

* عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ عاد عبد الله بن رواحة قال: فما تحوَّز له عن فراشه فقال: «**أتدرى مَن شهداء أُمَّتى؟**»، قالوا: قتل المسلم شهادة قال: «**إن شهداء أمتى إذًا لقليل! قتل المسلم شهادة، والطاعون شهادة، والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة (يجرها ولدها بسرره إلى الجنة)**»(٣).

● **الثانية والعشرون والثالثة والعشرون: الموت بالحرق وذات الجنب:**

قال ﷺ: «**الشهداء سبعة سوى القتل فى سبيل الله: المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد،**

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩١٥) كتاب «الإمارة».

(٢) إسناده صحيح: رواه الترمذى (١٠٦٤) كتاب الجنائز، والنسائى (٢٠٥٢) كتاب الجنائز، وأحمد (١٧٨٤٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن يسار - وهو الجهنى - فقد روى له أبو داود والنسائى وهو ثقة.

(٣) إسناده صحيح: رواه أحمد (١٧٣٤١)، والدارمى (٢٤١٤)، وصحح إسناده العلامة الألبانى رحمه الله فى أحكام الجنائز.

والذى يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع [١] شهيدة» [٢].

• الرابعة والعشرون والخامسة والعشرون والسادسة والعشرون: الموت فى سبيل الدفاع عن الدين والنفس والأهل:

لقوله ﷺ: «من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد» [٣].

* وقال رسول الله ﷺ: «من قُتل دون مظلمته فهو شهيد» [٤].

• السابعة والعشرون: الموت فى سبيل الدفاع عن المال المراد غصبه:

قال ﷺ: «من قُتل دون ماله» [٥]، وفى رواية: «من أريد ماله بغير حق فقاتل فقُتل فهو شهيد» [٦].

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أرأيت إن جاء رجلٌ يريد أخذ مالى؟ قال: «فلا تعطه مالك». قال: أرأيت إن قاتلنى؟ قال: «قاتله»، قال: أرأيت إن قتلنى، قال: «فأنت شهيد»، قال: أرأيت إن قتلته؟، قال: «هو فى النار» [٧].

---

(١) هو ورم حار يعرض فى الغشاء المستبطن للأضلاع: «أى تموت وفى بطنها ولد، وقيل التى تموت بكرًا، والجمع بالضم بمعنى المجموع، كذخر بمعنى المذخور، وكسر الكسائى الجيم، والمعنى أنها ماتت مع شىء مجموع فيها غير منفصل عنها من حمل أو بكارة». قلت: والمراد هنا الحمل قطعًا بدليل الحديث المتقدم بلفظ «**يقتلها ولدها جمعاء**».

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٣١١١) كتاب الجنائز، والنسائى (١٨٤٦) كتاب الجنائز، وأحمد (٢٣٢٤١)، ومالك (٥٥٢) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٧٣٩).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذى (١٤٢١) كتاب الديات، والنسائى (٤٠٩٥) كتاب تحريم الدم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٤٥).

(٤) **صحيح**: رواه النسائى (٤٠٩٣) كتاب تحريم الدم، وأحمد (٢٧٧٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٤٧).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٤٨٠) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٤١) كتاب الإيمان.

(٦) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٧٧١) كتاب السنة، والترمذى (١٤٢٠) كتاب الديات، والنسائى (٤٠٨٨) كتاب تحريم الدم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٠١١).

(٧) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٠) كتاب الإيمان.

* وعن مخارق رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: الرجل يأتينى فيريد مالى؟ قال: «ذكِّرهُ بالله»، قال: فإن لم يذكر؟ قال: «فاستعن عليه من حولك من المسلمين». قال: فإن لم يكن حولى أحد من المسلمين؟ قال: «فاستعن عليه السلطان». قال: فإن نأى السلطان عنى (وعجل علىَّ؟) قال: «قاتل دون مالك حتى تكون من شهداء الآخرة، أو تمنع مالك»(١) ـ أى: تحمى مالك ـ.

• الثامنة والعشرون: الموت غازيًا فى سبيل الله:

لقوله ﷺ: «ما تعدون الشهيد فيكم؟»، قالوا: يا رسول الله! من قُتل فى سبيل الله فهو شهيد. قال: «إن شهداء أمتى إذًا قليلٌ»، قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: «من قُتل فى سبيل الله فهو شهيدٌ، ومن مات فى سبيل الله فهو شهيد، ومن مات فى الطاعون فهو شهيد، والغريق شهيد..»(٢).

• التاسعة والعشرون: الموت بداء السل:

قال ﷺ: «القتل فى سبيل الله شهادة، والنفساء شهادة، والحرق شهادة، والغرق شهادة، والسُّل شهادة، والبطن شهادة»(٣).

• الثلاثون: الموت بالمدينة المنورة:

* عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإنى أشفع لمن يموت بها»(٤).

* فاللهم ارزقنا شهادةً فى سبيلك، وأن نُدفن فى بلد حبيبك ﷺ.

---

(١) إسناده صحيح: رواه النسائى (٤٠٨١) كتاب تحريم الدم، وأحمد (٢٢٠٠٨)، وقال العلامة الألبانى رحمه الله فى أحكام الجنائز: سنده صحيح على شرط مسلم.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩١٥) كتاب الإمارة.

(٣) قال الهيثمى فى المجمع (٢/ ٣١٧) رواه الطبرانى فى الكبير، وفيه مندل بن على، وفيه كلام كثير، وقد وُثق، وقال الألبانى: ويشهد له حديث راشد بن حبيش.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٣٩١٧) كتاب المناقب، وأحمد (٥٤١٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٠١٥).

أسباب حسن الخاتمة

(١) إقامة التوحيد لله (جل وعلا):

إن أمر العقيدة ليس أمرًا ثانويًّا حتى نؤجله أو نؤخره، بل هو الأساس الذى يقوم عليه الدين كله. . . فالإسلام عقيدة تنبثق منها شريعة وتلك الشريعة تنظم شئون الحياة ولا يقبل الله من قومٍ شريعتهم حتى تصحُ عقيدتهم.

قال ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدُ الله ورسولُه وكلمتُهُ ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، والجنة حقٌ والنارَ حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»(١).

وفى حديث عتبان بن مالك «**فإن الله حرَّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله**»(٢).

وقوله: «**أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**» قال الحافظ: معنى قوله: «**على ما كان من العمل**» أى من صلاح أو فساد؛ لأن أهل التوحيد لابد لهم من دخول الجنة على حسب أعمال كل منهم فى الدرجات.

* **قال** ﷺ: «**المسلم إذا سُئل فى القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾(٣)**»(٤).

فيا عبد الله! أقم التوحيد لله فى قلبك فإنك سوف تجنى ثمراته فى

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٣٥) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٢٥) كتاب الصلاة، ومسلم (٣٣) المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٢٧).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٦٩٩) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٧١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

حياتك وعند موتك وفى قبرك ويوم حشرك وسيقودك التوحيد لله جل وعلا إلى جنات النعيم وإلى رضوان الله (سبحانه وتعالى).

(٢) التقوى:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١). وقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾(٢).

فالتقوى من أعظم الأسباب التى تقود المؤمن إلى حُسن الخاتمة.

فهى سبب لتكفير السيئات ومغفرة الذنوب.. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(٣).

وهى سبب لقبول الأعمال.. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(٤).

وهى سبب للخروج من كل ضيق كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾(٥)، ولا شك أن العبد عند السكرات يكون فى ضيق وشدة فتكون التقوى سببًا لنجاته.

والتقوى سبب لتيسير السكرات على العبد المؤمن.. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾(٦).

والتقوى سبب للنجاة من المهالك.. قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾(٧).

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).
(٢) سورة البقرة: الآية: (١٩٧).
(٣) سورة الأنفال: الآية: (٢٩).
(٤) سورة المائدة: الآية: (٢٧).
(٥) سورة الطلاق: الآيتان: (٢، ٣).
(٦) سورة الطلاق: الآية: (٤).
(٧) سورة مريم: الآيتان: (٧١، ٧٢).

وهى سبب لدخول الجنة.. قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾[١].

يقول الحافظ ابن رجب الحنبلى فى جامع العلوم والحكم[٢]: (وأصل التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين من يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه). اهـ.

وقال طلق بن حبيب: إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى، قالوا: وما التقوى؟ قال: «أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله»[٣].

* **وجاء سائل لأبى هريرة ﷺ يسأله عن التقوى فقال أبو هريرة**: «هل أخذت طريقًا ذا شوك؟ قال السائل: نعم، قال أبو هريرة: فكيف صنعت؟ قال السائل: إذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه.

قال أبو هريرة: ذاك التقوى.

فأخذ ابن المعتز هذا المعنى الكبير وترجمه فى هذه الأبيات المعبرة فقال:

خلِّ الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التُّقى

واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

* وحدُّ التقوى الذى حده عبد الله بن مسعود ﷺ فى قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ قال: «أن يُطاع الله ـ سبحانه وتعالى ـ فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر»[٤].

---

(١) سورة مريم: الآية: (٦٣).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/٣٩٨) ط. دار الرسالة.

(٣) «الزهد» لابن المبارك (ص: ٤٧٣).

(٤) رواه الحاكم فى المستدرك موقوفًا.

(٣) الاستقامة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢].

* وفي صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً، لا أسأل عنه أحدًا غيرك. قال: «**قل: آمنتُ بالله ثم استقم**»[٣].

فالاستقامة كلمةٌ جامعة، آخذةٌ بمجامع الدّين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد.

ولقد سُئل صدِّيق الأُمة وأعظمها استقامة - أبو بكر الصديق ﷺ - عن الاستقامة، فقال: أن لا تشرك بالله شيئًا. فأراد بها الاستقامة على مَحْضِ التوحيد.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعالب.

وقال ابن تيمية (رحمه الله): أعظم الكرامة لزوم الاستقامة.

وقال بعض العارفين: كن صاحب الاستقامة، لا طالب الكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربُّك يطالبك بالاستقامة.

فالاستقامة تتعلَّق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات. فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله.

---

(١) سورة فصلت: الآيات: (٣٠ - ٣٢).

(٢) سورة الأحقاف: الآية: (١٣، ١٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٣٨) كتاب الإيمان.

* **قال أبو إسحاق السبيعى:** «لما احتُضر أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، قال: لا تبكوا علىَّ، فإنى لم أتنطَّف بخطيئة منذ أسلمت».

لله دره، ثنتا عشرة سنة لم يفعل خطيئة، وحياتُه كلُّها طاعة.

«كان يصلِّى فى الصيف نصف النهار حتى تُكره الصلاة، ثم يصلِّى من الظهر إلى العصر».

• وهيب بن الورد (رحمه الله):

كان سفيان الثورىّ إذا حدّث الناس فى المسجد الحرام وفرغ من الحديث، قال: قوموا إلى الطبيب؛ يعنى: وهيبًا [١].

قال وهيب رحمه الله: إن استطعتَ أن لا يشغلك عن الله تعالى أحدٌ، فافعل.

وعن **محمد بن يزيد قال:** حَلَف وهيب أن لا يراه الله ولا أحدٌ من خلقه ضاحكًا، حتى يأتيه الرسل من قِبَل الله عند الموت فيخبرونه بمنزله عند الله. قال: وكانوا يرون له الرؤيا أنه من أهل الجنة، فإذا أُخبر بها اشتدَّ بكاؤه، وقال: قد حسبتُ أن يكون هذا من الشيطان.

عن عبد الله بن المبارك قال: قيل لوهيب بن الورد: أيجدُ طعم العبادة من يعصى الله؟ قال: لا، ولا مَن همَّ بمعصية.

وقال رحمه الله: لا يكون همُّ أحدكم فى كثرة العمل، ولكن ليكن همُّه فى إحكامه وتحسينه؛ فإن العبد قد يصلِّى وهو يعصى الله فى صلاته، وقد يصوم وهو يعصى الله فى صيامه.

• أبو الطيب الطبرى (رحمه الله):

اشتهر اسمه، فملأ الأقطار. وشاع ذكره، فكان أكثر حديث السُّمَّار. وطاب ثناؤه، فكان أحسن من مِسْك الليل وكافور النهار.

---

(١) الحلية (٨/ ١٤٠).

«قال القاضى أبو بكر الشامى: قلت للقاضى أبى الطيب شيخنا ـ وقد عُمِّر ـ: لقد مُتِّعْتَ بجوارحك. فقال: لِمَ لا، والله ما عصيتُ الله بواحدة منها قط»(١).

* وقال ابن دقيق العيد (رحمه الله): ما تكلمت بكلمة ولا فعلت فعلاً منذ أربعين سنة إلا وأعددت له جوابًا بين يدى الله (عز وجل).

* وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): إنى إلى الآن أُجدِّد إسلامى كل وقت.

ـ وهكذا تكون الاستقامة على الطاعة.. فأهل الاستقامة هم الذين تتنزل عليهم الملائكة عند الموت لتبشرهم بجنة الرحمن التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

(٤) الإكثار من ذكر الموت:

فالإكثار من ذكر الموت يردع عن المعاصى ويُليِّن القلب القاسى. ومن أكثر من ذكر الموت أُكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل فى العبادة.

ومما يؤثر فى النفس من مشاهد الموت رؤية المحتضرين فإن فى النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها ويمنع الأجفان من النوم والأبدان من الراحة ويبعث على العمل ويزيد فى الاجتهاد.

دخل الحسن البصرى على مريض يعوده فوجده فى سكرات الموت فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به فرجع إلى أهله بغير اللون الذى خرج به من عندهم فقالوا له: الطعام يرحمك الله فقال: يا أهلاه عليكم بطعامكم

---

(١) طبقات السبكى (٥/١٥).

وشرابكم فوالله لقد رأيت مصرعًا لا أزال أعمل له حتى ألقاه.

* **عن أبى هريرة ﷺ قال:** قال رسول الله ﷺ: **«أكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت»**(١).

وعن ابن عمر ﷺ: أن النبى ﷺ سُئل: أى المؤمنين أكيس، قال: **«أكثرهم للموت ذكرًا وأشدهم استعدادًا له أولئك هم الأكياس»**(٢).

وقال الحسن البصرى: فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذى لُبٍّ فيها فرحًا، وما ألزم عبد قلبه الموت إلا صغرت الدنيا عليه، وهان عليه جميع ما فيها.

وكان ابن عمر ﷺ إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير، وكان يجمع كل ليلة الفقهاء، فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون، حتى كأن بين أيديهم جنازة.

قال ابن مسعود ﷺ: السعيد من وُعظ بغيره، وقال أبو الدرداء ﷺ: إذا ذُكر الموتى، فعد نفسك كأحدهم.

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى فقال: **«كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»** وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك(٣).

* **أخى الحبيب:** إن المؤمن يذكر الموت دائمًا؛ لأنه موعد لقاء الحبيب وهو لا ينسى موعد لقاء حبيبه (جل وعلا)، ولذا تراه يشتاق إلى الموت ليخرج من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين.. ولذا قال معاذ بن جبل ﷺ عند موته: حبيبٌ جاء على فاقة.

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٠٧) كتاب الزهد والنسائى (١٨٢٤) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢١٠).

(٢) حسن: رواه ابن ماجه (٤٢٥٩) والحاكم (٧/ ١٣٥)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٣٨٤) بمجموع طرقه.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٦) كتاب الرقاق.

فذكر الموت يجعل العبد دائمًا فى طاعة الله، ومن ثَم يقوده إلى حُسن الخاتمة.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (فإذا صحت فكرته أوجبت له البصيرة فهى نور فى القلب يبصر به الوعد والوعيد والجنة والنار وما أعد الله فى هذه لأوليائه وفى هذه لأعدائه فأبصر الناس وقد خرجوا من قبورهم مهطعين لدعوة الحق وقد نزلت ملائكة السماوات فأحاطت بهم وقد جاء الله وقد نُصب كرسيه لفصل القضاء وقد أشرقت الأرض بنوره ووُضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء، وقد نُصب الميزان وتطايرت الصحف واجتمعت الخصوم وتعلق كل غريم بغريمه ولاح الحوض وأكوابه عن كثب وكثر العطاش وقَلَّ الوارد ونُصب الجسر للعبور ولُزَّ الناس إليه وقُسمت الأنوار دون الظلمة للعبور عليه والنار يحطم بعضها بعضًا تحته والمتساقطون فيها أضعاف الناجين فينفتح فى قلبه عين يرى بها ذلك ويقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة يُريه الآخرة ودوامها والدنيا وسرعة انقضائها).

(٥) الصدق:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[١].

قال ﷺ: «وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدّيقًا»[٢]، وتالله إن تلك المنزلة لا يوفَق إليها إلا من أراد الله به خيرًا فى دينه ودنياه، وإلا لمن علم الله أنه سيموت على الإيمان والصدق.

وهذا مثل **قول النبى ﷺ فى أهل بدر: «لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»**[٣]. وبالفعل فقد ماتوا جميعًا على التوحيد.

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١١٩).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٤٨٩٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٤٩٤) كتاب فضائل الصحابة.

* عن شداد بن الهاد رضي الله عنه أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبى ﷺ فآمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبى ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبى ﷺ سبيًا فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قسْمٌ قسمه لك النبى ﷺ فأخذه فجاء به إلى النبى ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: «**قسمته لك**» قال: ما على هذا تبعتك، ولكن اتبعتك على أن أُرمى ها هنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهم فأدخل الجنة، فقال: «**إن تصدق الله يصدقك**».

فلبثوا قليلاً ثم نهضوا فى قتال العدو، فأُتى به النبى ﷺ يُحمل قد أصابه السهم حيث أشار. فقال النبى ﷺ : «**أهو هو**»، قالوا: نعم. قال: «**صدق الله فصدقه**».

ثم كفَّنه النبى ﷺ فى جُبة النبى ﷺ ثم قدَّمه فصلى عليه فكان فيما ظهر من صلاته: «**اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا فقُتل شهيدًا، أنا شهيد على ذلك**»[(١)].

* يقول «أنس بن مالك» غاب عمى «أنس بن النضر» عن قتال يوم بدر. فقال غبت عن أول قتال مع رسول الله ﷺ لئن أشهدنى الله قتالاً ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أُحد انكشف المسلمون ـ انهزموا ـ فقال: اللهم إنى أبرأ إليك مما فعل هؤلاء ـ يعنى: المشركين ـ وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعنى: المسلمين ـ ثم مشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ فقال: أى سعد، والله إنى لأجد ريح الجنة دون أحد! ثم قاتل حتى قُتل، فقال سعد: يا رسول الله ﷺ ما استطعت أن أصنع ما صنع. قال أنس بن مالك: فوجدناه بين القتلى وبه بضع وثمانون جراحة بين ضربة بسيف أو طعنة

---

(١) صحيح: رواه النسائى (١٩٥٣) والحاكم (٥/ ٣٥٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (١٣٣٦).

برمح أو رمية بسهم، فما عرفناه حتى جاءت أخته فعرفته ببنانه ـ رؤوس الأصابع ـ قال أنس فكنا نتحدث أن هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً....﴾ نزلت فيه وفي أصحابه[(١)].

وفي رواية أنه لما شاع خبر مقتل النبي ﷺ انهارت الروح المعنوية أو كادت تنهار في نفوس كثير من أصحاب النبي فتوقف منهم مَن توقف عن القتال وألقى أسلحته مستكينًا ومر بهؤلاء أنس بن النضر وقد ألقوا ما بأيديهم فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قُتل رسول الله ﷺ، قال: ما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله. ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني: المسلمين ـ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني: المشركين ـ ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ فقال أين يا أبا عمر؟ فقال أنس: واهًا لريح الجنة يا سعد إني أجده دون أُحد... ثم مضى فقاتل القوم حتى قُتل فما عُرف حتى عرفته أخته بعد نهاية المعركة ببنانه وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم[(٢)].

فهذا أنس بن النضر رضي الله عنه يقوده صدقه إلى تلك الخاتمة السعيدة فيجد ريح الجنة قبل أن يقاتل.

* **بل قال ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدقٍ بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»[(٣)].**

وهكذا فإن العبد إذا صدق مع الله فإن الله يحفظ عليه إيمانه ويثبت قلبه على التوحيد ويرزقه حُسن الخاتمة.

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٠/ ٨٥) وأسباب النزول للواحدي (١٣٧)، والحديث متفق عليه عن أنس، أخرجه البخاري برقم (٤٠٤٧)، ورواه مسلم، باب في قوله تعالى ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾، كتاب الجهاد.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٨٠٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٩٠٣) كتاب الإمارة.

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (١٩٠٩) كتاب الإمارة.

(٦) حسن الظن بالله (جل وعلا):

وهذا من أعظم أسباب حُسن الخاتمة.

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يقول: أنا عند ظن عبدى بى، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر**»(١).

* وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاث يقول: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله**»(٢).

* وقال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: إذا أحب عبدى لقائى أحببت لقاءه، وإذا كره لقائى كرهت لقاءه**»(٣).

* وعن أنس أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت، فقال له: «**كيف تجدك؟**»، قال: أرجو الله وأخاف ذنوبى، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه وأمّنه مما يخاف**»(٤).

والرجاء عند الموت أفضل؛ لأن الخوف سوط يساق به، وعند الموت يقف البصر فينبغى أن يتلطف به، ولأن الشيطان يأتى حينئذٍ بسخط العبد على الله فيما يجرى عليه، ويخوفه فيما بين يديه، فحسن الظن أقوى سلاح يدفع به العدو.

وقال سليمان التيمى لابنه عند الموت: يا بنى! حدثنى بالرُّخص، لعلى ألقى الله تعالى وأنا أُحسن الظن به(٥).

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط (١/١٢٦) وأبو نعيم فى الحلية (٩/٣٠٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله صحيح الجامع (١٩٠٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٧٥٠٤) كتاب التوحيد.

(٤) حسن: رواه الترمذى (٩٨٣) كتاب الجنائز، وابن ماجه (٤٢٦١) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٠٥١).

(٥) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٤٧٨) ط. دار ابن رجب.

ـ قال على بن أبى طالب رضي الله عنه: «إنما العالم الذى لا يقنّط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم مكر الله».

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: «ليغفرن الله عز وجل يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر».

ـ وروى أن مجوسيًّا استضاف إبراهيم الخليل عليه السلام فلم يُضفه وقال: إن أسلمت أضفتك فأوحى الله تعالى إليه: يا إبراهيم منذ تسعين سنة أطعمه على كفره..... فسعى إبراهيم عليه السلام خلفه فردّه وأخبره فى الحال فتعجب من لطف الله تعالى فأسلم[١].

فهذه الأشياء والأخبار هى التى تجتلب بها روح الرجاء إلى قلوب الخائفين واليائسين، فأما الحمقى المغرورون فلا ينبغى أن يسمعوا شيئًا من ذلك إلا قليلاً لئلا يغتروا بحلم الله فيجترئوا على محارم الله.

وعن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة وأرسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بالذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار»[٢].

بل هذا رجل من بنى إسرائيل يقص النبى صلى الله عليه وسلم قصته فيقول: «إن رجلاً حضره الموت فلما أيس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مُتّ فاجمعوا لى حطبًا كثيرًا جزلاً ثم أوقدوا فيه نارًا حتى إذا أكلت لحمى وخلصت إلى عظمى فامتُحشت ـ فاحترقت ـ فخذوها فاطحنوها ثم انظروا يومًا راحًا فاذروها فى اليم.. ففعلوا ما أمرهم فجمعه الله وقال له: لِمَ فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك فغفر له»[٣].

---

(١) ذكرها الغزالى فى الإحياء (٤/١٥٣، ١٥٤) بصيغة التضعيف قيل. ولم يذكر لها سندًا ولا أصلاً.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٤٦٩) كتاب الرقاق.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٤٧٩) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٧٥٦) كتاب التوبة.

وفى رواية: «فجمعه الله فقال: ما حملك؟ قال: مخافتك فتلقاه برحمته»(١).

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يُخرجُ من النار أربعةٌ يُعرضونَ على الله عز وجل فيأمرُ بهم إلى النار فيلتفتُ أحدهم فيقولُ: أى ربِّ قد كنتُ أرجو إن أخرجتنى منها أن لا تعيدنى فيها فيقول: فلا نعيدك فيها»(٢).

ـ فيا أخى المسلم أَحسِن الظن بالله ولا تموتَن إلا وأنت تحسن الظن بالله فهو حبيبك وهو راحمك وهو ربك وهو رازقك.

فلا ترجُ غيره ولا تطمع فى رحمة مَن سواه والجأ إليه وتب إليه فإنه يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الأوابين(٣).

ـ والجأ إليه سبحانه وتعالى وقل بلسان الحال والمقال:

لبثت ثوب الرجا والناس قد رقدوا
وقمت أشكو إلى مولاى ما أجدُ

فقلت يا أملى فى كل نائبة
ومَن علّيه لكشف الضر أعتمدُ

أشكو إليك ذنوبًا أنت تعلمها
ما لى على حَملها صبرٌ ولا جَلَدُ

وقد مددت يدى بالذل مبتهلاً
إليك يا خير من مُدّت إليه يدُ

فلا تردّنها يا رب خائبةً
فبحر جودك يروى كل من يردُ

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٧٨) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٧٥٧) كتاب التوبة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٢) كتاب الإيمان، وأحمد (١٢٩٠٠) واللفظ له.

(٣) «رحلة مع الصادقين» للمصنف (ص: ١٤١).

(٧) التوبة:

قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١] .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢] .

فعن أبى سعيد الخدرى أن نبى الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتل تسعةً وتسعينَ نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على راهب فأتاه، فقال: إنه قتل تسعةً وتسعينَ نفسًا، فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله فكمَّل به مائةً ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على رجُلٍ عالمٍ، فقال: إنه قتل مائة نفسٍ، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحولُ بينه وبين التوبة؟! انطلق إلى أرضِ كذا وكذا، فإن بها أُناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرضُ سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاهُ الموتُ، فاختصمت فيه ملائكةُ الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكةُ الرحمة: جاء تائبًا مُقبلاً بقلبه إلى الله. وقالت ملائكةُ العذابِ: إنه لم يعمل خيرًا قطُّ، فأتاهم ملكٌ فى صورةِ آدميٍّ فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى، فهو له... فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد، فقبضته ملائكةُ الرحمة».

قال قتادة: فقال الحسنُ: ذُكِرَ لنا أنه لما أتاه الموتُ نأى بصدره.

وفى رواية: «فأوحى الله إلى هذه: أن تقاربى، وأوحى إلى هذه: أن تباعدى. وقال: قيسوا ما بينهما فوجداه إلى هذه أقرب بشبر فغُفر له»[٣] .

(فسبحان الله) يُسخِّر الله عز وجل الأرض كلها بجبالها وأنهارها وكل ما

---

(١) سورة النور: الآية: (٣١).

(٢) سورة التحريم: الآية: (٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٧٠) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٧٦٦) كتاب التوبة.

عليها لكى تتحرك من أجل تائبٍ واحدٍ فكيف لو تاب المسلمون جميعًا؟!!!

وقال ﷺ: **«إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر [١]»** [٢].

وقال ﷺ: **«التائب من الذنب كمن لا ذنب له»** [٣].

فمن تاب ومات على تلك التوبة فقد رزقه الله حُسن الخاتمة؛ لأنه يُبعث تائبًا يوم القيامة من كل الذنوب.. كما قال ﷺ: **«من مات على شىء بعثه الله عليه»** [٤].

* * *

• وأما عن شروط التوبة فهى ستة:

١ - الإقلاع عن الذنوب.

٢ - الندم على فعل تلك الذنوب.

٣ - العزم على أن لا يعود إليها أبدًا.

٤ - الإخلاص فى التوبة.

٥ - التحلل من المظالم.. لقوله ﷺ: **«من كان لأخيه عنده مظلمة من مال أو عرضٍ فليتحلله اليوم من قبل ألا يكون دينار ولا درهم إلا الحسنات والسيئات»** [٥].

٦ - التوبة قبل الغرغرة وقبل طلوع الشمس من مغربها: قال ﷺ: **«إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»** [٦].

---

(١) لم يغرغر: أى لم تبلغ روحه الحلقوم.

(٢) حسن: رواه الترمذى (٣٥٣٧) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٤٢٥٣) كتاب الزهد، وأحمد (٦١٢٥)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٩٠٣).

(٣) حسن: رواه ابن ماجه (٤٢٥٠) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٠٨).

(٤) صحيح: رواه أحمد (١٣٩٦٤)، والحاكم (٦/٣٣٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٨٣).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٢٤٤٩) كتاب المظالم والغصب.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٩) كتاب التوبة.

وقال ﷺ : «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»(١) .

(٨) الدعاء:

وذلك بأن تتوجه إلى الله (عز وجل) بالدعاء وتبكى وتتذلل بين يديه سبحانه بأن يثبت قلبك على الإيمان وأن يرزقك حُسن الخاتمة.

فها هو حبيبك ﷺ كان لا يفتر لسانه عن هذا الدعاء: «يا مقلب القلوب ثبِّت قلبى على دينك»(٢) .

وها هو الحق (جل جلاله) يعلمنا ويحثنا على أن ندعو بهذا الدعاء العظيم **﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾**(٣) .

فاعلم أخى الحبيب أنه لا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه فالجأ إلى الله فى كل وقت وارفع أكفّ الضراعة إلى الملك قائلاً: اللهم إنى أبرأ من الثقة إلا بك ومن الأمل إلا فيك ومن التسليم إلا لك ومن التفويض إلا إليك، ومن التوكل إلا عليك، ومن الرضا إلا عنك، ومن الطلب إلا منك، ومن الصبر إلا على بابك، ومن الذل إلا فى طاعتك، ومن الرهبة إلا لجلالك العظيم، ومن الرجاء إلا لما فى يديك الكريمتين.

فتوجه إلى الله (عز وجل) بالدعاء فى ثلث الليل الأخير أن يرزقك حُسن الخاتمة وأن يكرمك بصحبة النبى ﷺ فى الجنة، وأن لا يحرمك من نعمة النظر إلى وجهه الكريم (سبحانه وتعالى).

(٩) قصر الأمل والتفكر فى حقارة الدنيا:

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي

---

(١) حسن: وقد تقدم.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢١٤٠) كتاب القدر، وأحمد (١١٦٩٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٨٧).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (٨).

الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[1] .

وقال ﷺ : **«الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالمًا أو متعلمًا»**[2]

لغدوة أو روحة خير من الدنيا وما فيها

لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا شربة

فالمؤمن يعلم يقينًا أن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة، وأنه سينسى كل شقاء بغمسةٍ واحدة فى جنة الرحمن (جل وعلا)، ولذلك فهو لا يتعلق قلبه بأى شىء من حطام الدنيا، بل يمسى ويصبح وهو مشغول بالعمل لهذا الدين ولا يرى أمام عينيه إلا الجنة والنار فهو يعلم يقينًا أنه لا راحة إلا فى جنة العزيز الغفار.

واعلم أن السبب فى طول الأمل شيئان:

أحدهما: حب الدنيا، **والثانى:** الجهل.

أما حب الدنيا: فإن الإنسان إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها، ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر فى الموت الذى هو سبب مفارقتها، وكل من كره شيئًا دفعه عن نفسه، والإنسان مشغول بالأمانى الباطلة، فيُمنِّى نفسه أبدًا بما يوافق مراده من البقاء فى الدنيا. وأصل هذه الأمانى كلها، حبُّ الدنيا والأنس بها، والغفلة عن قول النبى ﷺ : **«أحبب ما شئت فإنك مفارقه»**[3] .

السبب الثانى: الجهل: وهو أن الإنسان يُعوِّل على شبابه، ويستبعد قرب الموت مع الشباب.

* والناس متفاوتون فى طول الأمل تفاوتًا كثيرًا، منهم من يأمل البقاء إلى

---

(١) سورة الحديد: الآية:(٢٠).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٣٢٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٢) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٤١٤).

(٣) حسن: رواه الحاكم (٦/ ٣٥٢)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٣٤٩)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٣).

زمان الهِرم، ومنهم من لا ينقطع أمله بحال، ومنهم من هو قصير الأمل.

وعن إبراهيم بن سبط قال: قال لى أبو زرعة: لأقولن لـك قولاً ما قلته لأحد سواك: ما خرجت من المسجد منذ عشرين سنة، فحدثتنى نفسى أن أرجع إليه.

وقد ورد الشرع بالحث على العمل والمبادرة إليه ففى «صحيح البخارى» عن ابن عباسٍ ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: **«نعمتـان مغبون فيـهما**[1] **كثير من الناس: الصحة والفراغ»**[2].

وعنه: أن رسول الله ﷺ قـال لرجل وهو يعظه: **«اغـتنم خمـسًا قـبل خمس: شبابك قـبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قـبل فقرك، وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك»**[3].

وقال عمر ﭬ: التؤدة فى كل شىء خير، إلا ما كان من أمر الآخرة.

وكان الحـسن يقول: عجـبًا لقوم أُمـروا بالزاد، ونودى فيـهم بالرحيل، وحُبس أولهم على آخرهم، وهم قعود يلعبون.

وكانوا يبادرون بالأعـمال غاية ما يمكن، فكان ابن عـمر يقوم فى الليل فيتوضأ ويصلى، ثم يُغفى إغفاء الطيـر، ثم يقوم فيتوضأ ويصلى، ثم يغفى إغفـاء الطير، ثم يقوم يصلى، يفـعل ذلك مرارًا... وكان عمـير بن هانئ يسبح كل يوم مائة ألف تسبيحة، وقال أبو بكر بن عياش: ختمت القرآن فى هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة[4].

* فمن انشغل بآخرته عن دنياه كانـت همته فى الطاعة عالية... وهذا من أعظم السُبل إلى حُسن الخاتمة.

---

(١) مغبون فيهما: مخدوع وذو خسران فيهما.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) كتاب الرقاق.

(٣) صحيح: رواه الحاكم (٦/ ٣٢٩)، والبيهقى فى شعب الإيمـان (٧/ ٢٦٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٧٧).

(٤) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٤٧٢ - ٤٧٥) بتصرفٍ شديد.

(١٠) البعد عن أسباب سوء الخاتمة:

وأخيرًا فإن من أسباب حُسن الخـاتمة: الخوف من سوء الخاتمة والبُعد عن أسبابها «وهى مذكورة بالتفصيل فى كتيب آخر من تصنيفى بعنوان: «الخوف من سوء الخاتمة».

أما عن أسباب سوء الخاتمة فهى:

١ - فساد المعتقد والانغماس فى البدع.

٢ - النفاق ومخالفة الباطن للظاهر.

٣ - التسويف بالتوبة.

٤ - طول الأمل وحب الدنيا.

٥ - تعلق القلب بغير الله.

٦ - إلف المعاصى والإصرار عليها.

٧ - الانتحار واليأس من رحمة الله.

٨ - مصاحبة أهل الفساد.

٩ - عدم الاستقامة على الطاعة.

* * *

موت آدم (عليه السلام)

ها هو نبى الله آدم - عليه السلام- أبو البشر. . . وها هى خاتمته السعيدة.

نام آدم - عليه السلام- على فراش الموت لتفيض روحه إلى بارئها (جل وعلا) بعدما ترك لذريته دروسًا لا تُنسى أبدًا وفوائد لا تبلى مع مرور الأيام والأعوام.

وها هى قصة موته -عليه السلام-:

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **«لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عينى كل إنسان منهم وبيصًا من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: أى رب، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال: أى رب، من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له: داود، فقال: رب وكم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أى رب زده من عمرى أربعين سنة. فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال: أوَ لم يبق من عمرى أربعون سنة؟ قال: أو لم تعطها ابنك داود؟ قال: فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسى آدم فنسيت ذريته، وخطىء آدم فخطئت ذريته»**[1].

بأبى وأمى صفىّ الله ونبيه آدم. . من غسّلته الملائكة وألحدوا له.

* **عن أبى بن كعب ﷺ عن النبى ﷺ قال: «لما تُوفى آدم غسّلته الملائكة بالماء وترًا، وألحدوا له، وقالوا: هذه سنة آدم فى ولده»**[2].

* **وعنه أيضًا ﷺ قال:** (إن آدم عليه السلام، لما حضره الموت، قال

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٠٧٦) كتاب تفسير القرآن، والحاكم (٣/ ١٦٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٠٨).

(٢) صحيح: رواه الحاكم فى «مستدركه»، والطبرانى فى «الأوسط» بإسناد صحيح. وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٠٧).

بنيه: أى بنى، إنى أشتهى من ثمار الجنة، فذهبوا يطلبون له فاستقبلتهم الملائكة، ومعهم أكفانه وحنوطه، ومعهم الفؤوس والمساحى، والمكاتل. . . فقالوا لهم: يا بنى آدم ما تريدون وما تطلبون؟ أو ما تريدون؟ وأين تذهبون؟ قالوا: أبونا مريض، فاشتهى من ثمار الجنة، قالوا لهم: ارجعوا فقد قُضى قضاء أبيكم. فجاؤوا فلما رأتهم حواء عرفتهم، فلاذت بآدم، فقال: إليك عنى، فإنى إنما أُتيت من قِبلك، خلِّى بينى وبين ملائكة ربى تبارك وتعالى، فقبضوه، وغسلوه، وكفنوه، وحنطوه، وحفروا له، وألحدوا له، وصلوا عليه، ثم دخلوا قبره، فوضعوه فى قبره، ووضعوا عليه اللَّبِن، ثم خرجوا من القبر، ثم حثوا عليه التراب، ثم قالوا: يا بنى آدم هذه سُنتكم)[1].

* يقص علينا هذا الحديث خبر أبينا آدم عليه السلام، عندما حضرته الوفاة، أنه اشتهى من ثمار الجنة، وهذا يدل على مدى حب آدم للجنة، وشوقه للعودة إليها، وما له لا يشتاق إليها وقد عاش فيها، ورأى نعيمها، واستمتع به فترة من الزمن.

ولعله إذ اشتهى ذلك منها قد أحس بدنو أجله، وقد دلت بعض الأحاديث أنه كان يعلم عدد سنوات عمره، وكان يحسب ما مضى منها فيبدو أنه علم أن سنوات عمره قد انقضت، وأن انتقاله إلى الدار الآخرة قد اقترب، ولا شك أن آدم عليه السلام كان يعلم أن بنيه لا طاقة لهم بتلبية طلبه، فأنَّى لهم الوصول إلى الجنة، وقطف ثمارها، وهم كانوا يعلمون

---

(١) روى هذا الحديث عبد الله ابن الإمام أحمد فى زوائد المسند: (٥/ ١٣٦). قال ابن كثير بعد سياقه للحديث: «إسناده صحيح إليه». أى: إلى أبى بن كعب «البداية والنهاية» (١/ ٩٨).

وقال الهيثمى فيه: رواه عبد الله بن أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير عتى بن ضمرة، وهو ثقة «مجمع الزوائد» (٨/ ١٩٩).

وهذا الحديث وإن كان موقوفًا على أبى بن كعب، فإن له حكم المرفوع، فإنه مما لا يقال بالرأى.

ذلك، ولكن برهم بأبيهم جعلهم ينطلقون للبحث عن مراده.

وما كادوا يبتعدون عن مقام أبيهم حتى قابلهم جمع من الملائكة متمثلين فى صورة رجال، ومعهم كل ما يحتاج إليه لتجهيز الميت ودفنه، وهم يمثلون ما عليه المسلمون اليوم عندما يموت لهم ميت، فقد كانوا يحملون معهم أكفانًا وحنوطًا، ويحملون معهم الفؤوس والمساحى والمكاتل اللازمة لحفر القبر.

ولما أخبرهم أبناء آدم بمقصدهم وطلبهم، طلبوا منهم العودة إلى أبيهم، فإن أباهم قضى عمره وانتهى أجله.

ولما جاءت ملائكة الموت آدم عرفتهم حواء، فلاذت بآدم، ويبدو أنها كانت تريد إغراءه بأن يختار الدنيا، فالرسل لا يُقبضون حتى يُخيَّروا، كما أعلمنا رسولنا ﷺ . . . فلم يلتفت إليها آدم عليه السلام، وزجرها قائلاً لها: إليك عنى، فإنى إنما أُتيت من قِبلك، وهو يشير بذلك إلى ما كان منها فى إغوائه ليأكل من الشجرة.

قبض الملائكة روح آدم - عليه السلام-، وتولوا تجهيزه، ودفنه، وأبناؤه ينظرون، فقد غسلوه، وكفنوه، وحنطوه، وحفروا له قبره، وألحدوا له فيه لحدًا، وصلوا عليه، ودخلوا فى قبره، ووضعوه فيه، ووضعوا عليه اللبِن، ثم خرجوا من القبر، وحثوا عليه التراب، وقالوا لأبنائه معلمين لهم: يا بنى آدم هذه سنتكم، أى: طريقتكم التى اختارها الله لكم فى موتاكم.

وبذلك تكون هذه الطريقة شريعة عامة لكل الرسل ولجميع المؤمنين فى الأرض على مدار العصور والأزمان، وكل طريقة تخالفها فهى مخالفة لهدى الله بمقدار ما فيها من المخالفة.

ومن يعرف هدى المسلمين فى موتاهم الذى علمهم إياه رسولهم ﷺ يجده موافقًا لما فعلته الملائكة بآدم - عليه السلام-.

وقد خالف هذا الهدى كثيـر من البشر على مدار التاريخ، فمنهم الذين يحـرقون مـوتاهم، ومنهم الذين يبنون لهم البنايات الفـخمـة كالأهرامـات ويدفنونهم فيها، بعد أن يضـعوا عندهم الطعام والشراب والحلى والجواهر، ومنهم الذين يضعونهم فى توابيت من الحـجر أو الخشب، وكل ذلك يكلف تكاليف باهظة الثمن، ويـضع جهودهم فى غيـر موضعهـا، وهو قبل ذلك وبعده مخالف للهدى الذى شرعه الله للموتى من بنى آدم[1] .

أهل الجنة يدخلونها على هيئة أبيهم آدم

وإكرامًا لآدم - عليه السلام- فـإن أهل الجنة يدخلونها على صورة أبيهم آدم كـما أخـبـر بذلك الصادق المـصدوق ﷺ حـيث قـال: - كمـا فى الصحيحين- :

«أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر. ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دُرى فى السـماء إضاءة: لا يبولون ولا يتـغوطون، ولا يتفلون، ولا يمـتخطون، أمـشـاطهم الذهب، ورشحـهم المسك، ومـجامـرهم الألوة - عود الطيب - أزواجهم الحـور العين، على خلـق رجلٍ واحد، على صورة أبـيهم آدم ستون ذراعًا فى السماء»[2] .

وفى رواية للبخارى ومسلم: «آنيتهم فيها الذهب، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجـتان يرى مخ سـوقهمـا من وراء اللحم من الحسن، لا اخـتلاف بينهم، ولا تباغض: قلوبهم قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشيًا»[3] .

* * *

(١) صحيح القصص النبوى (ص: ٢٦- ٢٨) د/ عمر سليمان الأشقر (حفظه الله).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٢٧) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١١٢٥) كتاب الهبات.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٥) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٦٢٥) كتاب الهبات.

إدريس (عليه السلام)

وها هو نبى الله إدريس - عليه السلام - عانى فى سبيل دعوته، وتحمل الأذى وصبر - كسائر الأنبياء - صلوات ربى وسلامه عليهم - ولذلك أثنى الله عليه فقال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾(١).

* ولهذا كان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين.. فقد قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾(٢).

الله يرفعه مكانًا عليًّا

عن هلال بن يساف قال: سأل ابن عباس كعبًا وأنا حاضر فقال له: ما قول الله تعالى لإدريس: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فقال كعب: أما إدريس فإن الله أوحى إليه: إنى أرفع لك كل يوم مثل جميع عمل بنى آدم - لعله من أهل زمانه - فأحب أن يزداد عملاً، فأتاه خليل له من الملائكة فقال: إن الله أوحى إلىَّ كذا وكذا، فكلِّم ملك الموت حتى أزداد عملاً، فحمله بين جناحيه ثم صعد به إلى السماء، فلما كان فى السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدرًا، فكلم ملك الموت فى الذى كلمه فيه إدريس، فقال: وأين إدريس؟ قال هو ذا على ظهرى، فقال ملك الموت: ياللعجب، بُعثت وقيل

(١) سورة الأنبياء: الآيتان: (٨٥ ، ٨٦).

(٢) سورة مريم: الآيات (٥٦ - ٥٨).

نى اقـبض روح إدريس فى السمـاء الرابعة، فـجعلت أقـول: كيف أقـبض روحه فى السماء الرابعة وهو فى الأرض؟ فـقبض روحه هناك. فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[1].

* وعن مجـاهد فى قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال: إدريس رفُع ولم يمت كمـا رُفع عيسى . . . إن أراد أنه لم يمـت إلى الآن، ففى هذا نظر، وإن أراد أنه رفُع حيًّـا إلى السـماء ثم قبض هنـاك. فلا ينافى ما تـقدم من كعب الأحبار . . والله أعلم[2].

النبى ﷺ يقابله فى ليلة المعراج

ففى الصحيحين فى وصف رحلة الإسراء والمعراج أخبر النبى ﷺ أنه قابل إدريس - عليه السلام - فى السماء الرابعة.

قال ﷺ: «فأتينا السمـاء الرابعة، قيل من هذا؟ قال جـبريل. قيل: من معك؟ قيل: محـمد ﷺ، قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قـيل: مرحبًا به ولنعم المجئ جاء، فأتيت عـلى إدريس فسلمتُ عليه فقال: مـرحبًا بك من أخ ونبى»[3].

* * *

(١) إسناده صحيح: والخبر من الإسرائيليات ، أخرجه ابن جرير (١٦/ ٧٢) فى تفسيره.

(٢) خبرٌ صحيح: أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٧/ ٤٦٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٠٧) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٦٤) كتاب الإيمان.

وصية نوح (عليه السلام)

روى الإمام أحمد فى مسنده عن ابن عمرو رضي الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إن نبى الله نوحًا عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه: إنى قاص عليك وصية: آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين: آمرك بلا إله إلا الله، فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وُضعت فى كفة ووُضعت لا إله إلا الله فى كفة رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كُن حلقة مبهمة ضمتهن لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده، فإن بها صلات كل شىء، وبها يرزق الخلق، وأنهاك عن الشرك والكبر**»[1] .

موت خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام)

بعد هذا العمر المبارك الذى بذل فيه إبراهيم - عليه السلام- كل ما يملك لخدمة هذا الدين العظيم. وإذا به ينام على فراش الموت ليلقى ربه - عز وجل- بقلبٍ سليم.

قال ابن كثير رحمه الله:

* وقد ماتت سارة قبله بقرية حبرون التى فى أرض كنعان، ولها من العمر مائة وسبع وعشرون سنة فيما ذكر أهل الكتاب، فحزن عليها إبراهيم - عليه السلام-، ورثاها رحمها الله، واشترى من رجل من بنى حيث يقال له: عفرون بن صخر مغارة بأربعمائة مثقال، ودفن فيها سارة هنالك . .

* **قالوا - يعنى: أهل الكتاب-:** ثم مرض إبراهيم عليه السلام، فلما مات، دُفن فى المغارة المذكورة، عند امرأته سارة، وتولى دفنه إسماعيل

(١) صحيح: رواه أحمد (٦٥٤٧)، والبخارى فى الأدب المفرد (٥٤٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الأدب المفرد.

وإسحاق، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[١].

* في كتاب «فتح الباري» لابن حجر: أتى ملك الموت إبراهيم عليه السلام ليقبض روحه، فجلس أمامه.

قال: ماذا تريد؟

قال: أقبض روحك.

قال: وهل خليل يقبض روح خليله؟

فقال الملك: وهل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله!

فسكت إبراهيم عليه السلام فقُبضت روحه.

موت كليم الله موسى (عليه السلام)

قال ﷺ: «جاء ملك الموت إلى موسى - عليه السلام - فقال له: أجب ربَّك، قال: فلَطَم موسى - عليه السلام - عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجَعَ الملكُ إلى الله تعالى، فقال: إنك أرْسَلتني إلى عبد لك لا يريد الموتَ، وقد فقأ عيني، قال: فردَّ الله إليه عينهُ، وقال: ارجع إلى عبدي فقل الحياة تريدُ؟ فإن كنت تريدُ الحياةَ فضع يدك على متن ثَوْر، فما توارت يدُكَ من شَعْرة فإنكَ تعيشُ بها سنة، قال: ثمَّ مه؟ قال: ثمَّ تموتُ. قال: فالآن من قريب ربِّ. قال: أَمتني من الأرضِ المقدَّسة رميةً بحجر، قال رسول الله: والله لو أنِّي عنده، لأريتكم قبرَهُ إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر»[٢].

* أخبرنا رسولنا ﷺ أن من كرامة الأنبياء على ربهم أنهم يُخيرون عند موتهم بين البقاء في الحياة أو الانتقال إلى الرفيق الأعلى، وقد صح في بعض الأحاديث عن عائشة أن الرسول ﷺ خيِّر، فاختار الرفيق الأعلى.

(١) قصص الأنبياء (ص٢٢٤ - ٢٢٦) بتصرف.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٣٩) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٣٧٢) كتاب الفضائل.

وقد أرسل الله ملك الموت إلى مـوسى فى صورة رجل، وطلب منه أن يجيب ربـه، وكان ذلك إيذانًا بأن أجله قـد حضر، وأن سـاعتـه قد دنت، وكان فى موسى - عليه السلام - حدة، فما كان منه إلا أن لطم وجه ملك الموت ففـقأ عينه، - أى: عـينه البشرية التى تمثل بهـا -، وإلا فلو كان فى صورته الملائكية لما استطاع موسى لطمه، وما قدر عليه.

ورجع ملك الموت إلى ربه يـشكو إليـه ما أصـابه من مـوسى - عليـه السلام-، فرد عليه الله تلك العـين، وأمره أن يعود إلى موسى ويطلب منه أن يضع يده على ظهـر ثور، ثم يعد الشعـرات التى غطتهـا يده، فيكون له بكل شـعرة من تلك الشـعرات سنة، ويكون أجله من السنوات بعـدد تلك الشعرات، وبذلك يـنال حياة مديدة، ولو فعل مـوسى ذلك فمن المرجح أن يكون لا زال حيًّا باقيًا إلى اليوم.

ولكن موسى عندما استعلم مـن ملك الموت عما وراء تلك الحياة المديدة قال له: الموت. فاختاره من قريب. فـما عند الله لرسله وأنبيائه والصالحين من عباده خير وأبقى.

* إذا كانت أرواح الشهـداء فى حواصل طير خضـر، تسرح فى رياض الجنة تأكل من ثمارها، وتـشرب من أنهارها، وتأوى إلى قناديل مـعلقة فى سقف عرش الرحمن، فإن حيـاة الرسل والأنبياء فوق ذلك كله، وماذا كان سينال مـوسى - عليه السـلام- لو بقى حيًّـا إلى يومنا، كـان سيعـانى من مصائب الحـياة وبلاياها، وسيعـاصر تلك الأحداث الكبار على مـر التاريخ التى تشـغل الفكر، وتُدمى القلب، أوَ لـيس خيـرًا له أن يكون فى الرفـيق الأعلى مع الرسل والأنبـياء يتـقلب فى جنات النعيم، من أن يبـقى فى دار الشقاء والبلاء!!. (١).

---

(١) صحيح القصص النبوى/ الشيخ عمر الأشقر (ص: ٩٨ - ١٠٠) بتصرف.

موت داود (عليه السلام)

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كان داودُ النبىُ فيه غيرَةٌ شديدةٌ، وكان إذا خرج أُغلقت الأبواب، فلم يدخل على أهله أحدٌ حتى يرجع.

قال: فخرج ذات يوم، وغُلقت الدار، فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار، فإذا رجلٌ قائمٌ وسط الدار، فقالت لمن فى البيت: من أين دخل هذا الرجل الدَّار، والدار مُغلقةٌ؟ والله لتُفتضحن بداودَ.

فجاء داود: فإذا الرجل قائمٌ وسط الدار، فقال له داود: من أنت؟ قال: أنا الذى لا أهابُ الملوك، ولا يمتنع منى شىءٌ. فقال داود: أنت والله ملك الموت، فمرحبًا بأمر الله، فرمل داود مكانه حيث قُبضت روحه، حتى فرغ من شأنه، وطلعت عليه الشمس.

فقال سليمان للطير: أظلى على داود، فأظلت عليه الطير، حتى أظلمت عليهما الأرض. فقال لها سليمان: اقبضى جناحًا جناحًا»، قال أبو هريرة يُرينا رسول الله ﷺ كيف فعلت الطير «وقُبض رسول الله ﷺ وغلبت عليه يومئذ المضرحيَّةُ»(١).

* هذا الحديث فيه قصة وفاة نبى الله داود، فقد أخبرنا رسولنا ﷺ أنه كان يوم وفاته فى كامل صحته، وتمام عافيته، لا كما يزعم الذين دوَّنوا التوراة، ففى سِفر الملوك الأول أن داود فى آخر أيامه شاخ، ولزم الفراش، وفقد قواه، فكانوا يدثرونه بالثياب فلا يدفأ، وأنهم أحضروا له فتاة جميلة كى تضجع فى حضنه ليدفأ، وذكروا وصايا أوصى بها داود ابنه سليمان وهو فى النزع.

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده: (٢/٤١٩) وقال ابن كثير بعد سياقه له: «انفرد بإخراجه أحمد، وإسناده جيد قوى، رجاله ثقات». البداية والنهاية (٢/١٧).

وقد جاء هذا الحديث مصوبًا لخبر وفاة داود الذى ذكروه فى كتابهم، فداود - عليه السلام- لم يمرض قبل وفاته، ولم يكن بحاجة إلى فتاة تدفئه، ولست أدرى لِمَ يصرُّ الذين حرفوا التوراة على تلطيخ الأنبياء وتقذير سيرتهم، فسليمان فى زعمهم ساحر عَبَدَ الأصنام، ولوط زنى بابنتيه، وداود لم يدفئه إلا فتاة صغيرة جميلة تضجع فى حضنه فى مرض موته، كأنه لا يوجد عند ملك عظيم مثل داود وسائل تدفئة تدفع عنه البرد الذى أصابه.

إن داود - عليه السلام - لم يشخ، ولم يفقد قواه، ولم يمرض، فقد خرج داود فى ذلك اليوم من داره كما كان يخرج فى كل يوم، وكان فيه غيرة شديدة، ولذا فإن الأبواب تُقفل بعد خروجه، فلا يدخل على أهله بعد خروجه أحد، فلما خرج فى ذلك اليوم أقبلت امرأته تطلع على دارها، وتتفقد أحوالها، فوجدت رجلاً قائمًا فى وسط الدار، فعجبت من أمره، وكيفية دخوله، مع أن الدار مغلقة أبوابها بإحكام وسألت أهل منزلها وخدمها عن كيفية دخوله الدار، وخشيت من غضب داود إذا رجع فوجد رجلاً فى داره.

فلم يمض وقت طويل حتى جاء داود والرجل على حاله فى الدار غير هَيّابٍ ولا وَجِلٍ، وعادة الرجال أن يفزعوا من مقابلة الملوك، ويحذروا من الدخول عليهم فى منازلهم.

وسأل داود ذلك الرجل عن نفسه، فوصف نفسه وصفًا عرفه به داود، فقال: أنا الذى لا أهاب الملوك، ولا أُمنع من الحجاب، فعرفه داود بنعته نفسه، وقال: أنت والله إذن ملك الموت، مرحبًا بأمر الله، ثم مكث حتى قُبضت روحه.

وأخبرنا نبينا ﷺ أنه لما غُسِّل وكُفِّن وفُرِغ من تجهيزه طلعت عليه الشمس، فأمر سليمان الطير أن تظله بأجنحتها، فأظلته وأظلت مشيِّعيه،

فكان لا ينفذ إلى المشيعين شيء من أشعة الشمس، حتى أظلمت الأرض، عند ذلك أمر سليمان الطير أن تقبض جناحًا، وقد أراهم الرسول ﷺ ممثلاً بيديه كيف قبضت الطيور بأجنحتها، كما أخبرهم أن الصقور الطويلة جناح، وهى التى سماها الرسول ﷺ بالمضرحية، غلبت غيرها فى تظليل على داود فى ذلك اليوم(١) .

موت النبى محمد ﷺ

* **عن عائشة رضي الله عنها قالت:** سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من نبى يمرض إلا خُيِّر بين الدنيا والآخرة**».

قالت: فلما كان فى مرض النبى ﷺ الذى قُبض فيه، أخذته بُحَّة شديدة، فسمعته يقول: ﴿**مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ**﴾(٢) فعلمت أنه قد خُيِّر»(٣) .

* **وعن عائشة رضي الله عنها قالت:**

«إن رسول الله ﷺ قُبض فى بيتى ويومى، وبين سَحرى ونحرى(٤) ، وجمع الله بين ريقى وريقه عند الموت، دخل علىّ أخى عبد الرحمن، وأنا مُسندة رسول الله ﷺ إلى صدرى وبيده سواك، فجعل ينظر إليه، فعرفتُ أنه يعجبه ذلك، فقلت: آخذه لك؟ فأومأ برأسه - أى: نعم-. فناولته إياه، فأدخله فى فيه، فاشتد عليه، فناولنيه، فقلتُ: أُلينه لك؟ فأومأ برأسه، - أى: نعم -، فليّنته له، فأمَرّه، وبين يديه رَكْوة - أو قالت: عُلبة- فجعل

---

(١) صحيح القصص النبوى (ص: ١٤٠، ١٤١).

(٢) سورة النساء: الآية: (٦٩).

(٣) **صحيح:** رواه البخارى (٤٥٨٦) كتاب التفسير.

(٤) السَّحر: الرئة، والنحر: أعلى الصدر.

يُدخل يده فيها ويمسح بها وجهه ﷺ ويقول: «**لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات**».

ثم نصب يده يقول: «**الرفيق الأعلى، الرفيق الأعلى**» حتى قُبض صلوات الله عليه ومالت يده»[١].

* وعن أنس رضي الله عنه: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه[٢]، فقالت فاطمة - عليها السلام-: واكرب أباه، فقال لها: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**». فلما مات قالت: يا أبتاه، أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه، من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه. فلما دُفن قالت فاطمة - عليها السلام -: يا أنس! أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟!»[٣].

مع الصحابة على فراش الموت

وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

بعد حياة طويلة مليئة بالحب والبذل والتضحية والفداء والعدل والإيثار.

نام خليفة رسول الله ﷺ على فراش الموت ليلحق بحبيبه وصاحبه رسول الله ﷺ في جنة الرحمن -جل وعلا- إخوانًا على سُرر متقابلين.

عن عائشة رضي الله عنها: أول ما بُدئ مرض أبي بكر أنه اغتسل، وكان يومًا باردًا فَحُمَّ خمسة عشر يومًا لا يخرج إلى صلاة، وكان يأمر عمر بالصلاة، وكانوا يعودونه، وكان عثمان ألزمهم له في مرضه.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤٤٩) كتاب المغازي، ومسلم (٢٤٤٤) كتاب فضائل الصحابة، واللفظ للبخاري.

(٢) أي: يغشاه الثقل شيئًا فشيئًا.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٤٦٢) في «كتاب المغازي» باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

وعن عائشة قالت: لما مرض أبو بكر مرضه الذى مات فيه قال: انظروا ماذا زاد فى مالى منذ دخلت فى الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدى. فنظرنا فإذا عبدٌ نوبى كان يحمل صبيانه، وإذا ناضح[1] كان يسقى بستانًا له. فبعثنا بهما إلى عمر. قالت: فأخبرنى جدى أن عمر بكى وقال: رحمة الله على أبى بكر لقد أتعب من بعده تعبًا شديدًا [2].

وقالت عائشة رضي الله عنها: لما مرض أبو بكر مرضه الذى مات فيه، دخلت عليه وهو يعالج ما يعالج الميت ونفسه فى صدره فتمثلت هذا البيت:

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى

إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فنظر إلىَّ كالغضبان، ثم قال: ليس كذلك يا أم المؤمنين، ولكن قول الله أصدق:

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[3].

ثم قال: يا عائشة! إنه ليس أحدٌ من أهلى أحب إلىَّ منك، وقد كنت نحلتك حائطًا، وإن فى نفسى منه شيئًا فرديه إلى الميراث.

قالت: نعم... فرددته.

وقال رضي الله عنه: أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارًا ولا درهمًا، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم فى بطوننا، ولبسنا من خيش ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فيئ المسلمين قليلٌ ولا كثير إلا هذا العبد الحبشى، وهذا البعير الناضح، وجرد هذه القطيفة، فإذا مت فابعثى بهن إلى عمر، وابرئى منهن ففعلت، فلما جاء الرسولُ عمرَ بكى حتى جعلت دموعه تسيل فى الأرض، ويقول: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده، رحم

(١) الناضح: هو البعير الذى يُستقى عليه.

(٢) صفة الصفوة (١/١٠٨).

(٣) سورة ق: الآية: (١٩).

الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده[١] .

وقال رضي الله عنه لما حضرته الوفاة: إن عمر لم يدعني حتى أصبت من بيت المال ستة آلاف درهم، وإن حائطي الذي بمكان كذا فيها، فلما توفي ذُكر ذلك لعمر فقال: يرحم الله أبا بكر، لقد أحب أن لا يدع لأحد بعده مقالاً[٢] .

واستمر مرض أبي بكر مدة خمسة عشر يومًا حتى كان يوم الاثنين ليلة الثلاثاء في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة، قالت عائشة رضي الله عنها: إن أبا بكر قال لها: في أي يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت: في يوم الاثنين، قال: ما شاء إني لأرجو فيما بيني وبين الليل، قال: ففيم كفنتموه؟

قالت: في ثلاثة أثواب بيض سحولية يمانية ليس فيها قميص، ولا عمامة.

فقال أبو بكر: انظري ثوبي هذا فيه ردعُ زعفران أو مشقٍ فاغسليه واجعلي معه ثوبين آخرين.

فقالت عائشة: يا أبت هذا خَلِقٌ -قديم- فقال: إن الحي أحق بالجديد، وإنما هو للمُهلة[٣] . - يعني: فترة القبر-.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أبا بكر لما حضرته الوفاة، قال: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم الاثنين، قال: فإن مت من ليلتي فلا تنتظروا بي الغد، فإن أحبَّ الأيام والليالي إليَّ أقربُها من رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤] .

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/١٤٦، ١٤٧)، ورجاله ثقات.

(٢) المنتظم (٤/١٢٧)، عن ابن سعد، ورجاله ثقات.

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٥٠)، ورجاله ثقات..

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند رقم (٤٥)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

وتوفى رحمه الله وهو ابن ثلاث وستين سنة. . مُجمعٌ على ذلك فى الروايات كلها، استوفى سن رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر وُلد بعد الفيل بثلاث سنين رضي الله عنه، وغسلته زوجه أسماء بنت عميس، وكان قد أوصى بذلك [1]، ودُفن جانب رسول الله ﷺ حسب وصيته، وصلى عليه خليفته عمر بن الخطاب.

ونزل قبره عمرُ، وعثمان، وطلحة، وابنه عبد الرحمن، وجعل رأسه عند كتفى رسول الله ﷺ، وألصق اللحد بقبر رسول الله ﷺ.

وصيته الغالية لعمر رضي الله عنه

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط، قال: لما حضر أبا بكر الصديق الموتُ، دعا عمر، فقال له: «اتق الله يا عمر، واعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلةً حتى تُؤدى فريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى دار الدنيا وثقله عليهم، وحُقَّ لميزان يوضع فيه الحقُّ غدًا أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم، وحُقَّ لميزان يوضع فيه الباطل غدًا أن يكون خفيفًا، وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه، فإذا ذكرتهم قلت: إنى أخاف أن لا ألحق بهم، وإن الله تعالى ذكر أهل النار، فذكرهم بأسوأ أعمالهم، وردَّ عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم، قلت: إنى لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء، ليكون العبد راغبًا راهبًا، لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمة الله، فإن أنت حفظت وصيتى، فلا يك غائب أحب

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات (٣/٢٠٣، ٢٠٤) وإسناده صحيح.

إليك من الموت، وهو آتيك، وإن أنت ضيعت وصيتى فلا يك غائب أبغض إليك من الموت، ولست تُعجزه»[١].

كلمة خالدة قالها (علىّ) بعد موت (الصديق) رضي الله عنهما

عن أُسيد بن صفوان: قال: لما قُبض أبو بكر الصديق رضي الله عنه وسُجِّى عليه ارتجت المدينة بالبكاء كيوم قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال: فجاء على بن أبى طالب رضي الله عنه ووقف على البيت الذى فيه أبو بكر فقال: رحمك الله يا أبا بكر . . كنت إلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته، وكنت أول القوم إسلامًا، وأخلصهم إيمانًا، وأشدهم لله يقينًا، وأخوفهم لله، وأعظمهم غناء فى دين الله عز وجل، وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحدبهم على الإسلام، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم هديًا وسمتًا، وأشرفهم منزلة، وأرفعهم عنده وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن رسول الله وعن الإسلام أفضل الجزاء. صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كذبه الناس، وكنت عنده بمنزلة السمع والبصر، سماك الله فى تنزيله صديقًا فقال: ﴿وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾[٢].

واسيته حين بخلوا، وقمت معه على المكاره حين قعدوا، وصحبته فى الشدة أكرم الصحبة، ثانى اثنين صاحبه فى الغار، والمُنزل عليه السكينة، ورفيقه فى الهجرة، وخليفته فى دين الله وأمته، أحسن الخلافة حين

---

(١) الحلية لأبى نعيم (١/ ٣٦، ٣٧)، صفة الصفوة (١/ ١٣٧، ١٣٨).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٣٣).

ارتدوا، فقمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبى، ونهضت حين وهن أصحابه، وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ إذ وهنوا.

وكنت كما قال رسول الله ضعيفًا فى بدنك قويًا فى أمر الله تعالى، متواضعًا فى نفسك عظيمًا عند الله تعالى، جليلاً فى أعين الناس كبيرًا فى أنفسهم، لم يكن لأحدهم فيك مغمز، ولا لقائل فيك مهمز، ولا لمخلوق عندك هوادة، الضعيف الذليل عندك قوى عزيز حتى تأخذ بحقه، القريب والبعيد عندك فى ذلك سواء، وأقرب الناس عندك أطوعهم لله عز وجل وأتقاهم . . شأنك الحق والصدق والرفق قولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم، اعتدل بك الدين وقوى بك الإيمان وظهر أمر الله، فسبقت والله سبقًا بعيدًا، وأتعبت من بعدك إتعابًا شديدًا، وفزت بالخير فوزًا مبينًا، فإنا لله و إنا إليه راجعون رضينا عن الله عز وجل قضاءه وسلمنا له أمره، والله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبدًا، كنت للدين عزًا، وحرزًا وكهفًا فألحقك الله عز وجل بنبيك محمد ﷺ، ولا حرمنا أجرك، ولا أضلنا بعدك، فسكت الناس حتى قضى كلامه، ثم بكوا حتى علت أصواتهم وقالوا: صدقت[١].

وعن عمر رضي الله عنه **قال**: لو وُزن إيمان أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم ليتنى شعرة فى صدر أبى بكر[٢].

* * *

---

(١) التبصرة لابن الجوزى (١/ ٤٧٧ - ٤٧٩).

(٢) المطالب العالية (٤٢٩٢) والخبر فى زيادات مسند مسدد ورجاله ثقات.

وفاة الفاروق عمر رضي الله عنه

بعد حياة طويلة مليئة بالكفاح والطاعة والبذل والتضحية أحسَّ فاروق الأمة باقتراب أجله فقام يدعو بهذا الدعاء راجيًا من الله أن يحقق له تلك الأمنية الغالية.

قال رضي الله عنه: «اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك، واجعل موتى فى بلد رسولك»(١).

وعن سعيد بن المسيِّب قال: لما صدر عمر من مِنَى أناخ بالأبطح، ثم كوَّم كومة من البطحاء، ثم ألقى عليها نفسه فلزق بثوبه، واستلقى، ومد يده إلى السماء فقال: اللهم ضعفت قوتى، وكبرت سنى، وانتشرت رعيتى، فاقبضنى إليك غير مضيِّع، ولا مفرط، ثم قدم المدينة، فخطب فقال: أيها الناس: إنى قد سننت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتكم على واضحة إلا أن تضلوا بالناس يمينًا وشمالاً . .

قال سعيد: فما انسلخ ذو الحجة، حتى قُتل عمر(٢).

بل إنه رأى رؤيا بتلك الشهادة.

فعن معدان بن أبى طلحة العمرى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام على المنبر يوم جمعة، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم ذكر النبى ﷺ وذكر أبا بكر رضي الله عنه ثم قال: رأيت رؤيا لا أراها إلا بحضور أجلى، ورأيت ديكًا نقرنى نقرتين، فقصصتها على أسماء بنت عميس فقالت: يقتلك رجل من العجم(٣).

ولقد بشّره الحبيب ﷺ قبل ذلك بتلك الشهادة.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١٨٩٠) فى كتاب الحج.

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٩١)، ومالك (٢/ ٨٢٤/ ١٠) وابن أبى الدنيا فى مجابوا الدعوة (٩).

(٣) رواه أحمد فى المسند (١٦٨، ٣٦٢)، مختصراً ورواه مسلم، والحاكم (٣/ ٩٠، ٩١).

فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ صعد أُحدًا، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف فضربه برجله، وقال: «**اثبت أُحُد، فما عليك إلا نبى، وصدِّيق، وشهيدان**»[1].

ورأى رسول الله ﷺ على عمر ثوبًا غسيلاً فقال: «أجديد ثوبك هذا أم غسيل؟» قال: غسيل يا رسول الله، قال: «**البس جديدًا، وعش حميدًا، وتوفَّ شهيدًا، ويعطيك الله قرة عين فى الدنيا والآخرة**»[2].

وفى صحيح البخارى: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ فى الفتنة؟

قال حذيفة: أنا أحفظ كما قال: قال: هات، إنك لجرىء.

قال: قال رسول الله ﷺ: «**فتنة الرجل فى أهله، وماله، وجاره تكفرها الصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر**».

قال: ليست هذه، ولكن التى تموج كموج البحر.

قال: يا أمير المؤمنين! لا بأس عليك منها، إن بينك وبينها بابًا مغلقًا.

قال: يُفتح الباب أو يُكسرَ؟ قال: لا، بل يُكسر، قال: ذلك أحرى أن لا يغلق[3].

قال النووى: يحتمل أن يكون حذيفة علم أن عمر يُقتل، ولكنه كره أن يخاطبه بالقتل لأن عمر كان يعلم أنه الباب فأتى بعبارة يحصل بها المقصود بغير تصريح بالقتل. اهـ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٣٦٥٧) فى كتاب المناقب.

(٢) **صحيح** رواه أحمد (٢/ ٨٨)، والطبرانى (١٢/ ٢٨٣) قال الهيثمى (٩/ ٧٣): رجالهما رجال الصحيح، ابن ماجه (٣٥٥٨) كتاب اللباس، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٨٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٣٥٢).

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (٣٥٨٦) كتاب المناقب.

الفوز بالشهادة

وحان الوقت لتتحقق تلك الأمنية الغالية (أن يرزقه الله الشهادة فى مدينة رسول الله ﷺ).

فعن عمرو بن ميمون رضي الله عنه قال: «... إنى لقائم ما بينى، وبينه إلا عبد الله بن عباس[1] غداة أصيب وكان إذا مرَّ بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهم خللاً تقدم فكبَّر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك فى الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبَّر فسمعته يقول: قتلنى أو أكلنى الكلب، حين طعنه[2]، فطار العِلجُ بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحد يمينًا، ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجلٌ من المسلمين طرح عليه برنسًا، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه - ذبح نفسه - وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف قدَّمه[3]، فمن يلى عمر فقد رأى الذى أرى، وأما نواحى المسجد

(١) قال الحافظ فى الفتح: وفى رواية أبى إسحاق عن عمرو بن ميمون: شهدت عمر يوم طُعن، فما منعنى أن أكون فى الصف الأول إلا هيبته، وكان رجلاً مهيبًا، وكنت فى الصف الذى يليه، وكان عمر لا يكبر حتى يستقبل الصف المقدم بوجهه، فإن رأى رجلاً متقدمًا من الصف أو متأخرًا ضربه بالدرة، فذلك الذى منعنى منه. اهـ. فتح البارى (٧/ ٧٧).

(٢) قال الحافظ: روى ابن سعد بإسنادٍ صحيح إلى الزهرى قال: كان عمر لا يأذن لسبى قد احتلم فى دخول المدينة، حتى كتب المغيرة بن شعبة، وهو على الكوفة يذكر له غلامًا عنده صانعًا، ويستأذنه أن يدخله المدينة، ويقول: إن عنده أعمالاً تنفع الناس، إنه حداد نقاش نجار، فأذن له، فضرب عليه المغيرة كل شهر مائة، فشكى إلى عمر شدة الخراج، فقال له: ما خراجك بكثير فى جنب ما تعمل، فانصرف ساخطًا، فلبث عمر ليالى، فمر به العبد فقال: ألم أحدث أنك تقول لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح؟ فالتفت إليه عابسًا فقال: لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها، فأقبل عمر على من معه فقال: توعدنى العبد، فتح البارى (٧/ ٧٨).

(٣) أى: للصلاة بالناس.

فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر، وهم يقولون سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة.

وفى رواية: فظن عمر أن له ذنبًا إلى الناس لا يعلمه، فدعا ابن العباس وكان يحبه ويدنيه.

فقال: أحب أن تُعلم عن ملأ من الناس كان هذا؟ فخرج لا يمر بملإٍ من الناس إلا وهم يبكون، فكأنما فقدوا أبكار أولادهم، قال ابن عباس: فرأيت البِشر فى وجهه.

قال: فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس! انظر من قتلنى. فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة؟ قال: الصنع؟ قال: نعم. قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفًا، الحمد لله الذى لم يجعل ميتتى بيد رجل يدَّعى الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقًا. فقال: إن شئت فعلت - أى: إن شئت قتلنا -.

قال: كذبت، بعدما تكلموا بلسانكم، وصَلُّوا قبلتكم، وحجوا حجكم؟ فانطلقنا معه.

وفى رواية: ثم غلب عمر النزف حتى غُشى عليه، فاحتملته فى رهط حتى أدخلته بيته فلم يزل فى غشيته حتى أسفر فنظر فى وجوهنا، فقال: أصلى الناس؟ فقلت: نعم، قال: لا إسلام لمن ترك الصلاة، ثم توضأ وصلى.

قال: وكأن الناس لم تُصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه، فأُتى بنبيذ[١] فشربه فخرج من جوفه، ثم أوتى بلبن فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس، فجعلوا يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين

(١) قال الحافظ فى الفتح: المراد بالنبيذ المذكور تمرات نُبِذت فى ماء، أى نقعت فيه، كانوا يصنعون ذلك لاستعذاب الماء.

ببشرى الله لك، وصُحبة رسول الله ﷺ، وقدم فى الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. قال: وددت أن ذلك كفافٌ لا علىَّ ولا لى.

فلما أدبر إذا إزاره يمسُّ الأرض، قال: رُدوا على الغلام. فقال: يا ابن أخى، ارفع ثوبك، فإنه أبقى لثوبك، وأتقى لربك.

وفى رواية: قال ابن عباس: فقلت له: أبشر بالجنة، صاحبت رسول الله ﷺ فأطلت صحبته، ووليت أمر المؤمنين فقويت وأديت الأمانة.

فقال: أما تبشيرك إياى بالجنة فوالله لو أن لى الدنيا بما فيها، لافتديت به من هول ما أمامى قبل أن أعلم الخبر، وأما قولك فى أمر المؤمنين، فوالله لوددت أن ذلك كفافًا لا لى ولا علىَّ، وأما ما ذكرت من صحبة نبى الله ﷺ فذلك[1].

قال الذهبى: قال ابن عمر: كان رأس عمر فى حجرى، فقال: ضع خدى على الأرض فوضعته فقال: ويلٌ لى وويل أمى إن لم يرحمنى ربى[2].

* * *

(١) رواه أحمد فى المسند رقم (٣٢٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) سيرة الخلفاء للذهبى (٩٤)، والخبر فى الطبقات (٣/ ٢٧٤)، وإسناده صحيح.

صحبة الحبيب ﷺ وأبى بكر رضي الله عنه فى القبر

وفى اللحظات الأخيرة من حياة الفاروق رضي الله عنه قال لابنه: يا عبد الله بن عمر، انظر ما علىَّ من الدَّين، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفًا أو نحوه.

قال: إن وفى له مال آل عمر فأدِّه من أموالهم، وإلا فسل من بنى عدى ابن كعب، فإن لم تـف أموالهم فسل فى قريش، ولا تَعْـدهُم إلى غيرهم، فأدِّ عنى هذا المال.

انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام -ولا تقل أمير المؤمنين، فإنى لست اليوم للمؤمنين أميـرًا - وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيـه، . . . فسلم فاستأذن، ثم دخل عليها فـوجدها قاعدة تبكى. فقـال: يقرأ عليك عمـر بن الخطاب السلام، ويسـتأذن أن يُدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسى، ولأوثرنه به اليوم على نفسى.

فلما أقـبل قيل: هذا عبد الله بن عـمر قد جاء. قال: ارفـعونى فأسنده رجلٌ إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذى تحب يا أمير المؤمنين، أذنت.

قال: الحمـد لله، ما كـان من شىء أهمَّ إلىَّ من ذلك، فإذا أنا قـضيت احملونى، ثم سلمْ فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لى فأدخلونى وإن ردتنى رُدَّنى إلى مقـابر المسلمين.. وجاءت أم المؤمنين حفـصة والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا، فولجت[1] عليه، فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت داخـلاً لها، فسمعنا بكاءها مـن الداخل، قالت: يا صاحب رسول الله ﷺ يا صهر رسول الله ﷺ، يا أمير المؤمنين.

فقال عـمر: لا صبر لى على مـا أسمع، أحرج عليك بما لى عليكم من

---

(١) أى: دخلت عليه.

الحق أن تندبيني بعد مجلسك هذا، فأما عينيك فلن أملكها.

قال: فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين؛ استخلف.

قال: ما أجدُ أحق بهـذا الأمر من هؤلاء النفر -أو الرهط- الذين توفى رسـول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ: فسـمىَّ عليًّـا، وعثـمان، والزبـير، وطلحة، وسعدًا، وعـبد الرحمن[1]، وقال: يشـهدكم عبد الله بن عـمر، وليس له من الأمر شىء - كهيئة التعـزية له - فإن أصابت الإمرة سعدًا فهو ذاك، وإلا فليسـتعن به أيكم ما أُمِّر، فـإنى لم أعزله عن عجز ولا خـيانة، وقال: أوصى الخليفة من بعدى بالمهـاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم، ويحـفظ لهم حـرمتـهم، وأوصـيـه بالأنصـار خيـرًا، الذين تبـوءوا الدار والإيمان[2] من قبلهـم، أن يقبل من محـسنهم، وأن يعفى من مـسيـئهم، وأوصيه بأهل الأمـصار خيرًا، فإنهم رِدْءُ الإسـلام (أى: عون الإسلام الذى يدفع عنه)، وغـيظ العدو (أى: يغيظـون العدو بكثرتهـم وقوتهم)، وأن لا يؤخـذ منهم إلا فضلهم عن رضـاهـم (أى: إلا ما فـضل عنهم). وأوصـيه بالأعراب خيرًا، فإنهم أصلُ العـرب، ومادة الإسلام، أن يؤخذ من حواشى أموالهم (أى: التى ليست بخيار)، ويرد على فـقرائهم، وأوصيه بذمة الله، وذمة رسوله ﷺ (أى: أهل الذمة) أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من وراءهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم»[3].

---

(١) قال الحـافظ فى الفتح (٧/ ٨٤): واقتـصار عمـر على الستة من الـعشرة لا إشكال فـيه؛ لأنه منهم، وكذلك أبو بكر، ومنهم أبو عـبيدة، وقد مـات قبل ذلك، أما سعـيد بن زيد فهو ابن عم عـمر فلم يسمه عمر فيهم مبالغة فى التبرى من الأمـر، وقد صرح المدائنى بأسانيده، أن عمر عد سعيد بن زيد فيـمن توفى النبى ﷺ وهو عنه راضٍ، إلا أنه استـثناه من أهل الشورى لقـرابته منه، وقـد صرح بذلك المدائنى بأسانيده، قال: «فقال عمر: لا أرب لى فى أموركم فأرغب فيها لأحد من أهلى» اهـ.

(٢) أى: سكنوا المدينة قبل الهجرة.

(٣) صحيح: رواه البخارى رقم (٣٧٠٠) كتاب المناقب، باب قصة البيـعة والاتفاق على عثمان بن عفان رضي الله عنه وفيه مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فلما قُبض خرجنا به فانطلقنا نمشى، فسلم عبد الله بن عمر قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت: أدخلوه، فأُدخل فوضع هنالك مع صاحبيه[(١)].

وفاة ذى النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه

* **عن مسلم أبى سعيد مولى عثمان:** أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أعتق عشرين مملوكًا له، ودعا بسراويل فشدّها عليه - ولم يلبسها فى جاهلية ولا إسلام -، وقال: إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم البارحة فى المنام ورأيت أبا بكر وعمر، وإنهم قالوا: اصبر، فإنك تفطر عندنا القابلة. ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقُتل وهو بين يديه[(٢)].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا عثمان، إن الله مُقمِّصُك قميصًا، فإن أرادك المنافقون على خلعه، فلا تخلعه حتى تلقانى**»[(٣)].

لله درُّه فى محنته.. محنةٌ هبطت بها شراسةُ المتآمرين إلى السَّفح، وارتفع بها تسامح الخليفة إلى القمة.

لقد سيطر على روع الخليفة واجب - وهو يرى المدَّ المتآمر - بدا له - يومئذ - أنه أهم الواجبات وأقدسها؛ ذلكم هو «المحافظة الكاملة على هيبة الدولة وسلطانها». فهذه الفتنة المخربة، والتمرد الآبق، يهدفان إلى هدم كيانها ودحر قيمها، واعتصامُ الدولة بكبريائها وسلطانها، فيصبح واجبها الأول ومسئوليتها المقدسة... لقد وعى خليفتنا عهد رسول الله إليه ببصر ثاقب، وحمل مسئوليته بعزم مجيد.

---

(١) بتصرف من أئمة الهدى/للشيخ محمد حسان وعوض الجزار.

(٢) قال الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٣٢): رواه عبد الله وأبو يعلى فى «الكبير» ورجالهما ثقات.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٣٧٠٥) كتاب المناقب، وابن ماجه (١١٣) فى المقدمة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٤٧).

من شاء أن يبصر علو الهمة فى الاستمساك، فى أجلِّ وأروع وأبهى صوره، لا للفوضى، حتى ولو كان فيها قتلهُ: تُواتيه فرصة قتال الثُوّار وقتلهم، فيرفضها.

ومع هذا، حين أخرج الثُوّار ورقتهم الأخيرة، ورفعوا عقائرهم فى جُرأةٍ ضاربةٍ: «إما اعتزال عثمان، وإما قتله». فى ثبات مُذهل يرفض الخليفة أن يعتزل.

لقد رفض عثمان أن يعتزل؛ لأنه «رجل مسئوليات» من طراز فريد.

وهذا الخُلق كان مخبوءًا تحت ستار تواضعه وحيائه، وما كنا سنراه متألقًا كالشمس فى رابعة النهار، إلا فى أزمة كهذه.. ومحنة كهذه.. وموقف كهذا الموقف الزاخر العظيم... أفيرضخ ويُسلِّم مصاير الإسلام، وكرامة الدولة، لعصابةٍ مفتونة؟ لا، وألف لا.

قال له ابنُ عمر: «لا تَسُنّ هذه السنة فى الإسلام، ولا تخلع قميصًا ألبسكه الله».

منعوه زُوّاده، ومنعوه الماء.. الذى تتفجر به بئر رومة التى اشتراها من خالص ماله وأهداها للمسلمين.

سبحان الله! ما أعلى هذه الهمة... صبر على حقن الدماء ولو سالت دماؤه... وحافظ على هيبة الدولة ولو ذُبح.

حاصروه أربعين يومًا، وعنده فى الدار من المهاجرين والأنصار قريبٌ من سبعمائة وخلقٌ من مواليه، ولو تركهم لمنعوه، فقال لهم: أُقسم على من لى عليه حقّ أن يكُفَّ يده، وأن ينطلق إلى منزله. وقال لرقيقه: من أغمدَ سيفه فهو حُرٌّ.

ولما اشتدَّ حصار الثُوار لداره، قال للصحابة الذين تجمَّعوا حول داره

نُيـــواجـهـوا الثُـــوَّار بالســلاح: «إن أعـظمكم عنى غَنَــاءً، رجلٌ كفَّ يده وسلاحه!!».

ويقول لأبى هريرة وقد جــاء شاهرًا سلاحه مُدافـعًا عنه: «أما إنك والله لو قتلت رجلاً واحدًا، لكأنما قتلت الناس جميعًا».

ويقول للحسن والحسين وابن عمر وعبد الله بن الزبير، وشباب الصحابة الذين أخذوا مكانهم لحـراسته: «أُناشدكم الله وأســألكم به، ألا تُراق بسبى محْجَمَة دمٍ».

قال ابن عمر: جاء (علىٌّ) إلى عثمان يوم الدار، وقد أغلق الباب ومعه الحسن بن علــى وعليه سلاحـه، فقــال للحسن: ادخُل إلى أميـر المؤمنين، وأقرئه السلام، وقُل له: إنما جئتُ لنُصرتك، فـمُرنى بأمرك. فدخل الحسن ثم خــرج، فقــال لأبيه: إن أمـير المؤمنين يُقـرئك السلام، ويقـول لك: لا حاجة لى فى قتال وإهراق الدماء.

قال: فنزع (علىٌ) عمامةً سوداء فرمى بها بين يدى الباب، وجعل ينادى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾(1)(2).

واستســلم عثمان لأمر الله رجــاء موعوده، وشوقًــا إلى رسوله ﷺ، ليكون خيرَ ابنى آدم:

﴿إِنِّى أُرِيدُ أَن تَبُــوءَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَــتَكُونَ مِنْ أَصْــحَــابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَــزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾(3).

كان عثمــان أكثر الناس يقينًا بصدق رؤياه.. ســينطلق فى عُرسه العظيم إلى رحاب الله وجوار محمد ﷺ ورحلة الخلود.

---

(١) سورة يوسف: الآية: (٥٢).

(٢) التبصرة: (١/ ٤٣١).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٢٩).

ولما أصابوا كفه قال: «والله إنها لأول يد خطَّت المُفصل وكتبت آى القرآن»..
وسال الدم على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(١).

لقد كان همه ألا تسقط راية الخلافة من يمينه.. وألا يلقى الله - حين يلقاه - وعلى يديه قطرةٌ واحدة من دماء مسلمة.

وحين تمدد جثمانه الطهور، كان كتاب الله لصيقه وصديقهُ.. ومَنْ أولى بذلك منه؟! وهو الذى وحَّده، وحفظه وافتداه.

ضحَّوا بأشمط عُنوان السُّجود به
يُقطِّعُ الليلَ تسبيحًا وقُرآنًا (٢)

وفاة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه

لقد بشَّره النبى ﷺ بالشهادة من قبل، وكان (علىّ) رضي الله عنه لا ينسى أبدًا تلك البشرى العظيمة، فكان على يقين من أنه سيُقتل شهيدًا مهما طال عليه العمر.

فعن زيد بن وهب، قال: «قدم علىٌّ على قوم من أهل البصرة من الخوارج، فيهم رجل يقال له: الجعد ابن بعجة، فقال له: اتق الله يا علىٌّ فإنك ميِّت.

فقال له علىٌّ رضي الله عنه: «بل مقتول، ضَرْبة على هذا، يقصد قَرْنه، تخضب هذه-، يعنى لحيته من رأسه - عهد معهود، وقضاء مقضى، وقد خاب من افترى».

وعن أبى مجلز قال: جاء رجل من مراد إلى (علىّ) وهو يصلى فى المسجد، فقال: احترس فإن ناسًا من مراد يريدون قتلك فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يُقدَّر عليه، فإذا جاء القدر خليًّا بينه وبينه، وإن

(١) سورة البقرة: الآية: (١٣٧).
(٢) صلاح الأمة / د. سيد حسين (٦/ ٦٤ - ٦٦) بتصرف.

الأجل جُنة حصينة[١].

وقال الأصبغ الحنظلى: لما كانت الليلة التى أصيب فيها علىٌّ - كرَّم الله وجهه - أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل، فعاد الثانية وهو كذلك، ثم عاد الثالثة، فقام علىٌّ يمشى، وهو يقول:

اشـدُدْ حـيـازيمك للمـوت
فـإن المـوت لا قـيـكـا
ولا تجـزع مـن المـوت
إذا حَـلَّ بـواديـكـا

أما عن قصة قتله رضي الله عنه: فلقد اجتمع ثلاثة نفر من الخوارج وهم: عبد الرحمن بن ملجم، والبرك بن عبد الله، وعمرو بن بكر التميمى فتذاكروا أمر الناس وعابوا ولاتهم ثم ذكروا (أهل النهر) فترحموا عليهم وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئًا، إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم والذين كانوا لا يخافون فى الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم فَأَرَحْنَا منهم البلاد وثأرنا بهم لإخواننا.

فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم على بن أبى طالب، وقال البرك: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص، تعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منا عن صاحبه الذى توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه فأخذوا أسيافهم فسموها - وضعوا عليها السُّم - واتعدوا لخمس عشرة تخلو من رمضان سنة (٤٠ هـ) أن يثب كلٌّ على صاحبه الذى توجه إليه، وأقبل كل رجل منهم على المصر - المكان - الذى فيه صاحبه.

فأما ابن ملجم وكان عداده فى كِندة فخرج حتى أتى الكوفة، ولم يخبر مَن بها من إخوانه شيئًا كراهة أن يظهر، وكان بالكوفة من تيم الرباب عشرة

(١) صفة الصفوة (١/ ١٣٤ - ١٣٥).

وفيهم امـرأة يقال لها (قطام ابنة الشجنة) قَتَلَ عَـلِيٌ أباها وأخاها يوم النهر، وكانت فـائقة الجمـال، فلما رآها أذهلته عـما جاء له فـخطبها فـقالت: لا أتزوجك حتـى تشفى لى. قال: ومـا يشفـيك؟ قالت: ثلاثة آلاف وعـبد، وقينة (جارية مـغنية) وقَتْل على بن أبى طالب قال: هو لك مـهر، أما على فلم أرك ذكـرتيه لى وأنت تـريدينني قالت: بل التـمس غـرته فإن أصَبْتَ شفيت نفسك ونفسى وتهنأ بالعيش معى وإن قُتلتَ فما عند الله خير وأبقى من الدنيا وزينتها وزينة أهلها، فقال لها: والله ما جئت هذا المصر إلا لذلك ثم اختارت له مـساعدًا من قومهـا واختار هو مساعـدًا آخر، ولما كانت ليلة الجمعة ١٥ رمضان سنة (٤٠هـ) ترصدوا له حتى خرج يريد صلاة الصبح، فـضـربه ابن ملـجم فى قـرنه بالسـيف وهو يـنادى: الحكم لله لا لك ولا لأصحابك. ففزع الذين كانوا بالمسجد للصلاة[١].

ولقى الإمام ربه - أخيرًا - مصابًا بضربة سـيف مسموم. . كما لقيه من قبل عمر الفاروق، مصابًا بضربة خنجر محموم!

وتأبى عظمة البطل إلا أن يكون آخر مشهد فى حـياته جديرًا بها أكثر ما تكون الجدارة، ودالاً على حقيقته أصدق ما تكون الدلالة. . !

فإنه لم يكد يتلقى ضربة القدر فى رأسه، حتى حُمِل إلى داره. .

وإذ هو فى لحظات الكارثة هذه، يأمر حامليه والحـافِّين حوله أن يذهبوا إلى المسجد، ليدركوا صلاة الفـجر قبل أن تُؤذن بفوات. . هذه الصلاة التى كان يتهيأ لها حين حال الاغـتيال الأثيم بينه وبين بلوغها أو إتمامها. . وحين يفـرغون من صـلاتهم، ويعودون إليـه كـما يعـود فى نفس الوقت، بعض الرجال ممسكـين بالقاتل - عبـد الرحمن بن ملجم - يفـتح الإمام عـينيه، فتقعان عليه. فيهز رأسه فى أسى حين يعرفه ويقول:

---

(١) نقلاً من (الخلفاء الراشدون) للشيخ حسن أيوب (ص ٣١٩: ٣٢٠) بتصرف.

- أهو أنت؟! لطالما أحسنْتُ إليك. . ؟

ويُلقى البطل العظيم على وجوه بنيه وأصحابه نظرة، فيراها تتفجَّر غيظًا، وتضطرم نقمة، ويُحسُّ بَرد الموت يَسرى فى أوصاله، ويكاد يرى المصير الذى سيحيق بـ «ابن ملجم». يكاد يرى الانتقام المروِّع الذى سيثأر به أولاده وأصحابه، فيتقدم هو فى إصرار ليحمى قاتله من أيَّة مجاوزة أو تخطٍّ لحدود القصاص المشروع.

وهكذا ناداهم إليه، وخرجت الكلمات من فمه مبحوحة متقطعة لترسم فى «العظمة الإنسانية» التى أفاءها القرآن على «علىّ» لوحة باهرة.

قال لبنيه، ولأهله:

«أحْسنُوا نُزَلَه. . وأكرموا مَثْوَاه. .

فإن أعشْ، فأنا أوْلَى بدمه قصاصًا أو عَفوًا. .

وإن أمُتْ، فألحقُوه بى، أُخاصِمه عند رب العالمين. .

ولا تقتلُوا بى سواه. .

إن الله لا يحبُّ المعتدين». . !! [١].

قال العلماء بالسير: ضربه عبد الرحمن بن ملجم بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من رمضان. وقيل: ليلة إحدى وعشرين منه. سنة أربعين. فبقى الجمعة والسبت، ومات ليلة الأحد، وغسَّله ابناه وعبد الله بن جعفر، وصلَّى عليه الحسن، ودُفن فى السَحَر [٢].

عن محمد بن على بن أبى طالب أنّ عليًّا لما ضُرِب أوصى بنيه، ثم لم ينطق إلا بـ «لا إله إلا الله» حتى قبضه الله [٣].

* * *

(١) خلفاء الرسول / خالد محمد خالد (٥٩٨/ ٥٩٩) بتصرف.

(٢) صفة الصفوة (١/ ١٣٥).

(٣) الثبات عند الممات (١٠٣).

وفاة خال رسول الله ﷺ
سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه

بعد حياة طويلة مليئة بالبذل والتضحية والجهاد فى سبيل الله نام سعد رضي الله عنه على فراش الموت ليُسلم روحه إلى بارئها - جل وعلا - وليلحق بالحبيب ﷺ فى جنة الرحمن.. فهو من العشرة المبشرين بالجنة.

عن مصعب بن سعد أنه قال: كان رأس أبى فى حجرى، وهو يُقضَى. فبكيتُ، فرفع رأسه إلىَّ، فقال: أى بُنىَّ ما يبكيك؟ قلت: لمكانك وما أرى بك. قال: لا تبك فإن الله لا يعذبنى أبدًا. وإنى من أهل الجنة (١).

قال الإمام الذهبى: قلتُ: صدق والله، فهنيئًا له.

وعن الزهرى أن سعد بن أبى وقاص لما احتُضر، دعا بخَلَق جبة صوف، فقال: كفنونى فيها، فإنى لقيتُ المشركين فيها يوم بدر، وإنما خبأتها لهذا اليوم»(٢).

وعن أم سلمة أنها قالت: لما مات سعد، وجىء بسريره، فأُدخل عليها، جعلت تبكى وتقول: بقية أصحاب رسول الله ﷺ (٣).

ومات سعد فى قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة، فحُمل على رقاب الرجال إلى المدينة وصلى عليها مروان بن الحكم، وهو يومئذ والى المدينة، ثم صلى عليه أزواج النبى ﷺ فى حُجرهن، ودُفن بالبقيع(٤).

---

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ١/ ١٠٤) نقلاً من السير للذهبى (١/ ١٢٢).

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٤٩٦)، والطبرانى فى الكبير (٣١٦)، وذكره الهيثمى فى المجمع (٣/ ٢٥) وقال ورجاله ثقات إلا أن الزهرى لم يدرك سعداً.

(٣) السير للإمام الذهبى (١/ ١٢٣).

(٤) صفة الصفوة (١/ ١٤٧).

أمين الأمة الشهيد أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه

● **عن أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه قال:** «إنى كنت مع أبى عبيدة، وإن الطاعون وقع بالشام، وإن عمر كتب إليه: إذا أتاك كتابى هذا، فإنى أعزم عليك، إن أتاك مصبحًا أن لا تُمسى حتى تركب، وإن أتاك ممسيًا أن لا تصبح حتى تركب إلىّ، فقد عرضت لى إليك حاجة، لا غنى لى عنك فيها. فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب قال: إن أمير المؤمنين يستبقى مَن ليس بباق. فكتب إليه أبو عبيدة: إنى فى جند من المسلمين لن أرغب بنفسى عنهم، وقد عرفت حاجة أمير المؤمنين فحلِّلنى من عزمتك. فلما جاء عمر الكتاب بكى، فقيل له: توفى أبو عبيدة؟ قال: لا، وكأن قَدْ - أى قرب -[١].

أصيب أبو عبيدة فى طاعون عمواس «وأرسل معاذ بن جبل الحارث بن عُمير إلى أبى عُبيدة، يسأله: كيف أنت؟ فأراه أبو عبيدة طعنة بكفه فبكى الحارث بن عمير إلى أبى عبيدة، وَفرَق منها حين رآها، فأقسم أبو عبيدة بالله، ما يحبُّ أن له مكانها حُمْر النَّعَم»[٢].

وفاة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

لقد بشَّره النبى ﷺ بأنه سيموت شهيدًا - بإذن الله جل وعلا -.

فعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء. فتحرك.

(١) **إسناده صحيح:** أخرجه الهيثم بن كليب فى «مسنده»، والطحاوى فى «معانى الآثار»، والبيهقى، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر العسقلانى فى «بذل الماعون فى فضل الطاعون» تحقيق أحمد عصام عبد القادر ص (٢٧١) - دار العاصمة - الرياض.

(٢) **إسناده حسن:** أخرجها البزار، والطبرانى. وحسّن إسناده ابن حجر العسقلانى فى «بذل الماعون» ص (٢٦٦ - ٢٦٧).

فقال رسول الله ﷺ: «**اسكُن حراءُ! فما عليك إلا نبىٌّ أو صدِّيق أو شهيد**»، وعليه النبى ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ وطلحةُ والزبير وسعد بن أبى وقاص ﷺ (١).

فلما علم طلحة بأنه سيموت شهيدًا.. وذلك بعد أن سمع تلك البشرى من الحبيب ﷺ ظل يبحث عن الشهادة فى مظانها.

موقفه يوم الجمل... والشهادة فى سبيل الله

عن علقمة بن وقاص الليثى قال: لما خرج طلحة والزبيرُ وعائشة للطلب بدم عثمان عرَّجوا عن منصرفهم بذات عرق، فاستصغروا عُروة بن الزبير، وأبا بكر بن عبد الرحمن فردُّوهما، قال ورأيت طلحة، وأحبُّ المجالس إليه أخلاها، وهو ضارب بلحيته على زوره، فقلت: يا أبا محمد! إنى أراك وأحَبُّ المجالس إليك أخلاها، إن كنت تكره هذا الأمر فدعه، فقال: يا علقمة! لا تلمنى، كنا أمس يدًا واحدة على مَنْ سوانا، فأصبحنا اليوم جبلين من حديد، يزحف أحدنا إلى صاحبه، ولكنه كان منى شىء فى أمر عثمان، مما لا أرى كفَّارته إلا سَفْكَ دمى، وطلب دمه(٢).

قال الإمام الذهبى - رحمه الله - قلت: الذى كان منه فى حق عثمان تمغفلٌ وتأليبٌ فعله باجتهاد، ثم تغير عندما شاهد مصرع عثمان، فندم على ترك نُصرته ﷺ، وكان طلحةُ أول من بايع عليًّا، أرهقه قتلة عثمان، وأحضروه حتى بايع(٣).

ولكن طلحة والزبير ﷺ اعتزلا تلك الحرب فلم يقاتلا، وذلك عندما رأيا (عمارًا) يقاتل فى صف (علىّ) فتذكرا قول النبى ﷺ لعمار: «**تقتلك**

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤١٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٧٢)، وفيه «فى طلب دمه» بدل «وطلب دمه» وسكت الحاكم عنه ولكن الذهبى قال فى مختصره: سنده جيد. وهو كما قال.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبى (١/ ٣٥).

الفئة الباغية»[١] .

وكان طـلحة والزبيـر رضي الله عنهما فى جيش مـعاوية رضي الله عنه الذى يقـاتل عمـارًا رضي الله عنه فخشيا من الخوض فى هذا القتال. ومما زاد حـماسهما لاعتزال تلك الحرب - قول علىّ بن أبى طالب للزبيـر -: يا زبير أنشـدك الله هل سمعـت رسول الله ﷺ يقول: «**تقاتله وأنت له ظالم؟**» قال - الزبير -: أذكر، ثم مضى الزبير منصرفًا[٢] .

فانسحب طلحة والزبيـر وقُتلا أثناء اعتزالهما لتلك الحـرب، فأما الزبير فقد تعقّبه رجل اسمه «عمرو بن جرموز» فقتله غدرًا.

وأما طلحة فيقال: إنه جاءه سهم غرب - أى لا يُدرى من الذى رماه-.

وقيل: إن الذى رماه هو مروان بن الحكم.

فعن قـيس قال: رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحـة يومئذٍ بسهم، فوقع فى ركبته، فما زال ينسحُّ حتى مات[٣] .

وعن أبى سبـرة قال: نظر مروان بن الحكم إلـى طلحة بن عبـيد الله يوم الجمل فقال: لا أطلب بثأرى بعد اليوم فرماه بسهمٍ فقتله»[٤] .

قال الإمام الذهبى - رحمه الله - قلت: قاتل طلحة فى الوزر بمنزلة قاتل (علىّ). . . . وعن (علىّ) قال: «بشّروا قاتل طلحة بالنار»[٥] .

وعن طلحة بن مطرف: أن عليًّا انتهى إلى طلحـة وقد مات، فنزل عن دابته وأجلسـه، ومسح الغبـار عن وجهه ولحيـته وهو يترحم عليـه، وقال: «ليتنى مِتُّ قبل هذا بعشرين سنة»[٦] .

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٤٧) كتاب الصلاة، ومسلم (٢٩١٥) كتاب الفتن.

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٦٦) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبى.

(٣) أخرجـه الحاكم (٣/ ٣٧٠) وابن سعد (٣/ ١/ ١٥٩) مطولاً، وأورده الحـافظ فى الإصابة (٥/ ٢٣٥) وقال: سنده صحيح.

(٤) أورده الحافظ فى الإصابة (٥/ ٢٣٥) وقال: إسناده صحيح.

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبى (١/ ٣٦، ٣٧).

(٦) قال الهيثمى فى المجمع (٩/ ١٥٠): رواه الطبرانى وإسناده حسن.

وعن قيس بن عبادة قال: «سمعت عليًّا رضي الله عنه يوم الجمل يقول لابنه الحسن: «يا حسن، وددتُّ أني كنتُ متُّ منذ عشرين سنة»[(١)].

وعن أبي حبيبة - مولى لطلحة - قال: دخلت على (عليّ) مع عمران بن طلحة بعد وقعة الجمل فرحَّب به وأدناه ثم قال: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك ممن قال فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[(٢)(٣)].

سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما

يلتقي (أبو حذيفة) بأخيه في الله (سالم) رضي الله عنهما على أرض الشرف والجهاد - في غزوة بدر - يقاتلان في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله فأثلج الله صدور المؤمنين بهذا النصر المؤزّر على المشركين.

وظل أبو حذيفة وسالم رضي الله عنهما يجاهدان في سبيل الله - جل وعلا - مع النبي ﷺ في كل غزواته حتى توفي الحبيب ﷺ واستخلف المسلمون أبا بكر رضي الله عنه وخاض المسلمون حروب الردة التي كانت في قمة الشراسة والضراوة.

وحان وقت الرحيل

وفي معركة اليمامة التي كانت بين المسلمين وبين مسيلمة الكذاب قام أبوحذيفة وسالم رضي الله عنهما يضربان المثل في الشجاعة والإقدام والبحث عن الشهادة في سبيل الله أينما كانت.

وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة وراية الأنصار مع ثابت ابن قيس... واصطدم المسلمون والكفار.

---

(١) قال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٥٠): رواه الطبراني وإسناده جيد.

(٢) سورة الحجر: الآية: (٤٧).

(٣) أخرجه ابن سعد (٣/ ١/ ١٦٠) والطبري في تفسيره (١٤/ ٣٦) - وتفسير ابن كثير (٤/ ١٦٤).

وقاتلت بنو حنيفة (حلـفاء مسليمة الكذاب) قتالاً لم يُعـهد مثله وجعلت الصحابة يتواصون بينهم ويقولون يا أصحاب سورة البقرة، بَطَل السحر اليوم، وحفر ثابت بن قيس لقدميـه فى الأرض إلى أنصاف ساقيه، وهو حامل لواء الأنصار بعدمـا تحنَّط وتكفَّن، فلم يزل ثابتًا حتى قُتل هناك، وقـال المهاجرون لسالم مولى أبى حذيفة: نخشى أن نؤتَى من قِبلك؟ فقال: بئس حامل القرآن أنا إذًا، وقال زيد بن الخطاب: أيها الناس عضوا على أضراسكم واضربوا فى عدوكم وامـضوا قُدمًـا، وقال: والله لا أتكلم حتى يهـزمهم الله أو ألقى الله فأكلمـه بحجتى، فـقُتل شهيـدًا رضي الله عنه وقال أبو حذيفـة: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال، وحمل فيهم حتى أبعدهم وأصيب رضي الله عنه[1].

وأما سـالم رضي الله عنه فقد أخـذ اللواء بيمينه فـقُطعت، ثم تناولها بشـماله، فقُطعت. ثم اعتنق اللواء وجعل يقرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾[2] إلى أن قُتل[3].

لله در سالم من سيد. . . . لله دره من قارئ. . لله دره من بدرى. .

هو أحد القـرّاء الأربعة الذين أمـر النبى صلى الله عليه وسلم بأخذ القـرآن عنهم. . . فلما كان يوم اليمامة وانكشفِ صف المسلمين حفر سالم لنفسه حفرة وتحنط بحنوطه وأمسك براية المهـاجرين، فقالوا له: يا سـالم، إنا نخشى أن نؤتَى من قِبَلك. فقال رضي الله عنه: بئس حامل القرآن إذًا أنا.

قال ابن الجوزى: «حضر اليمامة فـأخذ اللواء بيمينه فقُطعت ثم شاله[4] بشمـاله فقطعت، ثم اعتنق اللواء، وجـعل يقرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ إلى أن قتل»[5].

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٦/ ٣٢٩).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٤٤).

(٣) رواه أبو نعيم فى الحلية (١/ ٣٧٠).

(٤) أى: رفعه.

(٥) «الثبات عند الممات» ص (١٠٤)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٨٥).

وهكذا يموت سيد القرّاء فى الميدان. . . ومن أولى بهذا منه، وقد قال فيه رسول الله ﷺ : «**الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله**»[(١)].

وقبل أن تخرج روحه الشريفة وهو فى الرمق الأخير يبحث عن رفيق عمره الذى كان يتمنى من أعماق قلبه أن يجمعه الله به فى جنته كما جمعه به فى تلك الحياة على طاعته.

وإذا بالحق - جل جلاله - يجمع بينهما ويرزقهما الشهادة فى يوم اليمامة بل إن سالمًا وُجد هو ومولاه أبو حذيفة رأس أحدهما عند رجلى الآخر صريعين[(٢)].

ولسان حال كل واحدٍ منهما: غدًا نلتقى فى الجنة إخوانًا على سُررٍ متقابلين.

مصعب بن عمير رضي الله عنه

كانت خاتمته السعيدة فى غزوة أُحد.

فلقد حمل مصعب اللواء يوم أُحُد، فلما جال المسلمون ثبت به مصعب، فأقبل ابن قمئة فضرب يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾[(٣)]. وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه فضربها فقطعها، فحنا على اللواء وضمَّه بعضديه إلى صدره وهو يقول: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾، ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه.

وقال ابن سعد: وقال عبد الله بن الفضل: قُتل مصعب، وأخذ اللواء مَلَكٌ فى صورته، فجعل النبى ﷺ يقول له فى آخر النهار: تقدَّم يا مصعب، فالتفت إليه الملك وقال: لست بمصعب فعرف النبى ﷺ أنه ملك أُيِّد به[(٤)].

---

(١) ذكره الهيثمى فى المجمع (٩/ ٢٦٥) وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. وانظر الإصابة (٢/ ٧).
(٢) رواه الحاكم فى المستدرك (٣/ ٢٢٥) نقلاً من السير (١/ ١٦٩).
(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٤٤).
(٤) صفة الصفوة (١/ ١٦٢).

قال ابن إسحاق: وقاتَلَ مصعبُ بن عُمـير دون رسول الله ﷺ حتى قُتل، قتله ابن قمئة الليثى، وهو يظنه رسول الله. فرجع إلى قريش، فقال: قتلتُ محمداً. . . فلما قُتل مصعب أعطى رسول الله ﷺ اللواء عليَّ بن أبى طالب، ورجالاً من المسلمين(١).

وعن عـبيـد بن عمـير قـال: لما فرغ رسول الله ﷺ مـن أُحد مرَّ على مصـعب بن عمير مـقتولاً على طريقه فـقرأ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (٢).

ادخار الأجر لمصعب يوم القيامة

وبعد أن سالت دماء بطلنا على أرض الشرف والجهاد وقام الحبيب ﷺ يتفقد القتلى، فلما أشرف عليهم قال ﷺ: «**أنا شهيدٌ على هؤلاء، إنَّه ما من جريحٍ يُجرحُ فى سبيل الله، إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جُرحه، اللونُ لون دمٍ، الريحُ ريح مسك، وانظروا أكـثر هؤلاء جمـعًا للقرآن، فـاجعلوه أمام أصـحابه فى القبر**» - وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة فى القبر الواحد (٣).

وعند جثمان مصعب سالت دموعه ﷺ .

قال خبّاب بن الأرتّ: هاجرنا مع النبى ﷺ نريدُ وجه الله فوقع أجرنُا على الله فمنا مَنْ مـضى لم يأخذ من أجره شيـئًا منهم مصْعبُ بن عُـمير، قُتل يـوم أُحد وترك نمرةً فكنا إذا غطينا بهـا رأسهُ بدت رجـلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأســه فأمـرنا النبىُّ ﷺ أن نغطِّى رأسه وأن نجعـل على رجليه شيئًا من إذخر، ومنا من أينعت له ثمرتُهُ فهو يهدبُها(٤).

---

(١) السيرة لابن هشام (٢/ ٧٣) وابن سعد (٣/ ١/ ٨٥).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٢٣).

(٣) رواه أحمد (٥/ ٤٣١) والـنسائى (٤/ ٧٨) وقال جمـال ثابت فى تخريج السيرة النبـوية لابن هشام: رجاله رجال الصحيح.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٧٦) كتاب الجنائز، ومـسلم (٩٤٠) كتاب الجنائز.

وظل أصحاب الحبيب ﷺ يذكرون مصعبًا فى كل وقت لم يغب وجهه عنهم لحظة واحدة.

فهذا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أُتى بطعام - وكان صائمًا - فقال: قُتل مصعب بن عمير - وهو خيرٌ منى - كُفِّن فى بُردة إن غُطِّى رأسه بدت رجلاه، وإن غُطِّى رجلاه بدا رأسُهُ، وأراه قال: وقُتل حمزة - وهو خير منى - ثم بُسط لنا من الدنيا ما بُسط أو قال أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا - وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجِّلت لنا - ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام[1].

سعد بن معاذ رضي الله عنه

نحن نعلم أن سعد بن معاذ رضي الله عنه كان من أعظم أسباب انتشار الإسلام فى المدينة عندما أسلمت قبيلته كلها على يديه.

ونعلم أيضًا موقفه فى مؤازرة النبى ﷺ فى غزوة بدر وموقفه فى غزوة الأحزاب.

وفى يوم الأحزاب أُصيب سعد بسهم فقطع عرقه فقام سعد يدعو ويقول: اللهم لا تُمتنى حتى تُقر عينى من بنى قريظة - وذلك لأنهم خانوا العهد مع رسول الله ﷺ - فتماسك الدم فى عرقه.

ثم دعاه النبى ﷺ بعد ذلك ليحكم على يهود بنى قريظة فقال سعد: فإنى أحكم فيهم أن تُقتل مقاتلتهم وتُسبى ذراريهم وتُقسم أموالهم، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله - عز وجل - وحكم رسوله**» قال: ثم دعا سعد فقال: اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١٢٧٥) كتاب الجنائز.

شيئًا فأبقنى لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضنى إليك. فانفجر كَلمه - جُرحه - وكان قد برأ إلا مثل الخرص[١].

ورجع إلى قبته التى ضرب عليه رسول الله ﷺ قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر. قالت: فوالذى نفس محمد بيده إنى لأعرف بكاء عمر من بكاء أبى بكر وأنا فى حجرتى، وكانوا كما قال الله - عز وجل-: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٢].

وها هو الحبيب ﷺ يدخل على سعد وهو يكيد نفسه فقال: «**جزاك الله خيراً من سيد قوم، فقد أنجزت الله ما وعدته. وليُنجزنَّك الله ما وعدك**»[٣].

فها هو سعد بن معاذ يهتز لموته عرش الرحمن - جل جلاله -.

قال ﷺ: «**اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ**»[٤].

وعن أسماء بنت يزيد بن سكن قالت: لما توفى سعد بن معاذ صاحت أمه فقال النبى ﷺ: «**ألا يرقأ دمعك ويذهب حزنك بأن ابنك أول من ضحك الله له واهتز له العرش**»[٥].

الملائكة تحمل جنازة سعد

عن محمود بن لبيد قال: لما أُصيب أكحلُ سعد فثقل، حولُّوه عند امرأة يقال لها رُفيدة تُداوى الجرحى. فكان النبى ﷺ إذا مر به يقول: كيف أمسيت، وكيف أصبحت؟ فيخبره حتى كانت الليلة التى نقله قومه فيها وثقل، فاحتملوه إلى بنى عبد الأشهل إلى منازلهم، وجاء رسول الله، فقيل: انطلقوا به.

(١) الحلقة الصغيرة من الحلمة.

(٢) سورة الفتح: الآية: (٢٩).

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٣/ ٢/ ٩) قال الأرناؤوط: رجاله ثقات.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٠٣) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٤٦٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٥) أخرجه الطبرانى (٦/ ١٢)، قال الهيثمى (٩/ ٣٠٩) : رجاله رجال الصحيح، والحاكم (٣/ ٢٢٨) وقال: صحيح الإسناد، وصححه الذهبى فى التلخيص، وابن أبى شيبة (٧/ ٢٦٦)، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ظلال الجنة (٥٥٩).

فخرج وخرجنا معه، وأسرع حتى تقطعت شسوعُ نعالنا، وسقطت أرديتنا، فشكا ذلك إليه أصحابه، فقال: «إني أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة فتغسله كما غسلت حنظلة» فانتهى إلى البيت، وهو يُغسَّل، وأمه تبكيه وتقول:

ويل أم سعد سعدا

حزامةً وجدّا

فقال: «كُلُّ باكية تكذبُ إلا أم سعد» ثم خرج به. قال: يقول له القوم: ما حملنا يا رسول الله ميتًا أخفَّ علينا منه. قال: «**ما يمنعه أن يخفَّ وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قطُّ قبل يومهم، قد حملوه معكم**»[١].

سعد بن معاذ وضمة القبر

عن جابر رضي الله عنه **قال:** خرجنا مع رسول الله ﷺ يومًا إلى سعد بن معاذ حين تُوفي. قال: فلما صلى عليه رسول الله، ووُضع في قبره، وسُوي عليه سبّح رسول الله ﷺ تسبيحًا طويلاً. ثم كبَّر فكبرنا. فقيل: يا رسول الله! لِمَ سبحت ثم كبرت؟ قال: لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله - عز وجل - عنه[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**هذا العبد الصالح الذي تحرك له العرش، وفُتحت أبواب السماء، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك، لقد ضُمَّ ضمَّة ثم أُفرج عنه**» يعني سعداً [٣].

قال الإمام الذهبي - رحمه الله -: قلت: هذه الضمة ليست من عذاب القبر في شيء، بل هو أمر يجده المؤمن كما يجد ألم فقد ولده وحميمه في

---

(١) **صحيح:** رواه ابن سعد (٣/ ٢/ ٧، ٨) وحسنه الأرناؤوط في السير (١/ ٢٨٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٥٨).

(٢) **ضعيف:** رواه أحمد (٣٠/ ٣٦٠، ٣٧٧) وصححه الحاكم (٣/ ٢٠٦) مختصراً ووافقه الذهبي وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (١٣٥).

(٣) **صحيح:** أخرجه النسائي (٢٠٥٥) كتاب الجنائز، وابن سعد (٣/ ٢/ ٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٩٨٧).

الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه، وألم خروج نفسه، وألم سؤاله فى قبره وامتحانه، وألم تأثره ببكاء أهله عليه وألم قيامه من قبره، وألم الموقف وهوله، وألم الورود على النار، ونحو ذلك. فهذه الأراجيفُ كُلها قد تنالُ العبد وما هى من عذاب القبر، ولا من عذاب جهنم قط، ولكن العبد التقى يرفُقُ الله به فى بعض ذلك أو كله، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾[1] وقال: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾[2] فنسأل الله تعالى العفو واللطف الخفى. ومع هذه الهزات، فسعدٌ ممن تعلم أنه من أهل الجنة، وأنه من أرفع الشهداء رضي الله عنه كأنك يا هذا تظن أن الفائز لا ينالُه هولٌ فى الدارين، ولا روع ولا ألم، ولا خوف. سل ربك العافية، وأن يحشرنا فى زمرة سعد[3].

مناديل سعد بن معاذ فى الجنة

عن أبى إسحاق قال: سمعتُ البراء يقول: أُهديت لرسول الله ﷺ حُلةُ حريرٍ، فجعل أصحابه يلمسونها، ويعجبون من لينها، فقال: «**أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة، خيرٌ منها وألين**»[4].

وعن أنس رضي الله عنه أنه أُهدى لرسول الله ﷺ جُبةٌ من سندس، وكان ينهى عن الحرير، فعجب الناس منها، فقال: «**والذى نفسُ محمدٍ بيده! إن مناديل سعد بن معاذ فى الجنة، أحسنُ من هذا**»[5].

قال الإمام النووى - رحمه الله -: قال العلماء هذه إشارة إلى عظيم منزلة سعد فى الجنة، وأن أدنى ثيابه فيها خير من هذه؛ لأن المناديل أدنى

---

(١) سورة مريم: الآية: (٣٩).

(٢) سورة غافر: الآية: (١٨).

(٣) السير للإمام الذهبى (١/ ٢٩٠ - ٢٩١).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٩) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٤٦٨) كتاب فضائل الصحابة.

(٥) أخرجه مسلم (٢٤٦٩) عن أنس رضي الله عنه.

الثياب؛ لأنه مُعدٌّ للوسخ والامتهان فغيره أفضل، وفيه إثبات الجنة لسعد[(١)] .

عمار بن ياسر رضي الله عنهما

لما وقعت الفتنة بين (على) و(معاوية) رضي الله عنهما كان عمار رضي الله عنه فى صف على رضي الله عنه .

وكان قد بلغ من العمر يومئذٍ ثلاثًا وتسعين سنة. وكان عمار بن ياسر قليل الكلام، طويل السكوت، وكان عامةُ قوله: عائذٌ بالرحمن من فتنة، عائذ بالرحمن من فتنة، فعرضت له فتنة عظيمة[(٢)] .

وعن عمار بن ياسر أنه قال: وهو يسير إلى (صفين) إلى جنب الفرات: اللهم لو أعلم أنه أرضَى لك عنى أن أرمى بنفسى من هذا الجبل فأتردى فأسقط فعلت، ولو أعلم أنه أرضى لك عنى أن أُلقى نفسى فى الماء فأُغرق نفسى فعلت، وإنى لا أقاتل إلا أريد وجهك وأنا أرجو أن لا تخيِّبنى وأنا أريد وجهك... يا لها من كلمات تُصدع الأفئدة وتفتت الجبال.

وعن أبى البخترى قال: قال عمَّار يوم صفين: ائتونى بشربة لبن، قال: فشرب، ثم قال: قال رسول الله ﷺ : **«إنَّ آخر شربة تشربها من الدنيا شربةُ لبن»** ثم تقدم فقُتل[(٣)] .

وعنَّ الزهرى: عن أبيه، عمَّن حدثه: سمع عمارًا بصفِّين يقول: أزفت الجنان، وزُوِّجت الحور العين. اليوم نلقى حبيبنا محمدًا ﷺ[(٤)] .

---

(١) مسلم بشرح النووى (١٦/ ٣٤).

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/ ١/ ١٨٣) وأبونعيم فى الحلية (١/ ١٤٥).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٣١٩)، قال الهيثمى (٧/ ٢٤٣) : رواه أحمد والطبرانى، وبيَّن أن الذى سقاه أبوالمخارق ، ورجال أحمد رجال الصحيح إلا أنه منقطع . وابن أبى شيبة (٧/ ٥٥٢)، وأبو يعلى (٣/ ١٨٨)، والحاكم (٣/ ٤٣٩) وقال : صحيح على شرط الشيخين . وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبى (١/ ٤٢٥).

وقُتل عــمار رضي الله عنه ونزفت دماؤه الشــريفة التى لطالما امــتزجت بُحب الله وحُب رسوله ﷺ ، ولطالما احترقت شوقًا لنُصرة دين الله - جل وعلا .

أما عــمار فـقد حـمله الإمــام علىّ فوق صــدره إلى حيث صلّى عليــه والمسلمون معه . . ثم دفنه فى ثيابه . .

أجل - فى ثيــابه المُضمَّخــةِ بدمه الزكىِّ الطهــور . . فما فــى كُلِّ حرير الدنيا وديباجها ما يصلُح أن يكون كفنًا لشهيد جليل من طراز عمار .

ووقف المسلمون على قبره يعجبــون . . !! منذ ساعات كان (عمار) يُغرِّدُ بينهم فــوق أرض المعركــة . . . تملؤ نفــسه غــبطة الغــريب المُضنى يُزفُّ إلى وطنه ، وهو يصيح : {اليوم ألقى الأحبة ، محمدًا وصحبه} . . !!! (١)

وكيف لا يلقاهم وقد «اشتاقت الجنة إلى عمار» .

فهنيــئًا لك أيها الصــحابى الجليل . . وهنيــئًا لمن اكتحــلت عيناه برؤيتك ورؤية أصحاب الحبيب ﷺ . . وهنيئًا ثم هنــيئًا لمن اكتحلت عيناه وانشرح صدره برؤية الحبيب ﷺ .

وهكذا رحل عمــار الذى اشتاقت الجنة إليــه . . . . رحل عن دنيا الناس ليجمع الله بينه وبين أبيه وأمه فى جنته مع الحبيب محمد ﷺ .

* * *

---

(١) رجال حول الرسول ﷺ (ص ٢٧٩).

جعفر بن أبى طالب ﷺ

بعث رسول الله ﷺ سرية إلى مؤتة فى جمادى الأولى من سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال ﷺ : «**إن أُصيب زيد فجعفر ابن أبى طالب على الناس، فإن أُصيب جعفر، فعبد الله ابن رواحة على الناس**».

فمضوا إلى أرض البلقاء من أرض الشام حتى نزلوا (معانًا) من أرض الشام، وبلغهم أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم، ومائة ألف من المستعربة.

ثلاثة آلاف من الأبطال والشجعان من حملة القرآن، أمام عَبَدة الصُّلبان - عليهم لعائن الرحمن- فى ذلك الزمان، وفى كل أوان.

فالتقى الناس فاقتتلوا، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط فى رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل القوم حتى قُتل.

اقتحم جعفر عن فرس له شقراء، ثم عقرها؛ فكان جعفر أول المسلمين عقَرَ فى الإسلام، ثم قاتل القوم حتى قُتل وهو يقول:

يا حبَّذا الجنة واقترابها

طيبةٌ وباردٌ شرابها

والروم رومٌ قد دنا عذابها

كافرة بعيدة أنسابها

علىّ إذْ لاقيتها ضِرابها

قال ابن هشام: وحدثنى من أثق به من أهل العلم أن جعفرًا أخذ اللواء بيمينه فقُطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قُتل، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث يشاء.

وفى رواية: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «أمَّرَ رسول الله ﷺ فى غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ : **«إن قُتل زيدٌ فجعفرٌ، وإن قُتل جعفرٌ فعبد الله بن رواحة. قال عبد الله: كُنتُ فيهم فى تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبى طالب فوجدناه فى القتلى، ووجدنا ما فى جسده بضعًا وتسعين من طعنة ورمية»**(١).

ولقد نعى النبى ﷺ الثلاثة لأصحابه وبشّرهم بشهادتهم فى سبيل الله.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه **قال:** «قال النبى ﷺ : **«أخذ الراية زيدٌ فأُصيب ثم أخذها جعفرٌ فأُصيب، ثم أخذها جعفرٌ فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب** - وإن عينى رسول الله ﷺ لتذرفان - **ثم أخذها خالدُ بن الوليد من غير إمرة ففُتحَ له»**(٢).

وعن نافع أن ابن عمر أخبره: وقفت على جعفر يومئذ وهو قتيلٌ فعددتُ به خمسين طعنةً وضربةً، ليس منها شىءٌ فى دُبُرِهِ - يعنى فى ظهره -»(٣).

وها هو يطير بجناحيه فى الجنة مع الملائكة

عن ابن عباس رضي الله عنهما **قال:** قال رسول الله ﷺ : **«دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها، فإذا جعفر يطير مع الملائكة، وإذا حمزة متكئ على سريره»**(٤).

«وكان ابن عمر إذا حيّا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذى الجناحين»(٥).

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٤٢٦١) كتاب المغازى عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) صحيح: رواه البخارى (١٢٤٦) كتاب الجنائز.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤٢٦٠) كتاب المغازى عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (٢/١٠٧) والحاكم (٣/٢١٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٥٨).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٣٧٠٩) كتاب المغازى.

قال ابن كثير: «لأن الله تعالى عوضه عن يديه بجناحين فى الجنة»[١].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: **«رأيت جعفر بن أبى طالب مَلَكًا يطير فى الجنة مع الملائكة بجناحين»**[٢].

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

* **عن أنس بن مالك قال:** دخلنا على عبد الله بن مسعود نعوده فى مرضه فقلنا: كيف أصبحت أبا عبد الرحمن؟

قال: أصبحنا بنعمة الله إخوانًا.

قلنا: كيف تجدك يا أبا عبد الرحمن؟

قال: أجد قلبى مطمئنًا بالإيمان.

قلنا: ما تشتكى أبا عبد الرحمن؟

قال: أشتكى ذنوبى وخطاياى.

قلنا: ما تشتهى شيئًا؟

قال: أشتهى مغفرة الله ورضوانه.

قلنا له: ألا ندعو لك طبيبًا؟ قال: الطبيب أمرضنى[٣].

* **وعن أبى ظبية قال:** مرض عبد الله، فعاده عثمان، وقال: ما تشتكى؟ قال: ذُنوبى، قال: فما تشتهى؟ قال: رحمةَ ربى، قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيبُ أمرضنى. قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لى فيه[٤].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢٥٦).

(٢) **صحيح:** رواه الترمذى (٣٧٦٣) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٤٥٩).

(٣) «كتاب المحتضرين» ص (٢٣٨ - ٢٣٩)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١٤/ ٢٧٠).

(٤) «السير» (١/ ٤٩٨).

خالد بن الوليد رضي الله عنه
سيف الله وفارس الإسلام

* **عن أبى الزناد:** أن خالد بن الوليد لما احتُضِر بكى، وقال: لقيتُ كذا وكذا زحفًا، وما فى جسدى شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء[(١)].

رضى الله عن البطل سيف الله الذى قال: ما من ليلة يُهدى إلىّ فيها عروس أنا لها محب أحب إلىّ من ليلة شديدة البرد، كثيرة الجليد فى سريّة أُصبّحُ فيها العدو[(٢)].

* **وعن أبى وائل قال:** لما حضرت خالدًا الوفاةُ قال: لقد طلبت القتل مظانّه فلم يُقَدَّر لى إلا أن أموت على فراشى. وما من عملى شىء أرجى عندى بعد التوحيد من ليلة بتُّها وأنا متترس، والسماء تهلّنى ننتظر الصبح؛ حتى نُغير على الكفار. ثم قال: إذا مت، فانظروا إلى سلاحى وفرسى، فاجعلوه عدة فى سبيل الله»[(٣)].

* * *

(١) «السير» (١/ ٣٨٢). والعير: الحمار.
(٢) «السير» (١/ ٣٧٥)، و«المجمع» (٩/ ٣٥٠)، وقال الهيثمى: رجاله رجال الصحيح.
(٣) «السير» (١/ ٣٨١)، و«الإصابة» (٣/ ٧٤)، وابن المبارك فى «الجهاد»، وإسناده حسن.

ثابت بن قيس رضي الله عنه

لقد بشّره النبى ﷺ بالجنة.

فعن أنس بن مالك أنه قال: لما نزلت هذه الآية **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾**(١) إلى آخر الآية.. جلس ثابت بن قيس فى بيته وقال: «أنا من أهل النار» واحتبس عن النبى ﷺ فسأل النبىُّ ﷺ سعد ابن معاذ فقال: **«يا أبا عمرو ما شأن ثابت؟ أشتكى؟»** قال سعد: إنه لجارى وما علمت له بشكوى - مرض - قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ فقال ثابت: أُنزلت هذه الآية ولقد علمتم أنى من أرفعكم صوتًا على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار. فذكر ذلك سعد للنبى ﷺ فقال رسول الله ﷺ: **«بل هو من أهل الجنة»**(٢).

فما زال ثابت يبحث عن الشهادة فى مظانِّها... ففى كل غزوة غزاها يقول فى نفسه. لعلى أنال الشهادة هنا... وظل هكذا يتلهف شوقًا لهذا اليوم الذى يلقى الله فيه شهيدًا فى سبيل إعلاء كلمة (لا إله إلا الله).

إلى أن جاءت حروب الردة التى كانت الدولة فيها فى أكثر المعارك لمسيلمة الكذاب حتى وصل الأمر أن اقتحموا فسطاط - خيمة - خالد بن الوليد وهمّوا بقتل زوجته أم تميم.

وكان ثابت بن قيس وقتها هو حامل لواء الأنصار.

فلما رأى الضعف والوهن قد دبَّ فى صفوف المسلمين قام فقال: أُفٍّ لهؤلاء ولمَا يعبدون! وأُف لهؤلاء ولما يصنعون! يا معشر الأنصار، خلُّوا

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١١٩) كتاب الإيمان.

سنى لعلى أصلى بحرها ساعةً، ورجل قائم على ثُلْمَةٍ، فقتله وقُتل.

وعن أنس قال: جئته وهو يتحنط، فقلت: ألا ترى؟ فقال: الآن يا ابن أخى. ثم أقبل، فقال: هكذا عن وجوهنا نقارعُ القوم، بئس ما عوَّدتم أقرانكم، ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ، فقاتل حتى قُتل[1].

وعن أنس: أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة، وقد تحنَّط ولبس ثوبين أبيضين، فكُفِّن فيهما، وقد انهزم القوم، فقال: اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، وأعتذر من صنيع هؤلاء، بئس ما عوّدتم أقرانكم، خلُّوا بيننا وبينهم ساعة، فحمل، فقاتل حتى قُتل»[2].

وخرَّ البطل صريعًا على أرض الشرف والجهاد، وقد نال الشهادة التى لطالما كان يتمناها والتى بشَّره بها حبيبه ﷺ. وأسلم البطل نفسه ليكون فى حواصل طير خُضر تأوى إلى تلك القناديل المعلقة عند عرش الرحمن وليسرح فى أنهار الجنة وليكون من تلك الثلة المؤمنة ﴿**مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا**﴾[3].

أبو طلحة الأنصارى رضي الله عنه

عاش أبو طلحة رضي الله عنه حياته عابدًا صائمًا قائمًا مجاهدًا فى سبيل الله.

عن أنس بن مالك أن أبا طلحة سرَد الصوم بعد وفاة رسول الله ﷺ أربعين سنة لا يفطر إلا يوم فطر أو أضحى أو فى مرض[4].

---

(١) **صحيح:** رواه البخارى (٢٨٤٥) كتاب الجهاد.

(٢) أخرجه الحكم (٣/ ٢٣٤، ٢٣٥) وصححه ووافقه الذهبى.

(٣) سورة النساء: الآية: (٦٩).

(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٣/ ٣٥٣) وقال: هذا الحديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

وفى رواية عن أنس قال: كان أبو طلحة بعد النبى ﷺ لا يُفطر إلا فى سفرٍ أو مرض[١].

كرامة ثابتة
لأبى طلحة بعد موته

وها هو فى آخر أيامه رضي الله عنه لكن شيخوخته ما حالت بينه وبين الجهاد فى سبيل الله حتى آخر قطرة من دمه.

عن أنس أن أبا طلحة قرأ سورة (براءة) فأتى على هذه الآية ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾[٢] فقال: ألا أرى ربى يستنفرنى شابًّا وشيخًا؟ جهزونى.

فقال له بنوه: قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى قُبض، وغزوت مع أبى بكر حتى مات، وغزوت مع عمر، فنحن نغزو عنك فقال: جهِّزونى فجهَّزوه، فركب البحر فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير[٣].

وهناك فى هذا المكان البعيد عن الأهل والعشيرة والأصحاب يُدفن أبو طلحة.

وإن كان مكانه بعيدًا عن أعيننا إلا أنه ليس بعيدًا عن عين الله - جل وعلا - الذى سيَجبر كَسره يوم القيامة فى جنات النعيم مع الحبيب ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

* * *

(١) أخرجه ابن سعد (٣/٦٠٥)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٢) سورة التوبة: الآية: (٤١).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/٣٥٣) وابن حبان (٢٢٥١) وذكره الهيثمى فى المجمع (٩/٣١٣) وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

بلال مؤذن الرسول ﷺ

ظل بلال رضي الله عنه يؤذن لرسول الله ﷺ طوال حياته، فلما انتقل الحبيب ﷺ إلى الرفيق الأعلى وحان وقت الصلاة قام بلال يؤذن في الناس - والنبي الكريم ﷺ مُسجّى[١] لم يُدفن بعد - فلما وصل إلى قوله: «أشهد أن محمداً رسول الله»... خنقته العَبَراتُ... واحتبس[٢] صوته في حلقه... وأجهشَ المسلمون في البكاء، وأغرقوا في النحيب. ثم أذَّن بعد ذلك ثلاثة أيام. فكان كلما وصل إلى قوله: «أشهدُ أن محمداً رسول الله»؛ بكى وأبكى... عند ذلك طلب من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ أن يُعفيهُ من الأذان بعد أن أصبح لا يحتملهُ[٣][٤].

وطلب من أبي بكر رضي الله عنه أن يأذن له بالخروج إلى الشام للجهاد والمرابطة.. وكان الصدّيق يحبه حبًّا جمًّا، فتردد في بادئ الأمر، فقال له بلال: «**إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فأمسكني، وإن كنت إنما اشتريتني لله فدعني وعمل الله**»[٥].

وظل في بلاد الشام عابداً زاهداً ينتظر اليوم الذي يلحق فيه بالحبيب ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

ونام أول وأعظم مؤذّن عرفته الدنيا (على فراش الموت).

قال سعيدُ بن عبد العزيز: لما احتُضرَ بلال قال: غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه، قال تقولُ امرأته: واويلاه! فقال: وافرحاه![٦]

---

(١) مُسجًّى: مغطًّى.

(٢) احتبس صوته في حلقه: لم يستطع الكلام.

(٣) لا يحتمله: لا يطيق أن يؤذن في غياب رسول الله ﷺ.

(٤) صورة من حياة الصحابة (ص٣٢١).

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٥٥) كتاب فضائل الصحابة.

(٦) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (١/ ٣٥٩).

أسد الله وأسد رسول الله ﷺ حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

إنه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه . . أسد الله وأسد رسول الله ﷺ الذى بذل حياته كلها لنُصرة دين الله جل وعلا.

قاتل فى يوم بدر قتالاً شديداً. . . وفى يوم أُحد كان يقاتل بسيفين وهو يقول: أنا أسد الله.

وفى يوم أُحد قتله وحشى لينال الشهادة بل وليكون سيد الشهداء يوم القيامة كما أخبر بذلك النبى ﷺ .

روحه فى جوف طير خضر تردُ أنهار الجنة

هكذا رحل (أسد الله) عن الدنيا - ليس شهيداً فحسب، بل سيداً للشهداء - وفاز بتلك المنقبة العظيمة التى أخبر عنها الحبيب ﷺ بعد الغزوة.

عن ابن عباس قال: قال النبى ﷺ : **«لما أُصيب إخوانكم بأُحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خُضر تردُ أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: مَنْ يُبلِّغ إخواننا عنا أننا أحياء فى الجنة نُرزق لئلا ينكلوا عند الحرب ولا يزهدوا فى الجهاد، قال الله: أنا أبلغهم عنكم، فأُنزلت: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾**[1][2].

---

(١) سورة آل عمران: الآية : (١٦٩).

(٢) قال الأرناؤوط: رجاله ثقات، ورواه أبو داود (٢٥٢٠) فى الجهاد: باب فى فضل الشهادة، =

التمثيل بجسده الطاهر رضي الله عنه

ولم يكتف أعداء الله بقتله، بل مثّلوا بجسده، فإنه عندما بحث الصحابة ومعهم الحبيب ﷺ عن (حمزة) وجدوه قد بُقر بطنه، واحتمل وحشيٌّ كبده إلى (هند) فى نذرٍ نذرته حين قُتل أبوها يوم بدر.

فدُفن فى نمرة كانت عليه، إذا رُفعت إلى رأسه، بدتْ قدماه، فغطُّوا قدميه بشىء من الشجر[١] . . . وتأتى اللحظة الأليمة التى وقف فيها رسول الله ﷺ أمام جسد عمه حمزة الذى كان يحبه من كل قلبه. . . فها هو الآن قد فارق الدنيا كلها.

فعن أنس قال: لما كان يومُ أُحُد وقف رسولُ الله ﷺ على حمزة وقد جُدع ومُثِّل به، فقال: «**لولا أن تجد صفيةُ فى نفسها، لتركتُه حتى يحشره الله من بطون السباع والطير**»[٢].

كرامة ثابتة (لأسد الله) بعد موته

قال ﷺ: «**رأيت الملائكة تغسّل حمزة بن عبد المطلب وحنظلة بن الراهب**»[٣].

= والحاكم (٢/ ٨٨، ٢٩٧). وأخرجه مسلم فى صحيحه (١٨٨٧) من طريق الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، قال سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: **أرواحهم فى جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أىّ شىء نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات. فلما رأوا أنهم لن يُتركوا من أن يُسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نُقتل فى سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا**».

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى (١/ ١٧٩).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣١٣٦) كتاب الجنائز، والترمذى (١٠٢٧) كتاب الجنائز، وأحمد (١١٨٩١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٣٢٤).

(٣) أخرجه الطبرانى (١١/ ٣٩١)، قال الهيثمى (٣/ ٢٣): إسناده حسن، والبيهقى (٤/ ١٥)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٤٦٣).

وعن جابر بن عبد الله قال: لما أراد معاويةُ أن يُجرى عينه التى بأُحُد كتبوا إليه: إنّا لا نستطيع أن نُجريها إلا على قبور الشهداء، قال فكتب: انبُشوهم. قال: فرأيتُهُم يُحملَون على أعناق الرجال كأنهم قوم نيام، وأصابت المسحاةُ طرف رِجل حمزة بن عبد المطلب فانبعثت دمًا[1] . . . وكأنه قد مات الآن.

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

* عن زياد - مولى ابن عباس - عن بعض أصحاب النبى ﷺ قال: دخلنا على حذيفة فى مرضه الذى مات فيه، فقال: اللَّهم إنك تعلم لولا أنى أرى أن هذا اليوم أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، لم أتكلم بما أتكلم به، اللَّهم إنك تعلم أنى كنت أختار الفقر على الغنى، وأختار الذلة على العزِّ، وأختار الموت على الحياة ،حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم[2] .

* وعن أبى مسعود قال: أُغمى على حذيفة، فأفاق فى بعض الليل فقال: يا أبا مسعود، أى الليل هذا؟ قال: السَّحَر. قال: عائذ بالله من جهنم. . . مرتين[3] .

* وعن أسد بن وداعة قال: لما مرض حذيفة مرضه الذى مات فيه، قيل له: ما تشتهى؟

---

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ٧).

(٢) «الثبات عند الممات» ص (١٢١ - ١٢٢)، و«حلية الأولياء» (١/ ٢٨٢)، و«كتاب المحتضرين» ص(٢٣٦).

(٣) «حلية الأولياء» (١/ ٢٨٢)، و«مصنف ابن أبى شيبة» (١٣/ ٣٨٠)، و«وصايا العلماء» ص (٥٣)، و«كتاب المحتضرين» ص (١٣٥)، و«كتاب الثبات» ص (١٢١ - ١٢٢).

قال: أشتهى الجنة. قالوا: فما تشتكى؟ قال: الذنوب. قالوا: أفلا ندعو لك الطبيب؟

قال: الطبيب أمرضنى. لقد عشت فيكم على خلالٍ ثلاث:

لَلْفقر فيكم أحب إلىّ من الغنى، وللضِّعة فيكم أَحبّ إلىّ من الشرف، وإن من حمدنى منكم ولامنى فى الحق سواء.

ثم قال: أصبحنا؟ أصبحنا؟

قالوا: نعم.

قال: اللَّهم إنى أعوذ بك من صباح النار. حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم[1].

أبو أيوب الأنصارى رضي الله عنه

رفع الله ذكره لما اختار بيته دون بيوت المسلمين جميعًا لينزل فيه النبى ﷺ... وفى شيخوخته كان عجبًا.

* حين جهّز معاوية رضي الله عنه جيشًا بقيادة ابنه «يزيد» لفتح القسطنطينية، وكان أبو أيوب آنذاك شيخًا طاعنًا فى السن يحبو نحو الثمانين من عمره، فلم يمنعه ذلك من لقاء العدوِّ، لكنه لم يمض غيرُ قليل على منازلة العدو، حتى مرض أبو أيوب مرضًا أقعده، فأتاه يزيد يعوده، فقال: حاجتك؟ قال: نعم، إذا أنا مت فاركب بى، ثم تبيَّغ[2] بى فى أرض العدو ما وجدت مساغًا، فإذا لم تجد مساغًا، فادفنى ثم ارجع، فلما مات ركب به، ثم سار

---

(١) «الثبات عند الممات» ص (١٢٢)، و«الحلية» (١/ ٢٨٢)، و«كتاب المحتضرين» ص(١١٢)، و«صفة الصفوة» (١/ ٦١٤).

(٢) «تبيغ به الدم: أى: تردّد فيه، وعند ابن سعد، وابن عساكر، و«أسد الغابة»: سغ أى: ادخل فيها ما وجدت مدخلاً.

به، ثم دفنه. وكان يقول: قال الله: ﴿**انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً**﴾[١]، لا أجدنى إلا خفيفًا أو ثقيلاً.

وعند ابن سعد: عن أبى ظبيان، قال: أغـزى أبو أيوب فمرض، فقال: إذا مت فاحملونى، فـإذا صاففتم العدو، فارمـونى تحت أقدامكم. أما إنى سأحدثكم بحديث سمعتـه من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا؛ دخل الجنة**»[٢].

وتحت أسوار القسطنطينية دُفن أبو أيوب الأنصارى رضي الله عنه.

أبو سلمة رضي الله عنه

ينام هذا الصحـابى الجليل على فـراش الموت وتأتـيه فى تـلـك اللحظة الحاسمة أعظم بشـرى يتحصل عليها مسلمٌ فى تلـك الحياة الدنيا: ألا وهى دعوة رسول الله ﷺ له.

عن أم سلمـة قالت: دخل رسـول الله ﷺ على أبى سلمة وقـد شُقَّ بصرُه فأغمضه ثم قال: «**إن الروح إذا قُبض تبعه البصر**» فضجَّ ناسٌ من أهله فقال: «**لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يُؤمِّنون على ما تقولون**» ثم قال: «**اللهم اغفـر لأبى سلمة، وارفع درجـته فى المهديين، واخلـفه فى عقـبه فى الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له فى قبره ونوِّر له فيه**»[٣].

* * *

(١) سورة التوبة: الآية: (٤١).

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/ ٤٨٤ - ٤٨٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٩٢٠) كتاب الجنائز عن أم سلمة رضي الله عنها.

عمرو بن الجموح رضي الله عنه

أسلم عمرو بن الجموح رضي الله عنه وكانت نفسه تهفو إلى الجهاد في سبيل الله (جل وعلا) مع أنه ليس عليه جهاد؛ لأنه كان أعرج شديد العرج.

وتمضى الأيام مسرعة ومازال عمرو تهفو نفسه ويشتاق قلبه إلى الفوز بالشهادة في سبيل الله على الرغم من أن الله قد عذره من فوق سبع سماوات.

لقد كان رضي الله عنه أعرج شديد العرج، وكان له أربعة أبناء شباب يغزون مع رسول الله ﷺ، فلما توجهوا إلى أُحُد أراد أن يخرج معهم فقال له بنوه: إن الله جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك، وقد وضع الله عنك الجهاد... فأتى عمرو رسول الله ﷺ فقال: إن بنَّى هؤلاء يمنعوننى أن أجاهد معك، ووالله إنى لأرجو أن أستشهد، فأطأ بعرجتى فى الجنة، فقال له رسول الله ﷺ: «**أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد**» وقال لبنيه: «**وما عليكم أن تدعوه، لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة**» فخرج مع رسول الله ﷺ، فقُتل يوم أُحد شهيدًا»[1].

قالت امرأته هند أخت عبد الله بن عمرو بن حرام: كأنى أنظر إليه قد أخذ دَرَقته وهو يقول: اللهم لا تردَّنى.

هكذا كان يتمنى الشهادة من كل قلبه ولا يتمنى أن يرجع سالمًا غانمًا فقد علم أن الغنيمة التى لا ينبغى أن تفوته أبدًا هى الفوز بالشهادة، ومن ثَمَّ بالخلود فى جنة الرحمن - جل وعلا - فلما كان يوم أُحُد قال

---

(١) **صحيح**: رواه ابن هشام (٢/ ١٣٩) عن ابن إسحاق وبعضه فى المسند (٥/ ٢٩٩) من حديث أبى قتادة، وصحح الألبانى إسناده فى تحقيق فقه السيرة هامش (٢٨١).

رسول الله ﷺ : «**قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض أُعدت للمتقين**» فقام وهو أعرج فقال: «والله لأقحزنَّ[١] عليها فى الجنة»، فقاتل حتى قُتل[٢].

وفى رواية: أنه «أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ ، فقال: يا رسول الله! أرأيت إن قاتلتُ فى سبيل الله حتى أُقتل أأمشى برجلى هذه صحيحة فى الجنة؟ وكانت رجله عرجاء، فقال رسول الله ﷺ : «**نعم**». فقُتل يوم أُحد هو وابن أخيه ومولى له، فمر رسول الله ﷺ ، فقال: «**كأنى أنظر إليك تمشى برجلك هذه صحيحة فى الجنة**» فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما فجُعلوا فى قبرٍ واحد[٣].

وقال ابن إسحاق: عن أشياخ من بنى سلمة: أن رسول الله ﷺ ، قال يومئذٍ، حين أمر بدفن القتلى: «**انظروا إلى عمرو بن الجموح، وعبد الله بن عمروٍ بن حَرام، فإنهما كانا متصافيين فى الدنيا فاجعلوهما فى قبرٍ واحد**»[٤].

كرامة ثابتة (لعمرو) بعد موته

وفى أيام معاوية رضي الله عنه كان السيلُ قد خرَّب قبرهما، فحفر عنهما ليُغيَّرا من مكانهما، فوُجدا لم يتغيَّرا، كأنما ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد جُرح، فوضع يده على جرحه، فدُفن كذلك، فأُميطت يدُه عن جُرحه، ثم أُرسلت، فرجعت كما كانت وكان بين يوم أُحُد ويوم حُفِرَ عنهما ستٌّ وأربعون سنة[٥].

---

(١) القحز: الوثب والقلق.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبى (١/ ٢٥٣).

(٣) حسن: قال العلامة الألبانى رحمه الله فى أحكام الجنائز (ص ١٤٦): أخرجه أحمد (٥ / ٢٩٩) بسند حسن كما قال الحافظ (٣ / ١٦٨).

(٤) رواه أحمد (٥/ ٢٩٩) وابن سعد (٢/ ٥٦٢) وذكره ابن حجر فى الفتح (٣/ ٢٥٦، ٢٥٧) وعزاه إلى أحمد فى مسنده بإسناد حسن.

(٥) أخرجه ابن سعد، وقال الحافظ فى الفتح (٣/ ١٧٣): صحيح.

عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه

* رأى عبد الله بن حرام مبشّر بن عبد المنذر - وكان ممن استشهد ببدر - يقول له: أنت قادم علينا فى هذه الأيام، فقصها على النبى ﷺ فقال: «**هذه الشهادة**».

* وعن جابر أن أباه قال له: «إنى مُعرِّض نفسى للقتل»(١).

* **وعن جابر قال:** لمّا حضر أُحُد، دعانى أبى من الليل، فقال: ما أرانى إلاّ مقتولاً فى أول مَن يُقتَل من أصحاب النبى ﷺ، وإنى لا أترك بعدى أعزّ علىّ منك، غير نفس رسول الله ﷺ، وإنّ علىّ ديْنًا فاقض، واستوص بأخواتك خيراً: فأصبحنا فكان أول قتيل. . .»(٢).

* **قال جابر:** لما قُتل أبى يوم أُحد، جعلت أكشف عن وجهه وأبكى، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهونى وهو لا ينهانى وجعلت عمتى تبكيه، فقال النبى ﷺ: «**تبكيه أو لا تبكيه، مازالت الملائكة تظلله بأجنحتها حتى رفعتموه**»(٣).

* **وعن جابر قال:** قال لى رسول الله ﷺ: «**ألا أخبرك أن الله كلّم أباك كفاحًا، فقال: يا عبدى، سَلْنى أُعطك. قال: أسألك أن تردّنى إلى الدنيا، فأُقتل فيك ثانيًا. فقال: إنه قد سبق منى أنهم إليها لا يرجعون. قال: يا ربّ! فأبلغ مَن ورائى. فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(٤)**»(٥).

---

(١) «فتح البارى» (٣/٢٥٦).

(٢) صحيح: رواه البخارى (١٣٥١) كتاب الجنائز.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٤٤) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٤٧١) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٦٩).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٣٠١٠) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (١٩٠) فى المقدمة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (١٣٦١).

سلمان الفارسى رضي الله عنه

* **عن أنس قال:** دخل سعد وابن مسعود على سلمان عند الموت، فبكى فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: عهـد عهده إلينا رسول الله ﷺ، لم نحفظه. قال: «**ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب**». وأما أنت يا سعد فاتق الله فى حكمك إذا حكمت، وفى قسمك إذا قسمت، وعند همك إذا هممت.

قال ثابت: فبلغنى أنه مـا ترك إلا بضعـة وعشرين درهمًـا نُفيقـة كانت عنده(١).

* **وعن الحسن قال:** بكى سلمان عند الموت، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكى ضنًّا(٢) بدنيـاكم، ولا جزعًـا من الموت، ولكن قلة الزاد، وبُعـد المفاز(٣).

* **وعن امرأة سلمـان بقيـرة قالت:** لما حضر سلمـان الموت دعانى - وهو فى علية لها أربعة أبواب فقال: افتحى هذه الأبواب فإنى لى اليوم زوار(٤)، لا أدرى من أى هذه الأبواب يدخلـون علىَّ، ثم دعـا بمسك له، ثم قـال: أديفيه فى قور(٥) ففعلت، ثم قال: انضحيه حول فراشى، ثم انزلى وامكثى فسوف تطلعين فترينى على فراشى، فاطلعت، فإذا هو قد مات(٦).

وفى «**الحلية**»: فإذا هو قد أُخذ روحه فكأنه نائم على فراشه.

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ١٩٥، ١٩٦)، (٢/ ٢٣٧)، و«مسند أحمد» (٥/ ٤٣٨)، وانظر: «السير» ترجمة سلمان (١/ ٥٠٥ - ٥٥٨).

(٢) ضنًّا: بفتح الضاد وكسرها، أى: بخلاً وحرصًا.

(٣) «كتاب المحتضرين» ص(٢٢٣ - ٢٢٤).

(٤) وفى رواية: «إنه يحضرنى خلق من خلق الله عز وجل - يجدون الريح ولا يأكلون الطعام».

(٥) أدافه: خلطه وأذابه فى الماء، والقور: إناء صغير.

(٦) «الثبات عند الممات» ص (١٢٠ - ١٢١)، و«الحلية» (١/ ٢٠٨)، و«وصايا العلماء عند الموت» ص(٤٤).

عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

عن عروة بن الزبير قال: بعث النبى بعثًا إلى مؤتة فى جمادى الأولى من سنة ثمان واستعمل عليهم زيد بن حارثة فقال لهم: إن أُصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس، فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم ودَّع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم فلما وُدِّع عبد الله بن رواحة مع من وُدِّع بكى، فقيل: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: والله ما بى حب الدنيا وصبابة، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾[1] فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود، فقال لهم المسلمون: صحبكم الله ورفع عنكم، وردَّكم إلينا صالحين، فقال عبد الله بن رواحة:

لكنّنى أسألُ الرحمنَ مغفرةً
وضربةً ذات فزع تقذفُ الزّبدا

أو طعنةً بيدى حرانَ مجهزةً
بحربة تنفذ الأحشاءَ والكبدا

حتى يقولوا إذا مرّوا على جَدَثى
أرشدهُ اللهُ من غاز وقد رشدا

ثم إن القوم تهيأوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله ﷺ يودعه فقال:

يثبتُ الله ما أتاكَ من حُسن
تثبيتَ موسى ونصرًا كالذى نصروا

---

(١) سورة مريم: الآية: (٧١).

إنى تفرّستُ فيكَ الخيرَ نافلةً
فراسةً خالفتهم فى الذى نظروا
أنتَ الرسولُ فمن يُحرَم نوافله
والوجهَ منهُ فقد أزرى به القدرُ

ثم خرج القوم وخرج رسول الله ﷺ يشيعهم حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم قال عبد الله بن رواحة:

خلف السلام على امرئٍ ودعته
فى النخيل غير مودع وكليل

ثم مضوا حتى نزلوا (معان) من أرض الشام فبلغهم أن هرقل فى باب من أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم، وقد اجتمعت إليهم المستعربة من لخم وجذام وبلقين وبهرام وبلى فى مائة ألف، عليهم رجل يلى أخذ رايتهم يقال له ملك بنى زانة، فلما بلغ ذلك المسلمين قاموا بمعان ليلتين ينظرون فى أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا فإما أن يمدنا وإما أن يأمرنا بأمره فنمضى له، فشجع عبد الله بن رواحة الناس وقال: يا قوم والله إن الذى تكرهون للذى خرجتم له تطلبون، الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة إنما نقاتلهم بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين: إما ظهور وإما شهادة.

ثم التقى الناس واقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط فى رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها فقاتل القوم حتى قُتل، وكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر فى الإسلام[1].

فلما قُتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها وهو على

---

(١) قال الهيثمى: رواه الطبرانى ورجاله ثقات إلى عروة - مجمع الزوائد (٦/١٠٧ - ١٠٩).

فرسه فجعل يستنزل نفسه وتردد بعض التردد ثم قال:

أقسمتُ يا نفس لتنزلنّه ... طائعة أو لتُكرهنّه

ما لي أراك تكرهين الجنّة ... إن أجلب الناس وشدوا الرّنة

لطالما قد كنت مُطمئنة ... هل أنت إلا نطفةٌ في شَنّة

وقال عبد الله بن رواحة:

يا نفس إلا تُقتلي تموتي ... هذا حمامُ الموت قد صليت

وما تمنيتِ فقد لقيت ... إن تفعلي فعلهما هُديت

ثم نزل فلما نزل أتاه ابن عم له بعظم من لحم فقال: اشدد بهذا صُلبك فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما قد لقيت، فأخذه من يده فانتهش منه نهشة ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال: وأنت في الدنيا، ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتل، فأخذ الراية ثابت بن أرقم أخو بني عجلان وقال: يا أيها الناس اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم ثم انحاز حتى انصرف»[(١)].

عن أنس رضي الله عنه: «أن النبي صلى الله عليه وسلم نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم: فقال: «**أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب** - وعيناه تذرفان - **حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم**»[(٢)].

---

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات (٦/ ١٥٩ - ١٦٠) مجمع الزوائد.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٧/ ٥٨٥) كتاب المغازي.

سعد بن الربيع رضي الله عنه

كان يُضرب به المثل فى الإيثار.

فعن أنس رضي الله عنه أنه قال: قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وآخى النبى ﷺ بينه وبين سعد ابن الربيع - وكان كثير المال - فقال سعد: قد علمت الأنصار أنى من أكثرها مالاً سأقسم مالى بينى وبينك شطرين - نصفين - ولى امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلَّت تزوجتها.

فقال عبد الرحمن: بارك الله لك فى أهلك. فلم يرجع يومئذٍ حتى أفضل شيئًا من سمن وأقط[1]، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى جاء رسول الله ﷺ وعليه وضرٌ من صفرة فقال له رسول الله ﷺ: «**مهيم؟**» قال: تزوجت امرأة من الأنصار، قال: «**ما سُقت فيها؟**» قال: وزن نواة من ذهب - أو نواة من ذهب - فقال: «**أولِم ولو بشاة**»[2].

وإن إعجاب المرء بسماحة (سعد) لا يعدله إلا إعجابه بنُبل (عبد الرحمن) الذى زاحم اليهود فى سوقهم وبَزّهم فى ميدانهم، واستطاع بعد أيام أن يكسب ما يعف به نفسه ويحصن به فرجه.. ذلك أن علو الهمة من خلائق الإيمان[3].

* وكان يتمنى الشهادة فى سبيل الله (جل وعلا)... وإذا به يموت شهيدًا بل ويفوز بتسليم النبى ﷺ عليه قبل موته.. بل ويشم رائحة الجنة.

قال زيد بن ثابت: بعثنى رسول الله ﷺ يوم أُحد أطلب (سعد بن

---

(١) الأقط: قطع الجبن.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٧٨١) كتاب المناقب.

(٣) فقه السيرة للشيخ الغزالى (ص: ١٩٣).

الربيع) فقال لى: «**إن رأيته فأقرئه منى السلام، وقل له: يقول لك رسول الله** ﷺ **كيف تجدك؟**» قال: فجعلت أطوف بين القتلى، فأتيته وهو بآخر رمق، وفيه سبعون ضربة: ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت: يا سعد، إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «**أخبرنى كيف تجدك؟**» فقال: وعلى رسول الله ﷺ السلام، قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة، وقل لقومى الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خَلُص إلى رسول الله ﷺ وفيكم عينٌ تطرف. وفاضت نفسه من وقته[١].

وفى رواية: أنه لما كان يوم أُحد قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ رجلٌ ينظرُ لى ما فعل سعدُ ابن الربيع؟**» فقال رجل من الأنصار: أنا. فخرج يطوف فى القتلى، حتى وجد سعدًا جريحًا مثبتًا بآخر رمق، فقال: يا سعد، إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر: أفى الأحياء أنت أم فى الأموات؟! قال: فإنى فى الأموات، فأبلغ رسول الله ﷺ السلام، وقل إن سعدًا يقول جزاك الله عنى خير ما جزى نبيًّا عن أمته وأبلغ قومك منى السلام وقل لهم: إن سعدًا يقول لكم: إنه لا عُذرَ لكم عند الله إن خُلص إلى نبيكم - أى أصابه مكروه - وفيكم عين تطرف»[٢].

* * *

(١) رواه ابن هشام (٢/ ٩٤ ، ٩٥) والحاكم (٣/ ٢٠١) وصححه ووافقه الذهبى.

(٢) الإصابة (٤/ ١٤٤) الاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ١٤٥) والسيرة لابن هشام (٢/ ٩٤ ، ٩٥).

عكرمة بن أبى جهل رضي الله عنه

نحن نعلم كيف كـان عداؤه للرسول ﷺ أكثر من عـشرين سنة لكنه أسلم فى عام الفتح وحـسن إسلامه وعاش فى صـحبة النبى ﷺ إلى أن مات النبى ﷺ وهو عنه راضٍ.

ولما كان يوم اليرموك، تقدّم خالد إلى عكرمة بن أبى جهل والقعقاع بن عمرو أن يُنشئـا القتال، فبدرا يرتجزان ودعـوا إلى البراز - المبارزة - وتنازل الأبطال وتجـاولوا، وحمـيت الحـرب وقامت علـى ساق. فنادى عكرمـة: «قاتلتُ رسول الله ﷺ فى كل موطن، وأفر منكم اليوم؟! مَنْ يبايع على الموت؟ فبايعه أربعمائة من وُجوه المسلمين وفرسانهم، فبايعه عمه الحارث بن هشام، وضـرار ابن الأزور، فاستـبسلوا وقاتلـوا قُدَّام فسطاط خـالد، حتى أُثبتوا جميـعًا جراحًا. وأُتى خالد بعكرمة جريحًا فـوضع رأسه على فخذه، وبعمرو بن عكرمـة فوضع رأسه على ساقـه، وجعل يمسح عن وجهيـهما ويقطر الماءَ فى حلقيهما.

فرضى الله عن شهيد اليرموك عكرمـة، الذى قال فيه ابن كثير: «يُقال: إنه لا يُعرف له ذنبٌ بعد ما أسلم»[(١)].

قال الشافعى: كان محمود البلاء فى الإسلام رضي الله عنه.

قال أبو إسحاق السبيعى: نزل عكرمة يوم اليرموك، فقاتل قتالاً شديدًا، ثم استشهد، فوجدوا به بضعًا وسبعين من طعنة ورمية وضربة[(٢)].

* * *

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١١) (٧/ ٣٥) والطبرى (٣/ ٤٠١).

(٢) السير للإمام الذهبى (١/ ٣٢٤).

معاوية بن أبى سفيان ﵁

* **عن عبد الأعلى بن ميمون بن مهران:** عن أبيه، أن معاوية أوصى فقال: كنت أُوَضِّئ رسول الله ﷺ فنزع قميصه وكسانيه، فرفعتُه وخبأتُ قُلامة أظفاره، فإذا متُّ فألبسونى القميص على جلدى، واجعلوا القُلامة مسحوقة فى عينى، فعسى الله أن يرحمنى ببركتها.

* **قال أبو عمرو بن العلاء:** لما احتضر معاوية، قيل له: ألا تُوصى؟ فقال: اللَّهم أقِل العثرة، واعف عن الزلة، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرج غيرك، فما وراءك مذهب. وقال:

هو الموتُ لا مَنْجَى من الموت والذى
نُحاذرُ بعد الموت أدهى وأفظع[1]

* وفى رواية أنه جعل يجود بنفسه ويقول:

إن تناقش يكن نقاشك يا رب
عذابًا لا طوق لى بالعقاب
أو تجاوز فأنت ربى رحيم
عن مسىء ذنوبه كالتراب[2]

* **وقال الحسن البصرى:**

دُخِل على معاوية، وهو بالموت، فبكى، فقيل: ما يبكيك؟

قال: ما أبكى على الموت أن حَلّ بى، ولا على دنيا أَخْلُفها، ولكن هما قبضتان: قبضة فى الجنة، وقبضة فى النار، فلا أدرى فى أى القبضتين أنا[3].

---

(١) انظر: ترجمة معاوية ﵁ فى «السير» (٣/ ١١٩ - ١٦٢).

(٢) «حسن الظن بالله» لابن أبى الدنيا ص (٩٠)، و«البداية والنهاية» (٨/ ١٥٤)، و«كتاب المحتضرين» ص(٧١).

(٣) «كتاب المحتضرين» ص(١٩٩).

* وقال رضي الله عنه :

فـــإن المـوت لم يَخْـلُق جــــديدًا
ولا هـضــــبًا تُـوَقِّلُـهُ الوبـارُ[١]

ولكن كـالـشـهـاب يضى ويخـبـو
وحــادى المـوت عنه مــا يُـجــار

فـــهل مـن خـــالـد إمـــا هـلكـنا
وهل بـالموت يـا للـناس عـــارُ[٢]

* وقال رضي الله عنه وهو يُقَلّب فى مرضه، وقد صار كأنه سعفة محترقة: أىّ شيخ تقلّبون إنْ نجّاه الله من النار غدًا؟[٣].

* **وقال رضي الله عنه لابنه يزيد:** «اعمد إلى منديل فى الخـزانة فيه ثوب من ثياب النبى ﷺ وقُـراضة من شعـره وأظفاره، فـاستـودع القراضة أنفـى وفمى وأذنى وعينى، واجعل الثوب يلى جلدى دون أكفانى.. فإذا أدرجتمونى فى جريدتى، ووضعتمونى فى حفرتى، فخلّوا معاوية وأرحم الراحمين»[٤].

* **عن مـحمد بـن سيريـن قال:** مرض مـعاوية مرضًـا شديدًا، فنزل عن السرير، وكـشف ما بينه وبين الأرض، وجعل يلزق ذا الخـدّ مرة بالأرض، وذا الخد مـرّة بالأرض، ويبكى ويقول: اللَّهم إنك قلت فى كـتابك: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾[٥]. اجعلنى ممن تشاء أن تغفر له»[٦].

---

(١) الهَضب: جمع هضبة. وهضب الرجل هَضبًا: مشى مشية البليد من الدواب.
توقّل فى الجبل: صعد فيه. الوبار: جمع وَبْر: حيوان فى حجم الأرنب قصير الذنب.

(٢) «مختصر تاريخ دمشق» (٢٥/ ٨١ - ٨٢).

(٣) «كتاب المحتضرين» ص (٦٢).

(٤) «الكامل» لابن الأثيـر (٣/ ٢٥٩ - ٢٦٠)، و«كتاب المحـتضـرين» ص (٦٨). والقراضة: الـقطعة. وجريدتى: أى: ثوبى الخلق.

(٥) سورة النساء: الآية: (٤٨).

(٦) «كتاب المحتضرين» ص (٢٢٩).

أبو هريرة رضي الله عنه

* عن سلم بن بشير أن أبا هريرة بكى في مرضه فقيل: ما يُبكيك؟ قال: ما أبكى على دنياكم هذه، ولكن على بُعد سفرى، وقلة زادى، وأنى أمسيتُ فى صُعود، ومهبطُه على جنة أو نار، فلا أدرى أيهما يؤخذ بى(١).

- اللَّهم إنى أحب لقاءك:

* **وعن سعيد بن أبى سعيد المقبرى قال:** دخل مروان على أبى هريرة رضي الله عنه فى شكواه الذى مات فيه. فقال: شفاك الله. فقال أبو هريرة: اللَّهم إنى أُحِبُّ لقاءك فأحبّ لقائى. فما بلغ مروانُ أصحاب القطا حتى مات - رحمه اللَّه - (٢). هكذا حياة الأحباب وموت الصالحين.

* **وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال:** دخلت على أبى هريرة وهو وجع شديد الوجع، فاحتضنته، فقلت: اللَّهم اشفِ أبا هريرة. فقال: اللَّهم لا ترجعها... قالها مرتين. ثم قال: إن استطعت أن تموت فمُت، فوالذى نفس أبى هريرة بيده ليأتين على الناس زمان يكون الموت أحب إلى أحدهم من الذهبة الحمراء. وليأتين على الناس زمان يمر الرجل على قبر أخيه المسلم فيتمنى أنه صاحبه(٣).

صدق أبو هريرة ونصح فقد قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتنى مكانه»(٤).

---

(١) «الزهد» لابن المبارك ص (٣٨)، و«الطبقات» لابن سعد (٤/ ٣٣٩)، و«وصايا العلماء» ص (٥٨)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٣٩، ٢٠٠ - ٢٠١)، وانظر: «السير» (٢/ ٥٧٨- ٦٣٢) ترجمة أبى هريرة.

(٢) «طبقات ابن سعد» (٤/ ٣٣٩)، و«السير» (٢/ ٦٢٥)، و«الثبات عند الممات» ص (١٣١).

(٣) «كتاب المحتضرين» ص (٢٠٤ - ٢٠٥)، و«طبقات بن سعد» (٤/ ٣٣٨)، و«حلية الأولياء» (١/ ٣٨٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٧١١٥) كتاب الفتن، ومسلم (١٥٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

أبو سفيان بن الحارث بن المطلب رضي الله عنه

تِرْب رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة.

* **عن أبى إسحاق قال:** «قال أبو سفيان بن الحارث لما حضره الموت لأهله: لا تبكوا علىّ، فما تنطَّفتُ بخطيئة منذ أسلمت»(١).

عبادة بن الصامت رضي الله عنه

* **عن عبادة بن محمد بن عبادة بن الصامت قال:**

لما حضرت عبادة بن الصامت الوفاة قال: أخرجوا فراشى إلى الصحن، يعنى إلى الدار، ثم قال: اجمعوا لى مواليّ، وخدمى وجيرانى، ومَن كان يدخل علىّ، فجُمعوا له فقال: إنّ يومى هذا لا أراه إلا آخر يوم يأتى علىَّ من الدنيا، وأول ليلة من الآخرة، وإنه لا أدرى لعلّه قد فرط منى إليكم بيدى، أو بلسانى شىء، وهو والذى نفس عبادة بيده القصاص يوم القيامة، وأُحرّج على أحد منكم فى نفسه شىء من ذلك إلا اقتصّ منى قبل أن تخرج نفسى، فقالوا: بل كنت والدًا، وكنت مؤدبًّا، قال: وما قال لخادم قط سوءًا. فقال: أغفرتم لى ما كان من ذلك؟ قالوا: نعم، فقال: اللَّهم اشهد(٢).

* * *

(١) «طبقات ابن سعد» (٤/ ٥٣)، و«كتاب المحتضرين» ص (١١٥)، و«الثبات عند الممات» ص(١٢٠)، و«روضة المحبين» ص (٣٤١)، وتنطّف، أى: تلطخ.

(٢) «وصايا العلماء عند الموت» ص (٤٨- ٤٩).

عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه

وها هو (ابن أم مكتوم) صاحب الهمة العالية الذى أنزل الله عُذره من فوق سبع سماوات يأبى إلا أن يجاهد فى سبيل الله.. ولم يعجز أن يجد له دورًا يتناسب مع قدراته لينصر دين الله - جل وعلا -.

فكان يغزو ويقول: «ادفعوا إلىَّ اللواء فإنى أعمى لا أستطيع أن أفرَّ وأقيمونى بين الصفين»[1].

وفى السنة الرابعة عشرة للهجرة عقد عمر بن الخطاب العزم على أن يخوض مع «الفرس» معركة فاصلة تُديل[2] دولتهم، وتُزيل مُلكهم، وتفتح الطريق أمام جيوش المسلمين، فكتب إلى عُمَّاله يقول: لا تدعوا أحدًا له سلاحٌ، أو فرسٌ، أو نجدةٌ، أو رأىٌ؛ إلا انتخبتموه ثم وجهتوه إلىَّ، والعَجَل العَجَلَ - السرعة -.

وطفقت جموع المسلمين تُلبِّى نداءَ الفاروق، وتنهال على المدينة من كل حدبٍ وصوب[3]، وكان فى جملة هؤلاء المجاهد المكفوف البصر عبد الله ابن أم مكتوم.

فأمَّر الفاروق على الجيش الكبير سعد بن أبى وقاص، وأوصاه وودعه.

ولما بلغ الجيش «القادسية» برز عبد الله بن أم مكتوم لابسًا درعه، مُستكملاً عُدته، وندب نفسه لحمل راية المسلمين والحفاظ عليها، أو الموت دونها.

والتقى الجمعان فى أيام ثلاثة قاسية عابسة... واحترب الفريقان حربًا لم يشهد لها تاريخ الفتوح مثيلاً حتى انجلى اليوم الثالث عن نصرٍ مُؤزرٍ للمسلمين، فدالت دولةٌ من أعظم الدول.

---

(١) أخرجه ابن سعد (٤/١/١٥٤).

(٢) تديل دولتهم: تقلب دولتهم.

(٣) من كل حدب وصوب: من كل ناحية.

وزال عرش من أعرق عروش الدنيا... ورُفعت راية التوحيد فى أرض الوثنية. وكان ثمن هذا النصر المبين مئات الشهداء... وكان بين هؤلاء الشهداء عبد الله بن أم مكتوم فقد وُجدَ صريعًا مُضرجًا بدمائه وهو يُعانق رايةَ المسلمين[(١)].

عاصم بن ثابت رضي الله عنه

على إثر غزوة بدر اتفقت قريش على أن تقوم بحرب شاملة ضد المسلمين، تشفى غيظها، وتروى غلة حقدها، وأخذت فى الاستعداد للخوض فى مثل هذه المعركة... فكانت غزوة أُحد.

وقامت نسوة قريش بنصيبهن فى المشاركة فى المعركة، تقودهن هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان، فكن يتجولن فى الصفوف، ويضربن بالدفوف، يستنهضن الرجال، ويحرضن على القتال ويثرن حفائظ الأبطال، ويحركن مشاعر أهل الطعان والضراب والنضال، فتارة يخاطبن أهل اللواء فيقلن:

وَيَهًا بنى عبد الدَّار
وَيَهًا حُماةَ الأدبارُ
ضربًا بكلِّ بَتَّار

وتارة يأزرن قومهن على القتال وينشدن:

إنْ تُقْبلُوا نُعَانقْ
ونَفْرش النَّمَارق
أو تُدْبِرُوا نُفارقْ
فِراق غيرِ وَامِق[(٢)]

(١) صور من حياة الصحابة (ص ١٥٦ ، ١٥٧) بتصرف.

(٢) الرحيق المختوم (ص: ٢٧٣ ، ٢٧٤).

ودارت رحى الحـرب بين الفـريقـين وارتفـعت الصـيـحـات وتطايرت الرؤوس، وسالت الدماء فى أرض الشرف والقتال.

وسكـتت الأفواه والألسنة، وتكلمت السيوف بل وصرخت على رؤوس أعداء الله - جل وعلا -.

ووضعت الحرب أوزارها فقامت (سُلافة بنت سعد) - وهى مشركة من نساء قريش - تبحث عن زوجها وأولادها الثلاثة، فجعلت تطوى الأرض بحثًا عنهم، إلى أن وجـدت زوجها صـريعًا، فـقامت فى فـزعٍ وخوف تبـحث عن أولادها (مُسافع وكلاب والجلاس)، فما لبثت أن رأتهم صرعى على سفوح أُحد.

أما مسافع وكلاب، فكانا قد فارقا الحياة، وأما الجُلاس فوجدته وما تزال به بقية من دماء.

أكبّت سلافة على ابنهـا الذى يعالج سكرات الموت، ووضعت رأسه فى حجرها، وجعلت تمسح الدماء عن جبينـه وفمه، وقد يبس الدمع فى عينيها من هول الكارثة، ثم أقبلت عليه وهى تقـول: مَن صرعك يا بنى؟ فهمّ أن يجيـبهـا، ولكن حشرجـة الموت منعتـه، فألحت عليـه بالسؤال، فـقالت: صرعنى عاصم بن ثابت، وصرع أخى مسافعًا، و... ثم لفظ آخر أنفاسه.

جُن جنون سلافه بنت سعد، وجـعلت تعول وتنشج، وأقسمت باللات والعُزّى ألا تهدأ لها لوعة، أو ترقأ لعيـنيها دمعة إلا إذا ثأرت لها قريش من عاصم بن ثابت، وأعطتها قحف رأسه لتشرب فيه الخمر[١].

قال أبو جعفر الطبرى: وجعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة، وشاع خبر نذرها فى قريش، وجعل كل فتى من فتـيان مكة يتمنى أن لو ظفر بعاصمٍ بن ثابت وقدّم رأسه لسلافة، حتى كان يوم الرجيع فى السنة الرابعة من الهجرة.

فلما كـان يوم الرجيع «بعث رسول الله ﷺ عـشرةً عينًا وأمّـر عليهم

(١) صورٌ من حياة الصحابة (ص: ٣٩٨).

عاصم بن ثابت الأنصارى جد عاصم بن عمر بن الخطاب، حتى إذا كانوا بالهدة بين عُسفان ومكة ذُكروا لحىّ من هُذيل يقال لهم بنو لحيان، فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رامٍ فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر فى منزل نزلوه فقالوا: تمر يثرب فاتبعوا آثارهم فلما حس بهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى موضع فأحاط بهم القوم فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدًا. فقال عاصم بن ثابت: أيها القوم أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر. ثم قال: اللهم أخبر عنا نبيك ﷺ، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصمًا ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق منهم خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر...»[1].

تذكر عاصم نذر سلافة الذى نذرته، وجرّد سفيه وهو يقول: اللهم، إنى أحمى لدينك وأدافع عنه، فاحم لحمى وعظمى، ولا تُظفر بهما أحدًا من أعداء الله[2].

اللهم إنى حميت دينك أول النهار فاحم جسدى آخره. قال ابن إسحاق: فلما قُتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه؛ ليبيعوه لسلافة بنت سعد، فمنعته الدَّبْر[3]، فلما حالت بينهم وبينه قالوا: دعوه حتى يمسى فيذهب عنه فنأخذه، فبعث الله الوادى فاحتمل عاصمًا فذهب به. وكان عاصم قد أعطى عهدًا أن لا يمسّه مشرك ولا يمس مشركًا أبدًا تنجُّسًا.

فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدَّبْر منعته: يحفظ الله العبد المؤمن،... كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك، ولا يمسّ مشركًا أبدًا فى حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع فى حياته[4].

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى عن أبى هريرة (٣٩٨٩) كتاب المغازى.

(٢) صورة من حياة الصحابة (ص: ٤٠٠).

(٣) جماعة النحل والزنابير.

(٤) البداية والنهاية (٣/ ٦٧).

والجزاء عند الله من جنس العمل.

يقول ابن سيد الناس فى المقامات العلية فى الكرامات الجلية: أعطى الله عهدًا أن لا يمسّ مشركًا.

وعناية الرحمن تعصم عاصمًا
عَنْ أن يُنالَ براحةٍ أو أصبعِ
بالسيل بعد الدَّبْر من أعدائه
فى مصرعٍ أكرِمْ به من مصرعٍ[1]

أخذه السيل بعيدًا، ومضى به إلى حيث لا يعلمون.

وصان الله رأس عاصم الكريمة من أن يُشرب فى قحفها الخمر.

حمى دينه، فحُمى جسده.

لم يمسّ مشركًا فى دنياه، فلم يمسه مشرك بعد موته.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين غداة على رعل وذكوان وعُصيَّة عَصَت الله ورسوله.

قال أنس: أُنزل فى الذين قُتلوا ببئر معونة قرآنٌ قرأناه ثم نُسخَ بعد: «بلِّغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه»[2].

* * *

(١) المقامات العلية (ص ٧٢) نقلاً من الجزاء من جنس العمل (٢/ ٤٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨١٤) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٦٧٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

عثمان بن مظعون رضي الله عنه

بعد رحلة طويلة مملوءة بالعطاء والطاعة والعبادة نام هذا الصحابى الجليل على فراش الموت.

فعن خارجة بن زيد بن ثابت: أن أم العلاء - امرأة من نسائهم بايعت النبى ﷺ - أخبرته أن عثمان بن مظعون طار لهم فى السكنى حيث اقترعت الأنصار على سُكنى المهاجرين.

قالت أم العلاء: فاشتكى عثمان عندنا فمرَّضته حتى تُوفى، وجعلناه فى أثوابه فدخل علينا النبى ﷺ فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب (عثمان ابن مظعون) شهادتى عليك لقد أكرمك الله. فقال النبى ﷺ: **«وما يُدرك أن الله أكرمه؟»** قالت: قلت: لا أدرى بأبى أنت وأمى يا رسول الله فمن؟ قال: **«أما هو فقد جاءه والله اليقين، والله إنى لأرجو له الخير، وما أدرى والله - وأنا رسول الله - ما يُفعل بى»**. قالت: فوالله لا أزكِّى أحدًا بعده قالت: فأحزننى ذلك فنمت فرأيت لعثمان عينًا تجرى فجئت رسول الله ﷺ وأخبرته فقال: **«ذلك عمله»**(١).

بل لقد فاز هذا الصحابى الجليل بمنقبة عظيمة ألا وهى أن النبى ﷺ قبَّله وسالت دموعه على خده.

فعن عائشة أن رسول الله ﷺ قبَّل عثمان بن مظعون وهو ميت، ودموعه تسيل على خدِّ عثمان بن مظعون(٢).

وعن أبى النضر قال: لما مُرَّ بجنازة عثمان بن مظعون قال رسول الله ﷺ:

---

(١) **صحيح:** رواه البخارى (٣٩٢٩) كتاب المناقب.

(٢) رواه الترمذى (٩٨٩) كتاب الجنائز وقال: حديث صحيح. وأحمد (٦/ ٤٣). وهو حسن بشاهده عند البزار.

«ذهبت ولم تلبَّس منها بشىء»(١) - أى: من الدنيا.

وعن المطلب بن عبد الله قال: لما دفن النبى ﷺ عثمان بن مظعون، قال لرجل: هلمَّ تلك الصخرة، فاجعلها عند قبر أخى، أعرفه بها، أدفن إليه مَن دفنت من أهلى، فقام الرجل فلم يُطقها، فقال - يعنى الذى حدثه -: فلكأنى أنظر إلى بياض ساعدىْ رسول الله ﷺ حين احتملها، حتى وضعها عند قبره(٢).

وظل الحبيب ﷺ يذكر عثمان بن مظعون رضي الله عنه ولا ينساه أبدًا... وكيف ينساه وهو الذى جرت دموعه على خده يوم موته حزنًا عليه.

فلما ماتت بنتُ رسول الله ﷺ قال لها: «الحقى بسلفنا الخيِّر عثمان بن مظعون»(٣).

* * *

---

(١) أخرجه مالك ص ١١٦ فى الجنائز مرسلاً: باب جامع الجنائز، برقم (٥٦)، ومن طريقه ابن سعد (٣/١/٢٨٩). وقال الزرقانى: وصله ابن عبد البر من طريق: يحيى بن سعيد، عن القاسم عن عائشة.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٢٠٦) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٣٠٦٠).

(٣) أخرجه ابن سعد (٣/٣٩٨)، والطبرانى (٩/٣٧)، والحاكم (٣/ ٢١٠)، والطيالسى (ص ٣٥١)، وأحمد (١/ ٣٣٥)، قال الهيثمى (٣/١٧) فيه على بن زيد وفيه كلام وهو موثوق.

أبو الدرداء رضي الله عنه

* عن أبى مسلم الخولانى أنه دخل على أبى الدرداء فى اليوم الذى قُبض فيه وكان عندهم كأنفسهم - فجعل أبو مسلم يُكبِّر، فقال أبو الدرداء: أجل هكذا فقولوا: فإن الله إذا قضى قضاء أحب أن يرضى(١).

* وعن معاوية بن قرة أن أبا الدرداء اشتكى، فدخل عليه أصحابه فقالوا: ما تشتكى؟ قال: أشتكى ذنوبى!

قالوا: فما تشتهى؟ قال: أشتهى الجنة. قالوا: أفلا ندعو لك طبيبًا؟

قال: هو أضجعنى(٢).

* **وعن أبى مسلم قال:** جئت أبا الدرداء وهو يجود بنفسه فقال: ألا رجل يعمل لمثل مصرعى هذا، ألا رجل يعمل لمثل يومى هذا، ألا رجل يعمل لمثل ساعتى هذه ثم قُبض(٣).

* **قالت أم الدرداء:** لما احتضر أبو الدرداء، جعل يقولُ: من يعمل لمثل يومى هذا؟ من يعمل لمثل مضجعى هذا (٤)؟

رضى الله عن حكيم الأمة القائل: «إن لنا دارًا لها نعمل، وإليها نظعن، والمخف فيها خير من المثقل(٥).

* * *

(١) «كتاب المحتضرين» ص (١٠٩).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٧/ ٣٩٣)، و«صفة الصفوة» (١/ ٦٤٢)، و«الثبات عند الممات» ص (١٢٨)، و«الحلية» (١/ ٢١٨)، و«الزهد» لأحمد (١٣٤)، و«المصنف» لابن أبى شيبة (١٣/ ٣٠٩)، و«كتاب المحتضرين» ص (١٣٧).

(٣) «صفة الصفوة» (١/ ٦٤٢)، و«الثبات عند الممات» ص (١٢٩).

(٤) انظر: «السير» ترجمة أبى الدرداء (٢/ ٣٣٥ - ٣٥٣).

(٥) «كتاب المحتضرين» ص (١٣٨).

البراء بن مالك رضي الله عنه

رضى الله عن الأسد المغوار الذى قال فيه رسول الله ﷺ :

«كمْ مِن أشعث أغبر ذى طِمرين لا يُؤبَه له، لو أقسم على الله لأبرّه، منهم البراء بن مالك»[(١)].

* عن أنس قال: دخلت على البراء وهو يتغنّى ويرنّم قوسه، فقلتُ: إلى متى هذا؟ قال: أترانى أموت على فراشى؟! والله لقد قتلت بضعًا وتسعين[(٢)].

استشهد الأسد المغوار يوم فتح «تُسْتَر».

* وعن أنس قال: لقى أخى البراء زحفًا من المشركين، فقال: أقسمتُ عليك يا ربّ لما منحتنا أكتافهم، وألحقنى بنبىّ ﷺ، فمُنحوا أكتافهم وقُتل شهيدًا»[(٣)].

وعند الطبرى: «اللهم اهزمهم لنا، واستشهدنى»[(٤)].

ورزقه الله شهادة فى سبيله.

* * *

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٨٥٤) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٥٧٣).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٧/ ١/ ١٠)، وإسناده صحيح.

(٣) «صفة الصفوة» (١/ ٦٢٦)، و«الثبات عند الممات» ص (١٢٥).

(٤) «تاريخ الطبرى» ص(٥١٠).

النعمان بن مُقرّن رضي الله عنه

كان مع النعمان لواء مُزَينة فى فتح مكة.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن للإيمان بيوتًا وللنفاق بيوتًا، وإن من بيوت الإيمان بيت ابن مقرِّن».

* وفى نهاوند جمع الفرس مائة وخمسين ألفًا تحت إمرة الفيرزان، وقد قرن بعضهم بعضًا، كل سبعة فى قران، وألقوا حسك الحديد، وقالوا: مَن فرّ منا عقره حسك الحديد.

وخطب النعمان فى جيشه:

«. . . إذا كبّرت التكبيرة الأولى؛ فشدَّ رجل شسعه، وأصلح من شأنه، وليتهيأ من لم يكن تهيأ، فإذا كبّرت الثانية؛ فشدّ رجل إزاره، وليشد عليه سلاحه وليتأهب للنهوض، ويتهيأ لوجه حملته، فإذا كبّرت الثالثة فإنى حامل إن شاء الله فاحملوا معًا. اللَّهم إنى أسألك أن تُقِرّ عينى اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام، وذُلّ يذل به الكفار، ثم اقبضنى إليك بعد ذلك على الشهادة، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك، ونصر عبادك أمِّنوا يرحمكم الله»[1] فأمّن المسلمون وبكوا.

وحمل النعمان مع التكبيرة الثالثة، وهو يحمل الراية - وقد رآها المسلمون تنقضّ نحو الأعاجم انقضاض العقاب.

يقول جبير: «فوالله ما علمت من المسلمين أحدًا يومئذ يريد أن يرجع إلى أهله حتى يُقتل أو يظفر، فحملنا حملة واحدة وثبتوا لنا، فما كنا نسمع إلا وقع الحديد على الحديد حتى أصيب المسلمون بمصائب عظيمة، فلما رأوا

(١) «تاريخ الطبرى» (٤/ ١١٩).

صبرنا وأنا لا نبرح العرصة انهزموا، فجعل يقع الواحد فيقع عليه سبعة، بعضهم على بعض فى قياد فيُقتلون جميعًا، وجعلوا يعقرهم حسك الحديد الذى وضعوه خلفهم واقتتلوا بالسيوف قتالاً شديدًا يصفه الرواة بقولهم: «لم يسمع السامعون بوقعة قطّ كانت أشد منها»، واستمر القتال من انتصاف النهار حتى هبوط الظلام، وكثر قتلى الفرس حتى طبق أرض المعركة دمًا يزلق فيه الناس والدواب، فانزلق فيه من خيول المسلمين وأصيب فرسانهم، وزلق فرس النعمان فلقى النعمان مصرعه.

وفى رواية ابن إسحاق وجبير: أنه رُمى بنشابة فأصابت خاصرته فقتلته، وكان أخوه نعيم بن مقرن قريبًا منه، وأسرع نعيم - وفى رواية جبير: معقل ابن مقرن - وسجّى النعمان بثوب، ثم أتى حذيفة بن اليمان فى ميمنته فدفع إليه الراية باعتباره خليفة النعمان. وكتموا مصاب النعمان عن الجيش لكيلا يهن الناس. وقُتل من الفرس مائة ألف أو يزيدون، وفى رواية أنه قُتل فى اللهب[1] ثمانون ألفًا، وفى المعركة ثلاثون ألفًا، مقترنون فى السلاسل سوى من قُتل فى المطاردة»[2].

واجتمع المسلمون بعد المعركة فتساءلوا: «أين أميرنا؟»، قال معقل بن مقرن: «هذا أميركم، قد أقرّ الله عينه بالفتح، وختم له بالشهادة».

وفى رواية عن معقل بن يسار قال: «فأتيت النعمان وبه رمَق، فغسلت وجهه من إداوة ماء كانت معى: فقال: مَنْ أنت؟ قلت: معقل، قال: ما صنع المسلمون؟ قلت: أبشر بفتح الله ونصره. قال: الحمد لله، اكتبوا إلى عمر». ولما أُتى عمر بغنائم نهاوند قال: ما وراءك يا سائب؟ فقلت: خيرًا يا أمير المؤمنين، فتح الله عليك بأعظم الفتح، واستشهد النعمان بن مقرن - رحمه الله -، فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم بكى، فنشج حتى

---

(١) جرف من خندق أو وادٍ عميق.

(٢) «تاريخ الطبرى» (٤/ ١٣٦).

لأنظر إلى فروع منكبه من فوق كتفه... ونشج كأنما أصيب بأعز إنسان لديه... وكاد الحزن على النعمان يُنسى عمر فرحة الفتح بهذا النصر الكبير الذى سُمِّى فى التاريخ بفتح الفتوح[١].

خالد بن سعيد رضي الله عنه

استشهد فسطع له نور إلى السماء فكان سببًا فى إسلام قاتله.

خاض خالد بعض المعارك ضد الروم، وكان من أشجع الفرسان، وكان معه أخواه «أبان وعمرو» فأما عمرو فلقد استشهد البطل فى معركة فحل، «رُئى وهو مضروبٌ على حاجبه بالسيف، وقد ملأ الدم عينيه، وهو لا يستطيع أن يطرف ولا أن يفتح جفنه من الدم، وكان الروم قد حنقوا عليه لما رأوا من شدة قتاله، فجردوا له فريقًا، فمشى إليهم بسيفه فضاربهم ساعة، وثار بينهم الغبار؛ فشد عليهم المسلمون، وإذا الروم قد قطعوه بسيوفهم، ووُجِد به أكثر من ثلاثين ضربة»[٢].

وما يضيره وقد مضى البطل إلى ربه، ومنح الله إخوانه من المسلمين أكتاف الروم، وقتلوا قائدهم سقلار (سكلاريوس)، وقتلوا منهم زهاءَ عشرة آلاف[٣].

وأما خالد وأبان فلقد استُشهدا يوم أجنادين (على الصحيح).

ويُروى أن خالدًا رضي الله عنه استُشهد، فقال الذى قتله بعد أن أسلم: مَنْ هذا الرجلُ؟ فإنى رأيتُ نورًا له ساطعًا إلى السماء.

وقيل: كان خالدُ بن سعيد وسيمًا جميلاً، قُتلَ يوم أجنادين[٤].

---

(١) انظر: «الكامل» لابن الأثير (٣/ ٦).

(٢) الطريق إلى دمشق (ص: ٣٤٤).

(٣) علو الهمة - د سيد حسين (٣/ ٤١٣).

(٤) السير للإمام الذهبى (١/ ٢٦٠).

وهكذا رحل بطلنا الحبيب عن دنيا الناس بعد أن ضحى بثروة أبيه وآثر الإسلام على هذا المتاع الزائل من أجل أن يظفر بصُحبة الحبيب ﷺ وبرضوان الله - جل وعلا - ومن ثَمَّ بالنعيم المقيم فى جنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

زيد بن الخطاب رضي الله عنه

* عن ابن عمر رضي الله عنهما **قال**: قال عمر بن الخطاب لأخيه زيد يوم أُحد: خذ درعى، قال: إنى أريد من الشهادة مثل ما تريد. فتركاها جميعًا [(١)].

* وعن الجحاف بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: كان زيد بن الخطاب يحمل راية المسلمين يوم اليمامة، ولقد انكشف المسلمون حتى غلبت حنيفة على الرحال، فجعل زيد يقول: أما الرحال فلا رحال، وأما الرجال فلا رجال، ثم جعل يصيح بأعلى صوته: اللَّهم إنى أعتذر إليك من فرار أصحابى، وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة ومحكم بن الطفيل، وجعل يشتد بالراية يتقدم بها فى نحر العدو، ثم ضارب بسيفه حتى قُتل، ووقعت الراية، فأخذها سالم مولى أبى حذيفة، فقال المسلمون: إنا نخاف أن نُؤتَى من قِبلك، فقال: بئس حامل القرآن أنا إن أُوتيتم من قبلى[(٢)].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنى لأهشّ للصبَّا؛ لأنها تأتينى من ناحية أخى زيد[(٣)].

وقال لمتمم بن نويرة: لو كنت أقول الشعر كما تقول لرثيت أخى كما رثيت أخاك[(٤)].

---

(١) «الحلية» (١/٣٦٧).

(٢) «صفة الصفوة» (١/٤٤٧)، و«طبقات ابن سعد» (٣/٣٧٧) باختصار، و«الثبات عند الممات» ص (١٠٩).

(٣، ٤) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٥/١١)، دار الكتب العلمية.

لقد لامني عند القُبُور على البُكا
رفيقي لتَذْرَاف الدموعِ السَّوافكِ
فقال أَتَبْكي كُلَّ قبرٍ رأيتَهُ
لقبرٍ ثوى بين اللِّوى والدكادكِ
فقلتُ له إن الشَّجَا يبعثُ الشَّجا
فَدَعْني فهذا كلهُ قبرُ مالكِ(١)

عامر بن فهيرة رضي الله عنه

لقد وقف موقفًا لا يُنسى أبدًا مع تعاقب الجديدين -الليل والنهار- إنه موقفه يوم هجرة الحبيب ﷺ فقد كان بمثابة وزارة التموين للنبي ﷺ وصاحبه، حيث كان يأتي إليهما بالغنم ليشربا اللبن، بل كان يمحو آثار أقدام عبد الله بن أبي بكر حتى لا يهتدي المشركون إلى مكان النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه.

وكان عبد الله بن أبي بكر يبيت عندهما. قالت عائشة: وهو غلام شاب ثَقِفٌ لَقِنٌ، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرًا يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام. وكان يرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رَسل - وهو لبن منحتهما ورضيفهما- حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث وكان عامر بن فهيرة يتبع بغنمه أثر عبد الله

(١) «ديوان الحماسة بشرح التبريزي» (١/ ٣٣٠ - ٣٣١).

قال متمم بن نويرة لعمر بن الخطاب: يا أبا حفص، والله لو علمت أن أخي صار بحيث صار أخوك ما رثيته. فقال عمر بن الخطاب: ما عزاني أحد عن أخي بمثل تعزيته. «وفيات الأعيان» (٥/ ١١).

ابن أبى بكر بعد ذهابه إلى مكة ليعفى عليه[١] .

* وبذلك كان عامر بنُ فـهيرة رضي الله عنه يعفّى[٢] على آثار عبد الله بن أبى بكر، فلا يتفطن إليه أحدٌ، ولا يستدلُّ بآثاره على المهاجرَيْن الكريمَيْن.

* لما طعن جبـار بن سلمى عامر بن فـهيرة فـأنفذه، قال عامـر: فزت واللَّه! قال: وذُهِب بعامر عُلُوًّا في السمـاء حتى ما أراه، فقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن الملائكة وارت جـثته وأُنزل علـيّين»**، وسأل جبّـار بن سُلْمَى ما قوله فُزت والله؟ قـالوا: الجنة. قال: فأسلم جبار لما رأى من أمـر عامر بن فهيرة فحسن إسلامه.

قالت عائشة رضي الله عنها: رُفع عامر بن فهيرة إلى السماء فلم توجد جثته يرَوْن أن الملائكة وارته[٣] .

عمرو بن العاص رضي الله عنه

* عن عوانة بن الحكم، قَال: قال عمـرو بن العاص، عجبًا لمن نزل به الموتُ، وعقله معـه كيف لا يصفه؟! فلما نزل بـه الموتُ، ذكَّره ابنه بقوله، وقال: صِـفهُ. قـال: يا بنى! الموت أجلُّ من أن يُوصف، ولكنى سـأصفُ لك، أجـدنى كأن جـبال رضْـوى على عُنُقى، وكـأن فى جوفى الشـوك، وأجدنى كأن نَفَسِى يخرجُ من إبرة.

وفى رواية: والله ليتنى كنتُ حيضًا أعركتنى الإماء بدريب الإذخر[٤] .

* وعن أبى نوفل بن أبى عقـرب قال: جزَع عمـرو بن العاص عند الموت

(١) أخرجه البخارى (٣٩٠٥)، ابن هشام (١/ ٤٨٦).

(٢) يعفِّى: يخفى الآثار، وهو ما يشبه عمليات التمويه فى عصرنا الحالى.

(٣) «الثبات عند الممات» ص(١٠٧)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٢٣١).

(٤) الحِيضة هى: الخرقة التى تستثفر بها الإماء. وعركه: دلكه. والإذخر: نبات.

جزعًا شديدًا، فقال ابنه عبد الله: ما هذا الجزعُ، وقد كان رسول الله ﷺ يُدنيكَ ويستعملك؟! قال: أى بنى! قد كان ذلك، وسأخبرك: إى والله ما أدرى أحُبًّا كان أم تألُّفًا، ولكن أشهد على رجلين أنه فارق الدنيا وهو يحبهما: ابن سمية، وابن أم عبد . . . فلما جدَّ به، وضع يده موضع الأغلال من ذقنه، وقال: اللهم أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعُنا إلا مغفرتك، فكانت تلك هِجِّيراه حتى مات[1].

* **وفى رواية عن أبى نوفل قال:** لما جدّ بعمرو بن العاص، وضع يده موضع الغلال[2] من رقبته، فقال: اللهم أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعنا إلا مغفرتك، فكانت تلك هِجِّيراه[3] حتى مات[4].

* **وعن محمد بن زياد أن عمرو بن العاص حين حضره الموت قال:** اللهم أمرتنا بأشياء فتركناها، ونهيتنا عن أشياء فانتهكناها، ولكن أشهد أنه لا إله إلا الله -ثم قبض عليها بيده اليمنى- وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله -ثم قبض عليها بيده اليسرى.

قال: فقُبض وإن يديه لمقبوضتان[5].

* **وعن ابن شماسة المهرى قال:**

حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياقة الموت، فبكى طويلاً وحوّل وجهه إلى الجدار فجعل ابنه يقول: يا أبتاه أما بشّرك رسول الله ﷺ

(١) انظر: «السير» (٣/ ٥٤ - ٧٧)، وفى «كتاب المحتضرين» ص(٩٣): والله يا بنى لكأن جنبىّ فى تخت، وكأنى أتنفس من سم إبرة، وكأن غصن الشوك يُجرُّ به من قدمى إلى هامتى، ثم قال:

ليتنى كنت قبل ما بدا لى ... فى قلال الجبال أرعى الوعولا

«طبقات ابن سعد» (٤/ ٢٦٠).

(٢) يعنى: الأغلال.

(٣) الهِجِّيرى: كثرة الكلام، وما يولع المرء بذكره.

(٤) «طبقات ابن سعد» (٤/ ٢٦٠)، و«الزهد» لابن المبارك ص(١٤٧) رقم (٤٣٩)، و«المسند» لأحمد (٤/ ٢٠٠).

(٥) «كتاب المحتضرين» ص(٩٦).

بكذا؟ أما بشّرك رسول الله ﷺ بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما نُعدُّ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

إني قد كنت على أطباق[1] ثلاث لقد رأيتني وما أحد أشد بغضًا لرسول الله ﷺ مني ولا أحب إليّ أن أكون قد استمكنت منه فقتلته فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيتُ النبي ﷺ، فقلتُ: ابْسُط يمينك فلأبايعك فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي. قال: «ما لك يا عمرو؟»، قال: قلت: أردت أن أشترط. قال: **«تشترط بماذا؟»** قلتُ: أن يغفر لي قال: **«أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله؟»**، وما كان أحد أحبّ إليّ من رسول الله ﷺ ولا أجلّ في عيني منه، وما كنتُ أطيقُ أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سُئلت أن أصفه ما أطقتُ؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها[2].

حنظلة (غسيل الملائكة) رضي الله عنه

لما أحسَّ حنظلة بحاجته إلى زوجة صالحة تعينه على أمر دينه ودنياه.

ذهب وتزوج حنظلة جميلةَ بنت عبد الله بن أُبي بن سلول. فأُدخلت في الليلة التي في صبيحتها كان قتال أُحد وكان قد استأذن رسول الله ﷺ أن يبيت عندها فأذن له.

فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله ﷺ بأُحد ثم مال إلى جميلة فأجنب منها - جامعها - وكانت قد أرسلت إلى أربعة من قومها فأشهدتهم

(١) أطباق، أي: أحوال ثلاث.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٢١) في كتاب الإيمان.

أنه دخل بها. فـقيل لها فى ذلك فقـالت: رأيت كأن السماء قـد فُرجت له فدخل فيها ثم أُطبقت، فقلت: هذه الشهادة. وعلقت بعبد الله بن حنظلة.

وأخذ حـنظلة سلاحـه فلحق بالنبى ﷺ وهو يسوى الـصفوف فلـما انكشف المسلمـون اعترض حنظلة لأبى سـفيان بن حـرب فضرب عـرقوب فرسه فوقع أبو سـفيان. فحمل رجل منهم على حنظلة فـأنفذه بالرمح فقال رسول الله ﷺ : «**رأيت الملائكة تغـسل حـمزة بن عـبـد المطلب وحنظلة بن الراهب**»[١].

قال أبو أسيد الساعدى: فذهبنا فنظرنا إليه فإذا رأسه يقطر ماء. فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبـرته أنه خرج وهو جُنب. فولده يقال لهم: «بنو غسيل الملائكة»[٢].

وعن عبـد الله بن الزبيـر رضي الله عنه **قال**: سمعت رسـول الله ﷺ يقول عند قتل حنظلة بن أبى عامر بعد أن التقى هو وأبو سفيان بن الحارث حين علاه شداد بن الأسـود بالسيف فقـتله، فقـال رسول الله ﷺ : «**إن صاحـبكم تغسله الملائكة فاسألوا صاحبته عنه** -زوجته» فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جُنب، فقال رسول الله ﷺ : «**لذلك غسلته الملائكة**»[٣].

* * *

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٤٦٣).

(٢) صفة الصفوة (١/٢٥٣، ٢٥٤).

(٣) حسن: رواه الحاكم (٣/ ٢٠٤) وقال: هذا حـديث صحيح على شرط مسـلم، ولم يُخرجاه وسكت عليه الذهبى، وقـال الشيخ مصطفى العـدوى فى فضائل الصحـابة: إسناده حسن، وحسنه العـلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٣٢٦).

حرام بن ملحان رضي الله عنه

فاز بالشهادة فى حادثة بئر معونة.

وملخصها أن أبا براء عامر بن مالك (المدعو بملاعب الأسنَّة) قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدعاه إلى الإسلام فلم يُسلم ولم يبعد، فقال: يا رسول الله! لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك؛ لرجوت أن يجيبوهم، فقال: «**إنى أخاف عليهم أهل نجد**» فقال أبو براء: أنا جارٌ لهم، فبعث معه أربعين رجلاً، فى قول ابن إسحاق[١]، وفى الصحيح[٢]: أنهم كانوا سبعين، والذى فى الصحيح هو الصحيح، وأمَّر عليهم المنذر بن عمرو أحد بنى ساعدة الملقب بالمعتق ليموت، وكانوا من خيار المسلمين وفضلائهم وساداتهم وقُرائهم[٣]، فساروا يحتطبون بالنهار، يشترون به الطعام لأهل الصفة، ويتدارسون القرآن، ويصلون بالليل، حتى نزلوا بئر معونة -وهى أرض بين بنى عامر وحرة بنى سليم- فنزلوا هناك، ثم بعثوا حرام بن ملحان أخا أم سليم بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر ابن الطفيل، فلم ينظر فيه، وأمر رجلاً فطعنه بالحربة من خلفه، فلما أنفذها فيه ورأى الدم، قال حرام: الله أكبر، فزت وربِّ الكعبة.

وعن أنس رضي الله عنه قال: «لما طُعن حرام بن ملحان - وكان خاله - يوم بئر معونة قال بالدم هكذا، فنضحه على وجهه ورأسه، ثم قال: فزت ورب الكعبة»[٤].

---

(١) أخرجه ابن هشام فى «السيرة» (٣/٦٧٨) عن ابن إسحاق.

(٢) أخرجه البخارى (٤٠٨٨) كتاب المغازى، ومسلم (٦٧٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه قلت: وقد ورد بالشك بين الأربعين والسبعين فى أحد روايات الحديث عند البخارى (٣١٧٠).

(٣) كذا فى جميع النسخ التى بين يدى، وهو كلام غير مستقيم، وفى «السيرة» لابن هشام (٣/٦٧٨): «فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة المُعتق، ليموت فى أربعين رجلاً من أصحابه، من خيار المسلمين..».

(٤) صحيح: رواه البخارى (٧/٤٤٦) كتاب المغازى.

معاذ بن جبل رضي الله عنه

عن الحارث بن عميرة، أنه قدم مع معاذ من اليمن، فمكث معه فى داره وفى منزله، فأصابهم الطاعون، فطُعن معاذ وأبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل ابن حسنة وأبو مالك، رضي الله عنهم فى يوم واحد، وكان عمرو بن العاص، حين خبر بالطاعون، فرق فرقًا شديدًا، وقال: يا أيها الناس! تفرقوا فى هذه الشعاب، فقد نزل بكم أمر لا أراه إلا رجزًا - أو طاعونًا -، فقال له شرحبيل ابن حسنة: كذبت، قد صحبنا رسول الله ﷺ وأنت أضل من حمار أهلك، فقال عمرو: صدقت.

وقال معاذ بن جبل لعمرو بن العاص: «كذبت، ليس بالطاعون ولا الرجز ولكنها رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم، اللهم فآت آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة. قال: فما أمسى حتى طُعن ابنه عبد الرحمن وأحب الناس إليه الذى كان يُكنَّى به. فرجع معاذ من المسجد، فوجده مكروبًا، فقال: يا عبد الرحمن، كيف أنت؟ فاستجاب له، فقال عبد الرحمن: يا أبتِ: ﴿**الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾[1] فقال معاذ رضي الله عنه: وأنا ستجدنى إن شاء الله من الصابرين. فمات من ليلته ودُفن من الغد. . . ثم إن معاذًا رضي الله عنه اشتد به نزع الموت، فنزع أشد العالم نزعه. فكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه فقال: اخنقنى خنقك، فوعزتك إنك لتعلم أنى أحبك»[2].

وعند ابن سعد: «ثم طُعنت امرأتاه فهلكتا، وطُعن هو فى إبهامه، فجعل

(١) سورة البقرة: الآية: (١٤٧).

(٢) إسناده حسن: سبق تخريجه. «بذل الماعون فى فضل الطاعون» ص(٢٦٦-٢٧٠).

يمسه بفيه ويقول: اللهم إنها صغيرة، فبارك فيها. فإنك تبارك فى الصغير حتى هلك»[١].

* وعن عمرو بن قيس:

أن معاذ بن جبل لما حضره الموت قال: انظروا أصبحنا؟

قال: فقيل: لم نصبح، حتى أُتى فقيل له: قد أصبحت.

قال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار. مرحبًا بالموت مرحبًا، زائر مُغب[٢] حبيب جاء على فاقة. اللهم إنك تعلم أنى كنت أخافك، فأنا اليوم أرجوك. اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى[٣] الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات[٤]، ومزاحمة العلماء بالرُّكب عند حِلق الذكر[٥] . . . من أجل هذا يعيش مقدام العلماء، وعلى الشوق والحب لله يموت.

* * *

(١) «طبقات ابن سعد» (٣/٥٨٩).

(٢) أى: قليل الزيارة.

(٣) كرى الأنهار أى: حفرها.

(٤) أى: صيام نهار الصيف، وقيام ليل الشتاء.

(٥) «الزهد» لأحمد (٢/١١٦)، و«حلية الأولياء» (١/٢٣٩)، و«صفة الصفوة» (١/٥٠١)، و«الثبات عند الممات» (١/١١٩)، و«كتاب المحتضرين» (١١١).

حكيم بن حزام رضي الله عنه

إن من كمال رحمة الله -جل وعلا- أن الكافر إذا أسلم؛ فإن الله يجعل كل خير عمله قبل الإسلام فى ميزان حسناته بعد الإسلام.

فهذا حكيم بن حزام رضي الله عنه **قال لرسول الله** ﷺ: أرأيت أمورًا كنت أتحنث بها فى الجاهلية، هل لى فيها من شىء؟ فقال له رسول الله ﷺ **«أسلمت على ما أسلفت من خير»**[1].

وفى رواية: قال ﷺ: **«أسلمت على صالح ما سلف لك»** فقلت: «يا رسول الله، لا أدع شيئًا صنعته فى الجاهلية إلا صنعت لله فى الإسلام مثله. وكان أعتق فى الجاهلية مائة رقبة، وأعتق فى الإسلام مثلها. وساق فى الجاهلية مئة (بدنة)، وفى الإسلام مثلها.

وهكذا أراد حكيم رضي الله عنه أن يُكفِّر عن كل موقفٍ وقفه فى الجاهلية أو نفقة أنفقها فى عداوة رسول الله ﷺ.

وكان إذا اجتهد فى يمينه قال: «لا والذى نجانى يوم بدر من القتل»[2].

فكان يحمد الله أن أبقاه حتى أسلم وفعل الخير الذى يمحو به خطاياه فى الجاهلية.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٣٦) كتاب الزكاة، ومسلم (١٢٣) كتاب الإيمان.

(٢) جمهرة نسب قريش (ص: ٣٦٣).

يشترى دارًا فى الجنة

ولعلكم تعرفون جميعًا «دار الندوة» التى كانت قريش تعقد فيها مؤتمراتها ومؤامراتها، وكان من أقبح تلك المؤامرات المؤامرة التى عقدوها لقتل رسول الله ﷺ - فأراد حكيم بن حزام أن يغلق هذا التاريخ الأسود والماضى البغيض. . . فلما آلت إليه دار الندوة -أصبحت فى ملكه- باعها بمائة ألف درهم، فقال له ابن الزبير: بعت مكرمة قريش، فقال: ذهبت المكارم يا ابن أخى إلا التقوى، إنى اشتريت بها دارًا فى الجنة، أُشهدكم أنى قد جعلتها لله»[1].

رحلة الرحيل

وبعد رحلة طويلة من العطاء للإسلام نام حكيم على فراش الموت فلما دخلوا عليه وجدوه يقول: «لا إله إلا الله قد كنت أخشاك وأنا اليوم أرجوك»[2].

وفاضت روحه إلى ربه -جل وعلا-.

* * *

(١) قال الهيثمى: أخرجه الطبرانى بإسنادين أحدهما حسن -مجمع الزوائد (٩/ ٣٨٤).

(٢) جمهرة نسب قريش (ص٣٧٧).

أبو ثعلبة الخشنى رضي الله عنه

يوقن هذا الصحابى الجليل أنه سيلقى ربه لا محالة، فقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[1] .

فتمنى على الله أن يموت وهو ساجد، فكان يقول: إنى لأرجو ألا يخنقنى الله كما أراكم تُخنقون.

فبينا هو يصلى فى جوف الليل، قُبض، وهو ساجد. فرأت بنته أن أباها قد مات، فاستيقظت فزعة، فنادت أمها: أين أبى؟ قالت: فى مصلاه. فنادته فلم يجبها فأنبهته فوجدته ميتًا[2] .

ويا لها من خاتمة السعادة.. فإنه من عاش على شىء مات عليه ومن مات على شىء بُعث عليه.. ولقد مات أبو ثعلبة رضي الله عنه ساجدًا لله- جل وعلا- وسوف يُبعث إن شاء الله ساجدًا.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[3] .

* * *

(١) سورة الأنبياء: الآيتان: (٣٤ ، ٣٥).
(٢) الإصابة للحافظ ابن حجر (١١/٥٦).
(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٢٧).

عبد الله بن جحش رضي الله عنه

لما كانت غزوة أحد دخل (عبد الله) يقـاتل قتال من يبحث عن الشهادة ويشتاق إليها.

فلما رأى - سـعد بن أبى وقاص - دار بينهـما هذا الحوار الذى يعـجز القلم عن وصفه.

فعن سعـد بن أبى وقاص رضي الله عنه أنه قال: لما كانت «أُحد» لقـينى عبد الله بن جحش وقال: ألا تدعو الله؟ فقلت: بلى. فـخلونا فى ناحية فدعوت فقلت: يارب إذا لقيت العدو فلقِّنى رجلاً شديدًا بأسه، شديدًا حَرَدُه[1] أقاتله ويقاتلنى ثم ارزقنى الظفـر عليه، حتى أقـتله وآخذ سلبـه، فأمنَّ عبـد الله بن جحش على دعائى، ثم قال: اللهم ارزقنى رجـلاً شديدًا حرده، شديدًا بأسه، أقاتله فيك ويقاتلنى؟ ثم يأخذنى فيجدع -يقطع- أنفى وأذنى، فإذا لقيتك غدًا قلت: فيم جُدع أنفك وأذنك؟... فأقول: فيك وفى رسولك، فتقول: صدقت.

قال سعد بن أبى وقاص: لقد كانت دعوة عبـد الله بن جحش خيرًا من دعوتى، فلقد رأيتـه آخر النهار، وقد قُتل ومُثِّل به، وإن أنفه وأذنه لمعلقتان على شجرة بخيط[2].

عن سعيد بن المسيب قال: قال عبد الله بن جحش: اللهم إنى أقسم عليك أن ألقى العدو غدًا فيقتلونى ويجـدعوا أنفى وأذنى ثم تسألنى بما ذاك؟ فأقول: فيك. قال سعيد بن المسيب: إنى لأرجو أن يبر الله آخر قسمه كما بر أوله[3].

---

(1) حرده: غضبه وثورته.

(2) صفة الصفوة (1/159) بتصرف.

(3) رواه الحاكم (3/199، 200) معرفة الصحابة وقال: صحيح على شرط الشيخين لولا إرسال فيه. ووافقه الذهبى. وقال الألبـانى: لكن له شاهد موصول وأخرجه البغـوى كما فى الإصابة من طريق إسحق بن سعد بن أبى وقاص: حدثنى أبى أن عبـد الله بن جحش قال فذكره بنحوه وزاد فى آخره قال سعد: «فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه معلقتان فى خيط».

جليبيب رضي الله عنه

عن أبى برزة أن النبى ﷺ كان فى مغزى له فأفاء الله عليه، فقال لأصحابه: «**هل تفقدون من أحد؟**»، قالوا: نعم، فلانًا وفلانًا وفلانًا. ثم قال: «**هل تفقدون من أحد؟**»، قالوا: نعم، فلانًا وفلانًا وفلانًا، ثم قال: «**هل تفقدون من أحد؟**» قالوا: لا. قال: «**لكنى أفقد جليبيبًا فاطلبوه**». فطُلب فى القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبى ﷺ فوقف عليه، فقال: «**قتل سبعة ثم قتلوه، هذا منى وأنا منه، هذا منى وأنا منه**». قال: فوضعه على ساعديه، ليس له إلا ساعدا النبى ﷺ. قال: فحُفر له ووُضع فى قبره. ولم يذكر غُسلاً[(١)].

عمير بن الحمام رضي الله عنه

عن أنس قال: قال النبى ﷺ يوم بدر: «**قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض**». فقال عمير: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «**نعم**». قال: بخٍ بخٍ. فقال رسول الله ﷺ: «**ما حملك على قول: بخٍ بخٍ؟**». قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاءة أن أكون من أهلها. قال: «**فإنك من أهلها**». فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه، فإنها لحياة طويلة. قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل[(٢)].

لله دره كم كان شوقه عارمًا إلى الجنة.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٧٢) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٠١) كتاب الإمارة.

بخٍ بخٍ: كلمة تطلق لتعظيم الأمر وتفخيمه.

العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

عن عبد الله بن إبراهيم القرشي قال:

لما نزل بالعباس بن عبد المطلب الموت قال لابنه: يا عبد الله، إنى والله ما مت موتًا، ولكنى فنيت فناء، وإنى موصيك بحب الله وحب طاعته، وخوف الله وخوف معصيته، فإنك إذا كنت كذلك لم تكره الموت متى أتاك، وإنى أستودعك الله يا بنى.

ثم استقبل القبلة فقال: لا إله إلا الله. ثم شخص ببصره فمات[١].

أنس بن مالك رضي الله عنه

عن أنس بن سيرين قال: شهدت أنس بن مالك، وحضره الممات فجعل يقول: لقنونى لا إله إلا الله فلم يزل يقولها حتى قُبض -رحمه الله-[٢].

أنس بن النضر رضي الله عنه

يقول «أنس بن مالك» غاب عمى «أنس بن النضر» عن قتال بدر فقال: غبت عن أول قتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن أشهدنى الله قتالاً ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أُحد انكشف المسلمون -انهزموا- فقال: اللهم إنى أبرأ إليك مما فعل هؤلاء - يعنى: المشركين- وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء -

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(٢١٥)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١١/ ٣٥٢).

(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٣٣).

يعنى: المسلمين- ثم مشى بسيفه فلقيه (سعد بن معاذ) فقال: أى سعد، والله إنى لأجد ريح الجنة دون أُحد! ثم قاتل حتى قُتل، فقال سعد: يا رسول الله ﷺ ما استطعت أن أصنع ما صنع. قال أنس بن مالك: فوجدناه بين القتلى وبه بضع وثمانون جراحة بين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، فما عرفناه حتى جاءت أخته فعرفته ببنانه -رؤوس الأصابع- قال أنس: فكنا نتحدث أن هذه الآية: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً....**﴾[١] نزلت فيه وفى أصحابه[٢].

- وفى رواية أنه لما شاع خبر مقتل النبى ﷺ انهارت الروح المعنوية أو كادت تنهار فى نفوس كثير من أصحاب النبى ﷺ، فتوقف منهم من توقف عن القتال وألقى أسلحته مستكينًا، ومرَّ بهؤلاء أنس بن النضر وقد ألقوا ما بأيديهم فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قُتل رسول الله ﷺ، قال: ما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله. ثم قال: اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعنى: المسلمين - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعنى: المشركين - ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ فقال: أين يا أبا عمر؟ فقال أنس واهًا لريح الجنة يا سعد إنى أجده دون أحد... ثم مضى فقاتل القوم حتى قُتل فما عُرِفَ حتى عرفته أخته بعد نهاية المعركة ببنانه وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم[٣].

* * *

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٢٣).

(٢) تفسير ابن جرير الطبرى ٢٠/ ٨٥ وأسباب النزول للواحدى ١٣٧، والحديث متفق عليه عن أنس، أخرجه البخارى برقم (٤٠٤٧)، ورواه مسلم، باب فى قوله تعالى ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾، كتاب الجهاد.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٠٤٨) كتاب المغازى، ومسلم (١٩٠٣) كتاب الإمارة.

خبيب بن عدى رضي الله عنه

* عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة عينًا وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصارى جد عاصم بن عمر بن الخطاب، حتى إذا كانوا بالهدة بين عسفان ومكة ذُكروا لحى من هُذيل يقال لهم بنو لحيان، فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر فى منزل نزلوه، فقالوا: تمر يثرب، فاتبعوا آثارهم. فلما حس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى موضع فأحاط بهم القوم، فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا أيديكم، ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدًا. فقال عاصم بن ثابت: أيها القوم، أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر. ثم قال: اللهم أخبر عنا نبيك صلى الله عليه وسلم فرموهم بالنبل فقتلوا عاصمًا، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق، منهم خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر. فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها. قال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، والله لا أصحبكم، إن لى بهؤلاء أسوة -يريد القتلى- فجرروه وعالجوه، فأبى أن يصحبهم. فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بعد وقعة بدر، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيبًا -وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر- فلبث خبيب عندهم أسيرًا حتى أجمعوا قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحدّ بها، فأعارته، فدرج بُنىٌّ لها وهى غافلة حتى أتاه، فوجدته مُجلسه على فخذه والموسى بيده. ففزعت فزعة عرفها خبيب. فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك. قالت: والله ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب، والله لقد وجدته يومًا يأكل قطفًا من عنب فى يده وإنه لموثق بالحديد، وما بمكة من ثمرة. وكانت تقول: إنه لرزق رزقه

الله خبيبًا. فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه فى الحِل قال لهم خبيب: دعونى أصلى ركعتين، فتركوه فركع ركعتين، فقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بى جزع لزدت. ثم قال: اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تُبق منهم أحدًا. ثم أنشأ يقول:

فلست أبالى حين أُقتل مسلمًا
على أى جنب[1] كان لله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال[2] شلو[3] ممزع[4]

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله. وكان خبيب هو سَنَّ لكل مسلم قُتل صبرًا الصلاة [5].

شداد بن أوس رضي الله عنه

كان رضي الله عنه ممن أوتى العلم والحلم. وكان صاحب ليل - أى قيام ليل-.

عن محمود بن الربيع أن شداد بن أوس حين حضرته الوفاة قال: «يا نعايا العرب، يا نعايا العرب، أخوف ما أخاف على هذه الأمة الرياء والشهوة الخفية»[6].

* * *

(١) فى رواية باب غزوة الرجيع من كتاب المغازى من «صحيح البخارى»: على أى شق.
(٢) أوصال: جمع وصل، وهو العضو.
(٣) الشلو: الجسد، وقد يطلق على العضو ولكن المراد به: الجسد.
(٤) الممزع: المقطع.
(٥) صحيح: رواه البخارى (٣٠٤٥) كتاب الجهاد والسير.
(٦) «الثبات عند الممات» ص(٧٢، ٧٣).

عامر بن ربيعة رضي الله عنه

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: حين نشب الناس فى الفتنة قام أبى يصلى من الليل، ثم نام فأُرى فى المنام فقيل له: قم فسل الله أن يعيذك من الفتنة -قتل عثمان- التى أعاذ منها صالح عباده، فقام يصلى ثم اشتكى فما خرج إلا فى جنازة.

وفى رواية: «لما نشب الناس فى الطعن على عثمان رضي الله عنه قام أبى يصلى من الليل، وقال: اللهم قنى من الفتنة بما وقيت به الصالحين من عبادك، قال: فما خرج إلا فى جنازة»[1].

أبو بكرة مولى النبى صلى الله عليه وسلم

عن عيينة بن عبد الرحمن قال: حدثنى أبى:

أن أبا بكرة لما اشتكى عرض عليه بنوه أن يأتوه بطبيب، فأبى، فلما ثقل وعرف الموت من نفسه وعرفوه منه قال: أين طبيبكم ليردها إن كان صادقًا؟

قالوا: وما يُغنى الآن؟

قال: ولا قبل!

قال: فجاءت ابنته أمة الله، فلما رأت ما به بكت، فقال: أى بنية لا تبكى.

قالت: يا أبتاه، فإن لم أبك عليك فعلى من أبكى؟

قال: لا تبكى، فوالذى نفسى بيده ما فى الأرض نفس أحب إلىَّ أن تكون خرجت من نفسى هذه، ولا نفس هذا الذباب الطائر.

---

(١) «حلية الأولياء» لأبى نعيم (١/ ١٧٨).

ثم أقبل على حمران - مولى عثمان بن عفان - وهو عند رأسه فقال: ألا أخبرك لماذا خشيته؟ والله أن يجيء أمر يحول بيني وبين الإسلام(١).

الحسن بن علي رضي الله عنهما

عن رقبة بن مصقلة قال: لما احتضر الحسن بن علي قال: أخرجوا فراشي إلى صحن الدار، قال: فرفع رأسه إلى السماء، ثم قال: اللهم إني أحتسب نفسي عندك، فإنها أعز الأنفس عليّ(٢). فكان مما صنع الله له أن احتسب نفسه عنده.

* وعن جعفر بن محمد، عن أبيه قال:

«لما أن حضر الحسن بن علي الموت، بكى بكاءً شديدًا، فقال له الحسين: ما يُبكيك يا أخي، وإنما تَقْدُم على رسول الله ﷺ وعلى عليّ وفاطمة وخديجة وهم ولدوك، وقد أجرى الله لك على لسان نبيه أنك «سيد شباب أهل الجنة»، وقاسمت الله مالك ثلاث مرات، ومشيت إلى بيت الله على قدميك خمس عشرة مرة حاجًّا؟ . . . وإنما أراد أن يُطيب نفسه.

قال: فوالله ما زاده إلا بكاءً وانتحابًا، وقال: يا أخي، إني أقدم على أمر عظيم وهول لم أقدم على مثله قط(٣).

* * *

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١١٥-١١٦)، و«الثبات عند الممات» ص(١٣١)، و«مختصر تاريخ دمشق» (٢٦/١٨٣).

(٢) «حلية الأولياء» (٢/٣٨)، و«الثبات عند الممات» ص(١٠٣)، و«وصايا العلماء» ص (٦٤)، رقبة بن مسقلة - بالسين والصاد - ثقة، بين وفاة الحسن ووفاة رقبة تسعة وسبعون عامًا ولم يرو عن الحسن ابن علي.

(٣) «كتاب المحتضرين» ص(١٧٤)، ومختصرًا في «تهذيب الكمال» (٦/ ٢٥٤).

الحسين بن على رضي الله عنهما

عن ابن أبى نعم، قال: كنت عند ابن عمر، فسأله رجل عن دم البعوض، فقال: ممن أنت؟ فقال: من أهل العراق. قال: انظر إلى هذا يسألنى عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**هما ريحانتاى من الدنيا**»[(١)].

وعن عائشة أو أم سلمة، أن رسول الله ﷺ قال لها: «**لقد دخل علَىَّ البيت ملك لم يدخل علَىَّ قبلها، فقال: إن حُسينًا مقتول، وإن شئت أريتك التربة**»[(٢)].

قال الحسين رضي الله عنه فى يوم قتله: «اللهم أنت ثقتى فى كل كرب، ورجائى فى كل شدة، وأنت فيما نزل بى ثقة، وأنت ولى كل نعمة، وصاحب كل حسنة...». وقُتل الحسين أحب أهل الأرض يوم قتل إلى أهل السماء.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ فى النوم نصف النهار، أشعث أغبر، وبيده قارورة فيها دم. قلت: يا رسول الله، ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين وأصحابه، لم أزل منذ اليوم ألتقطه. فأحصى ذلك اليوم، فوجدوه قتل يومئذ[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أكرم الله الحسين ومن أكرمه من أهل بيته بالشهادة - رضى الله عنهم وأرضاهم- وأهان بالبغى والظلم والعدوان من

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٣٧٥٣) كتاب المناقب.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٢٩٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٨٢٢).

(٣) **سنده قوى**: أخرجه أحمد (١/ ٢٨٣)، والطبرانى (٢٨٢٢)، وسنده قوى كما قال ابن كثير فى «البداية» (٨/ ٢٠٠).

أهانه بما انتهكه من حرمتهم، واستحله من دمائهم ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[١]، وكان ذلك من نعمة الله على الحسين، وكرامته له لينال منازل الشهداء، حيث لم يجعل له فى أول الإسلام من الابتلاء والامتحان ما جعل لسائر أهل بيته كجده ﷺ وأبيه وعمه، وعم أبيه ﷺ»[٢].

وقال أيضًا: «ولما كان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وكانا قد وُلدا بعد الهجرة فى عز الإسلام، ولم ينلهما من الأذى والبلاء ما نال سلفهما الطيب، فأكرمهما الله بما أكرمهما من الابتلاء ليرفع درجاتهما، وذلك من كرامتهما عليه لا من هوانهما عنده، كما أكرم حمزة وعليًّا وجعفر وعمر وعثمان وغيرهم بالشهادة.

وفى المسند وغيره: عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين عن النبى ﷺ أنه قال: «**ما من مسلم يصاب بمصيبة فيذكر مصيبته، وإن قدمت، فيُحدث لها استرجاعًا، إلا أعطاه الله من الأجر مثل أجره يوم أصيب بها**».

فهذا الحديث رواه الحسين، وعنه بنته فاطمة التى شهدت مصرعه.

وقد علم الله أن مصيبته تُذكر على طول الزمان»[٣].

* * *

(١) سورة الحج: الآية: (١٨).

(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٧/ ٤٧١، ٤٧٢).

(٣) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٧/ ٤٧٣).

سعد بن خيثمة بن الأنصارى رضي الله عنهما

* أحد نقباء الأنصار الإثنى عشر، شهد العقبة الأخيرة مع السبعين، ولما ندب رسول الله ﷺ الناس إلى غزوة بدر قال له أبوه خيثمة: إنه لا بد لأحدنا أن يقيم، فآثرنى بالخروج وأقم مع نسائك. فأبى سعد، وقال: لو كان غير الجنة آثرتك به؛ إنى لأرجو الشهادة فى وجهى هذا. فاستهما، فخرج سهم سعد، فخرج فقُتل ببدر[١].

عمير بن أبى وقاص رضي الله عنه

عن سعد بن أبى وقاص قال: «رأيت أخى عمير بن أبى وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ للخروج إلى بدر يتوارى، فقلت: ما لك يا أخى؟ فقال: إنى أخاف أن يرانى رسول الله ﷺ فيستصغرنى فيردنى، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقنى الشهادة، قال: فعرض على رسول الله ﷺ فاستصغره فقال: «ارجع»، فبكى عمير فأجازه رسول الله ﷺ . قال سعد: فكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره فقُتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة، قتله عمرو بن عبد ود[٢].

* * *

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٤٦٨)، و«الثبات عند الممات» ص(١١١ ، ١١٢)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٤٨٢).

(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٠٧ ، ١٠٨)، و«الطبقات» لابن سعد (٣/ ١٤٩)، «وصفة الصفوة» (١/ ٣٩٤)، وأخرجه أبو يعلى والحاكم.

أبو عقيل عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة رضي الله عنه

عن جعفر بن عبد الله بن أسلم قال:

لما كان يوم اليمامة واصطف الناس للقتال كان أول من جُرح أبو عقيل رُمى بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده فأخرج السهم فوهن له شقه الأيسر، وجُرَّ إلى الرحل، فلما حمى القتال وانهزم المسلمون سمع معن بن عدى يصيح: يا آل الأنصار، الله الله والكَرة على عدوكم، قال عبد الله بن عمر: فنهض أبو عقيل. فقلت: ما تريد؟ قال: قد فَوّه المنادى باسمى. فقلت: ما يعنى الجرحى. فقال: أنا من الأنصار، وأنا أجيبه ولو حبواً. فتحزم وأخذ السيف، ثم جعل ينادى: يا آل الأنصار، كرة كيوم حنين. قال ابن عمر: فاختلفت السيوف بينهم فقُطعت يده المجروحة من المنكب، فقلت: أبا عقيل، فقال: لبيك، بلسان ملتاث[١]، لمن الدبرة[٢]؟ فقلت: أبشر قد قُتل عدو الله[٣].

فرفع رأسه، أو إصبعه إلى السماء يحمد الله ومات يرحمه الله. قال ابن عمر: فأخبرت عمر فقال: رحمه الله، ما زال يسأل الشهادة ويطلبها[٤].

* * *

(١) ملتاث: ثقيل، بطىء فى الكلام.

(٢) لمن الدبرة: تفتح الباء وتسكن، ويقال: على من الدبرة أيضًا أى: الهزيمة.
ولمن الدبرة: أى: لمن الدولة والظفر.

(٣) أى: مسيلمة الكذاب.

(٤) «صفة الصفوة» (١/ ٤٦٦)، و«الثبات» ص(١١٠، ١١١)، و«طبقات ابن سعد» باختصار (٣/ ٤٧٤).

المثنى بن حارثة رضي الله عنه

البطل الذى ما هُزمت له راية . . .

البطل العظيم الذى حمى انسحاب جيش المسلمين وعبورهم إلى الشاطئ الغربى من النهر فى معركة الجسر، ونجا ستة آلاف من المسلمين من موت محقق وجُرح المثنى جرحًا مميتًا عند الجسر ولكنه ربطه، ومات البطل متأثرًا بجراحه بعد شهرين، ولكن قبل موته مَنَّ الله عليه بالنصر وشفى غليله فى معركة البويب التى تعادل معركة اليرموك تمامًا كما قال ابن كثير.

وما نسى البطل الصالح العهد إلى سعد بن أبى وقاص وتوصيته، وما أشبه لحظات المثنى الأخيرة باللحظات الأخيرة لأبى بكر رضي الله عنه، كلاهما ترك الدنيا وهو يفكر للمسلمين فى الفتوح ويوصى بها.

وترك المثنى وصية غالية لسعد: «ألا يقاتل عدوه وعدوهم من أهل فارس إذا استجمع أمرهم وماؤهم فى عقر دارهم، وأن يقاتلهم على حدود أرضهم، على أدنى حجر من أرض العرب، وأدنى مدرة من أرض العجم، فإن يُظهر الله المسلمين، فلهم ما وراءهم، وإن كانت الأخرى، رجعوا إلى فئة يكونون أعلم بسُبلهم وأجرأ على أرضهم، إن يرد الله الكرة عليهم»[1].

وأشار المثنى على سعد: «أن يحارب العدو بين القادسية والعذيب»[2].

ومات المثنى قبل أن يرى سعدًا.

هذا المثنى يروى الأرض من دمه

فكم أذوب به حبًّا وأهواه

* * *

(١، ٢) «الطبرى» (٣/ ١٠)، وابن الأثير (٢/ ١٧٤).

عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب رضي الله عنه

عزم عليه عمرو بن العاص في يوم أجنادين أن لا يبارز، فقال: «لا أصبر. فلما اختلطت السيوف، وُجد في ربضة من الروم عشرة، مقتولاً وهم حوله وقائم السيف في يده في غرى[١]، وإن في وجهه لثلاثين ضربة»[٢].

رضى الله عن الهاشمى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل عشرة من الروم ثم يُقتل.

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع

عبد الله بن سعد بن أبى السرح رضي الله عنه

هذه نهاية فاتح بلاد النوبة.

عن يزيد بن أبى حبيب، قال: لما احتضر ابن سرح وهو بالرملة، وكان خرج إليها فاراً من الفتنة فجعل يقول من الليل: آصبحتم؟ فيقولون: لا. فلما كان عند الصبح، قال: يا هشام! إنى لأجد برد الصبح فانظر. ثم قال: اللهم اجعل خاتمة عملى الصبح، فتوضأ، ثم صلى، فقرأ فى الأولى بأم القرآن والعاديات، وفى الأخرى بأم القرآن وسورة، وسلم عن يمينه، وذهب يسلم عن يساره فقُبض رضي الله عنه[٣].

(١) لزق.
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٨٢).
(٣) «السير» انظر: الترجمة (٣/ ٣٣-٣٦).

زيد بن الدثنة رضي الله عنه

استؤثر يوم الرجيع مع خبيب فقدموه للقتل فقالوا: ننشدك الله أتحب أنك الآن فى أهلك، وأن محمدًا مكانك، فقال:

«والله ما أحب أن محمدًا يشاك فى مكانه شوكة تؤذيه، وإنى جالس فى أهلى»(١).

نعيم بن مالك بن ثعلبة رضي الله عنه

قال نعيم بن مالك فى يوم أُحد للنبى ﷺ: «يا نبى الله لا تحرمنا الجنة، فوالذى نفسى بيده لأدخلنَّها. فقال له رسول الله ﷺ: « بِمَ؟»، قال: بأنى أحب الله ورسوله، ولا أفر يوم الزحف. فقال له رسول الله ﷺ: «**صدقت**». واستشهد يومئذ»(٢).

صدق الله فصدقه الله

* عن شداد بن الهاد رضي الله عنه أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبى ﷺ فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبى ﷺ أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبى ﷺ سبيًا فقسم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبى ﷺ فأخذه فجاء به إلى النبى ﷺ فقال:

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٦٤٩)، و«الثبات عند الممات» ص(١٢٨).

(٢) «البداية والنهاية» (٤/ ١٣، ١٤).

ما هذا؟ قال: «**قسمته لك**».

قال: ما على هذا اتبعتك، ولكنى اتبعتك على أن أُرمَى ها هنا -وأشار إلى حلقه- بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال: «**إن تصدق الله يصدقك**».

فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا فى قتال العدو، فأُتى به النبى ﷺ يحمل قد أصاب السهم حيث أشار، فقال النبى ﷺ: «**أهو هو؟**»، قالوا: نعم قال: «**صدق الله فصدقه**».

ثم كفَّنه النبى ﷺ فى جبة النبى ﷺ، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: «**اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً، فقُتل شهيداً، أنا شهيد على ذلك**»[1].

محمد بن عبد الله بن حوذان (رحمه الله)

* قُتل هذا البطل المغوار فى سنة اثنتى عشرة ومائة، فى وقعة الجنيد مع الترك ورئيسهم خاقان بالشعب.

* **قال الطبرى -رحمه الله-:** «قاتل يومئذ محمد بن عبد الله بن حوذان وهو على فرس أشقر، عليه تجفاف مُذهَّب، فحمل سبع مرات يقتل فى كل حملة رجلاً، ثم رجع إلى موقفه، فهابه من كان فى ناحيته، فناداه ترجمان للعدو: يقول لك الملك: لا تقبل وتحول إلينا، فنرفض صنمنا الذى نعبده ونعبدك، فقال محمد: أنا أقاتلكم لتتركوا عبادة الأصنام وتعبدوا الله وحده فقاتل واستشهد[2]».

* * *

(١) **صحيح:** رواه النسائى (١٩٥٣) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى «صحيح سنن النسائى» (١٨٤٥).

(٢) «تاريخ الطبرى» (٤/ ١٣٩، ١٤١).

أبو محمد عبد الله البطال (رحمه الله)

* كان مقدم جيش الأمير مسلمة بن عبد الملك، أوطأ الروم خوفًا وذلاً وكان -رحمه الله- يسأل ربه دائمًا الحج ثم الشهادة، فلم يتمكن من حجة الإسلام إلا فى السنة التى استشهد فيها -رحمه الله-.

* وكان سبب شهادته أن ليون ملك الروم خرج من القسطنطينية فى مائة ألف فارس، فبعث البطريق - الذى البطال متزوج بابنته -إلى البطال يخبره بذلك، فأخبر البطال أمير عساكر المسلمين مالك بن شبيب، وقال له مالك: المصلحة تقتضى أن نتحصن فى مدينة «حران»، فنكون بها، حتى يقدم علينا سليمان بن هشام فى الجيوش الإسلامية، فأبى عليه ذلك، ودهمهم الجيش، فاقتتلوا اقتتالاً شديدًا، والأبطال تحوم بين يدى البطال، ولا يتجاسر أحد أن ينوه باسمه خوفًا عليه من الروم، فاتفق أن ناداه بعضهم وذكر اسمه غلطًا منه، فلما سمع ذلك فرسان الروم، حملوا عليه حملة واحدة فاقتلعوه من سرجه برماحهم، فألقوه إلى الأرض، ورأى الناس يُقتلون ويؤسرون، وقتل الأمير الكبير مالك بن شبيب وانكسر المسلمون وانطلقوا إلى تلك المدينة الخراب فتحصنوا فيها، وأصبح ليون، فوقف على مكان المعركة، فإذا البطال بآخر رمق، فقال له ليون: ما هذا يا أبا يحيى؟ فقال: هكذا تُقتل الأبطال، فاستدعى ليون الأطباء ليداووه، فإذا جراحه قد وصلت إلى مقاتله، فقال له ليون: هل من حاجة يا أبا يحيى؟ قال: نعم. فأمر من معك من المسلمين أن يلوا غسلى[١] والصلاة علىَّ ودفنى، ففعل الملك ذلك وأطلق لأجل ذلك أولئك الأسرى[٢].

---

(١) الشهيد لا يُغسَّل.

(٢) «البداية والنهاية» (٩/ ٣٤٥-٣٤٧).

الجراح بن عبد الله الحكمى (رحمه الله)

«كان الجراح بطلاً شجاعًا، عابدًا قارئًا، كبير القدر.

قال ابن جابر: فى سنة اثنتى عشرة ومائة غزا الجراح بلاد الترك ورجع فأدركه الترك، فقُتل هو وأصحابه.

وقال سليم بن عامر: دخلت على الجراح، فرفع يديه، فرفع الأمراء أيديهم، فمكث طويلاً، ثم قال لى: يا أبا يحيى، هل تدرى ما كنا فيه؟ قلت: لا، وجدتكم فى رغبة، فرفعت يدى معكم، قال: سألنا الله الشهادة.

فوالله ما بقى منهم أحد فى تلك الغزاة إلا استشهد. قال خليفة زحف الجراح من برذعة[1] سنة اثنتى عشرة إلى ابن خاقان، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فقُتل الجراح فى رمضان[2].

قال الواقدى: كان البلاء بمقتل الجراح على المسلمين عظيمًا، بكوا عليه فى كل جند»[3].

* * *

(١) قصبة أذربيجان.

(٢) «تاريخ خليفة» ص(٣٤٢).

(٣) «السير» (١٨٩/٥، ١٩٠).

علباء بن جحش العجلى (رحمه الله)

فى معـركة القادسيـة برز رجل من المجوس أمام صـفوف بكر بن وائل فنادى: من يبـارز؟ فخرج له علـباء بن جحش العـجلى، فنفـحه[1] علباء فأصابه فى صدره وشق رئته، ونفحه الآخر فأصابه فى بطنه وانتثرت أمعاؤه، وسقطا مـعًا إلى الأرض. أما المجـوسى فمات من ساعـته، وأما علباء فلم يستطع القيام، وحاول أن يعيد أمعاءه إلى مكانها فلم يتأت له، ومر به رجل من المسلمين، فقال له علباء: يا هذا، أعنى على بطنى. فأدخل له أمعاءه، فأخـذ بصفاقـيه، ثم زحف نحو صف العجم دون أن يلـتفت إلى المسلمين وراءه، فأدركه الموت على ثلاثين ذراعًا من مصرعه وهو يقول:

أرجـــــو بهـــــا مـن ربنـا ثوابًـا

قـــد كنت ممـن أحـســن الضـــرابا

وفاضت نفسه[2].

* * *

(١) النفح: الضرب إلى خارج اليمين.

(٢) «الطبرى» (٣/٥٤٦).

خاتمة السعادة للصالحين عند الموت

نعم فالموت تحفة كل مؤمن. . . ومن أصدق من الله قيلاً: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾[١] .

قال السحرة لفرعون عندما أخبرهم بأنه سيصلبهم في جذوع النخل: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[٢] .

أصحاب الأخدود

عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليّ غلامًا أعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا يعلمه، وكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر.

فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره. فقال له الراهب: أي بُني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستُبتلى، فإن ابتليت فلا تدل عليّ،

---

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٢٧).

(٢) سورة طه: الآية: (٧٢).

وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوى الناس من سائر الأدواء. فسمع جليس الملك كان قد عمى، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتنى، فقال: إنى لا أشفى أحدًا، إنما يشفى الله تعالى، فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك، فآمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: من ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربى. قال: أوَ لك رب غيرى؟ قال: ربى وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام فجىء بالغلام، فقال له الملك: أى بنى قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل فقال: إنى لا أشفى أحدًا، إنما يشفى الله تعالى، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب، فجىء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه، فشقه حتى وقع شقاه، ثم جىء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار فى مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جىء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور - مركب- وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشى إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى. فقال للملك: إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به. قال: ما هو؟ قال: تجمع الناس فى صعيدٍ واحد، وتصلبنى على جذع، ثم خذ سهمًا من كنانتى، ثم ضع السهم فى كبدِ القوس ثم قل: بسم الله رب الغلام ثم ارمنى، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى. فجمع الناس فى صعيدٍ واحد، وصلبه على جذع، ثم

أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم فى كبد القوس، ثم قال: بسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم فى صدغه فمات. فقال الناس: آمنا برب الغلام، فأتى الملك قيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس.

فأمر بالأخدود بأفواه السكك فُخدَّت وأُضرم فيها النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبرى فإنك على الحق»(١) .

الرجل الذى قتل مائة نفس

فعن أبى سعيد الخدرى أن نبى الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على راهب فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة، فقال: لا، فقتله فكمَّل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟! انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أُناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلاً بقلبه إلى الله. وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى، فهو له... فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد، فقبضته ملائكة الرحمة.

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٣٠٠٥) كتاب الزهد/ باب: قصة أصحاب الأخدود.

«ذروة الجبل»: أعلاه، وهى بكسر الذال المعجمة وضمها، و«القرقور» بضم القافين: نوع من السفن، و«الصعيد» هنا: الأرض البارزة، و«الأخدود»: الشقوق فى الأرض كالنهر الصغير، و«أضرم»: أوقد، و«انكفأت» أى: انقلبت، و«تقاعست»: توقفت وجبنت.

قال قتادة: فقال الحسن: «ذُكر لنا أنه لما أتاه الموت نأى بصدره». وفى رواية: «فأوحى الله إلى هذه: أن تقربى، وأوحى الله إلى هذه: أن تباعدى. وقال: قيسوا ما بينهما فوجداه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له»[١].

ثابت البنانى (رحمه الله)

رحم الله الإمام القدوة أبا محمد ثابت البنانى.

قال بكر المزنى: من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه فلينظر إلى ثابت البنانى.

قال مبارك بن فضالة: دخلت على ثابت فقال: يا إخوتاه، لم أقدر أن أصلى البارحة كما كنت أصلى، ولم أقدر أن أصوم، ولا أنزل إلى أصحابى فأذكر معهم، اللهم إذ حبستنى عن ذلك فلا تدعنى فى الدنيا ساعة[٢]

وعن محمد بن ثابت البنانى قال: ذهبت أُلقن أبى عند الموت، فقال: يا بنى خَلِّ عنى فإنى فى وِردى السابع. كأنه يقرأ ونفسه تخرج[٣].

مات العابد الربانى وهو يقرأ القرآن.

مات الصوَّام القوَّام العابد الذى تمنى العبادة فى البرزخ فيقول: «اللهم إن كنت أعطيت أحدًا من خلقك الصلاة فى قبره فأعطينيها»[٤].

* * *

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٦٦) عن أبى سعيد -كتاب التوبة- باب قبول التوبة ممن قتل مائة نفس.

(٢) السير (٥/ ٢٢٠).

(٣) «صفة الصفوة» (٣/ ٢٦٣)، و«حلية الأولياء» (٢/ ٣٢٢)، و«الثبات عند الممات» ص(١٤٦).

(٤) «حلية الأولياء» (٢/ ٣١٨).

الحسن البصرى (رحمه الله)

عن ابن عون عن الحسن لما حضرته الوفاة استرجع، وأخرج ذراعيه فحركها وقال: هذه منزلة صبر واستسلام[١].

وعن يونس بن عبيد قال: لما حضرت الحسن الوفاة جعل يسترجع، فأكبَّ عليه ابنه عبد الله فقال: يا أبه إنك قد غممتنا، فهل رأيت شيئًا؟

قال: هى نفسى التى لم أُصَب بمثلها![٢].

قال الحسن البصرى: فضح الموت الدنيا، فلم يترك فيها لذى لُبٍّ فرحًا.

قال هشام بن حسان: كنا عند محمد عشية يوم الخميس، فدخل عليه رجل بعد العصر فقال: مات الحسن، فترحَّم عليه محمد وتغير لونه وأمسك عن الكلام، فما تكلم حتى غربت الشمس، وأمسك القوم عنه مما رأوا من وجده عليه.

قلت: وما عاش محمد بن سيرين بعد الحسن إلا مائة يوم.

ويروى أنه أُغمى عليه ثم أفاق إفاقة فقال: لقد نبهتمونى من جناتٍ وعيون، ومقامٍ كريم.

* * *

(١) «وصايا العلماء عند الموت» ص(٧٨، ٧٩)، و«كتاب المحتضرين» ص(١١٦، ١١٧).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(١١٧).

الربيع بن خثيم (رحمه الله)

عن سرية الربيع قالت: لما احتضر الربيع بكت ابنته فقال: يا بنية لا تبكي، ولكن قولي: يا بشرى، اليوم لقي أبي الخير[١].

وعن عبد الملك بن عمير قال: قيل للربيع بن خثيم: ألا ندعو لك طبيبًا؟ فقال: انظروا.

ثم تفكر فقال: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾[٢].

فذكر من حرصهم على الدنيا ورغبتهم فيها، كانت فيهم مرضى، وكانت فيهم أطباء، فما أرى المداوي بقي، ولا المتداوي. هلك الناعت والمنعوت له[٣].

سعيد بن جبير (رحمه الله)

عن عمرو بن ميمون عن أبيه، قال: لقد مات سعيد بن جبير، وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه.

وعن داود بن أبي هند قال: لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير قال: ما أراني إلا مقتولاً، وسأخبركم: إني كنت أنا وصاحبان لي دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء، ثم سألنا الله الشهادة، فكلا صاحبي رُزقها، وأنا أنتظرها. قال: فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء»[٤].

---

(١) «حلية الأولياء» (٢/ ١١٤)، «الكتاب المصنف» لابن أبي شيبة (١٣/ ٤٠٠)، و«الثبات عند الممات» ص(١٣٧)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٢٠)، و«تهذيب الكمال» (٩/ ٧٦).

(٢) سورة الفرقان: الآية: (٣٨).

(٣) «المصنف» لابن أبي شيبة (١٣/ ٤٠٠)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٢١).

(٤) «السير» (٤/ ٣٤٠).

قال الذهبي: (قلت: ولما علم من فضل الشهادة، ثبت للقتل ولم يكترث، ولا عامل عدوه بالتقية المباحة له، رحمه الله»[١].

قال ابن كثير: «عن سالم بن أبي حفصة قال: لما أُتي بسعيد بن جبير إلى الحجاج قال له: أنت الشقي بن كسير؟ قال: لا، إنما أنا سعيد بن جبير. قال: لأقتلنك. قال: أنا إذن كما سمتني أمي سعيدًا. قال: شقيت وشقيت أمك. قال: الأمر ليس إليك. ثم قال: اضربوا عنقه. فقال: دعوني حتى أصلي ركعتين».

وفي رواية: أنه قال له: لأبدلنك بالدنيا نارًا تلظى. قال: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهًا. وفي رواية: أنه لما أراد قتله قال: وجهوه إلى قبلة النصارى. فقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[٢]. فقال: اجلدوا به الأرض. فقال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[٣]. فقال: اذبح فما أنزعه لآيات الله منذ اليوم. فقال: اللهم لا تسلطه على أحد بعدي، وقد ذكر أبو نعيم هنا كلامًا كثيرًا في مقتل سعيد بن جبير، أحسنه هذا والله أعلم».

وقال ابن كثير عن سعيد بن جبير: «قال له الحجاج: ويلك. فقال: الويل لمن زُحزح عن الجنة وأُدخل النار. فقال: اضربوا عنقه. فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، أستحفظك بها حتى ألقاك يوم القيامة، فأنا خصمك عند الله. فذُبح من قفاه، فبلغ ذلك الحسن، فقال: اللهم يا قاصم الجبابرة، اقصم الحجاج، فما بقي إلا ثلاثة حتى وقع من جوفه دود، فأنتن منه فمات. وقال سعيد للحجاج لما أمر بقتله وضحك، فقال له: ما أضحكك؟ فقال: أضحك من غيراتك عليَّ وحلم الله عنك».

---

(١) «السير» (٤/ ٣٤٠).

(٢) سورة البقرة: الآية (١١٥).

(٣) سورة طه: الآية: (٥٥).

قال ابن كثير: «لم يلبث الحجاج بعده إلا أربعين يومًا، وكان إذا نام يراه في المنام يأخذ بمجامع ثوبه ويقول: يا عدو الله، فيم قتلتني؟ فيقول خجاج: ما لى ولسعيد بن جبير، ما لى ولسعيد بن جبير، ما لى ولسعيد بن جبير؟»[١].

قال رسول الله ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله»[٣].

عبد الرحمن بن الأسود النخعى (رحمه الله)

* **عن الحكم بن عتيبة قال:** لما احتضر عبد الرحمن بن الأسود بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أسفًا على الصوم والصلاة.

قال: ولم يزل يقرأ القرآن حتى مات. قال: فرُئى أنه من أهل الجنة.

وكان الحكم يقول: ولا يبعد من ذلك، لقد كان يعمل نفسه مجتهدًا لذلك، حذرًا من مصرعه الذى صار إليه[٤].

رحم الله عبد الرحمن بن الأسود كم كان شوقه عظيمًا للصلاة!.

عن ابن إسحاق قال: «قدم علينا عبد الرحمن بن الأسود حاجًّا، فاعتلت رجله، فصلى على قدم حتى أصبح».

قال الشعبى: أهل بيت خُلقوا للجنة، علقمة والأسود وعبد الرحمن»[٥].

---

(١) البداية والنهاية (٩/١٠٣، ١٠٤).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٣٤٤) كتاب الملاحم، والترمذى (٢١٧٤) كتاب الفتن، وابن ماجه (٤٠١١) كتاب الفتن، وأحمد (١٠٧٥٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٤٩١).

(٣) صحيح: أخرجه الحاكم (٣/٢١٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (٣٧٤).

(٤) «كتاب المحتضرين» ص(١٤٧)، و«تهذيب الكمال» (١٦/٥٣٢، ٥٣٣).

(٥) «السير» (٥/١١، ١٢).

يزيد بن الأسود (رحمه الله)

عن حيان أبى النضر قال:

قال لى واثلة بن الأسقع: قدنى إلى يزيد بن الأسود، فإنه قد بلغنى أنه لما به(١).

قال: فقدته، فدخل عليه وهو ثقيل، وقد وُجِّه(٢)، وقد ذهب عقله. قال: فنادوه فقلت: إن هذا واثلة أخوك.

قال: فأبقى الله من عقله ما سمع أن واثلة قد جاء، قال: فمد يده، فجعل يلمس بها، فعرفت ما يريد، فأخذت كف واثلة فجعلتها فى كفه. وإنما أراد أن يضع يده فى يد واثلة، لموضع يد واثلة من رسول الله ﷺ.

فجعل يضع مرة على صدره، ومرة على وجهه، ومرة على فيه.

فقال واثلة: أما تخبرنى عن شىء أسألك عنه؟ كيف ظنك بالله؟

قال: أغرقتنى ذنوب، وأشفيت(٣) على الهلكة، ولكن أرجو رحمة الله.

فكبر واثلة. وكبر أهل البيت تكبيرة. وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يقول الله: أنا عند ظن عبدى بى، فليظن بى ما شاء**»(٤).

* * *

---

(١) أى: من حضوره الموت.

(٢) أى: نحو القبلة.

(٣) اقتربت من هلكة.

(٤) رواه ابن المبارك فى «الزهد» ص(٣١٨)، والحاكم فى «المستدرك» (٤/ ٢٤٠)، وصححه ووافقه الذهبى، وروى طرفًا منه البخارى، ومسلم، انظر: «حسن الظن» لابن أبى الدنيا ص(١٦)، و«الرقة والبكاء»، لابن قدامة ص(٢٨٥)، و«كتاب المحتضرين» ص(٣١ ، ٣٢).

عامر بن عبد الله بن الزبير (رحمه الله)

قال مصعب: سمع عامر المؤذن وهو يجود بنفسه، فقال: خذوا بيدى فقيل: إنك عليل، قال: أسمع داعى الله فلا أجيبه؟! فأخذوا بيده، فدخل مع الإمام فى المغرب فركع ركعة، ثم مات.

أبو حازم (رحمه الله)

عن بشر الأمى الأفوه قال: قال أبو حازم لما حضره الموت: ما أتينا على شىء من الدنيا إلا على ذكر الله، وإن كان هذا الليل والنهار لا يأتيان على شىء إلا أخلقاه. وفى الموت راحة للمؤمنين.

ثم قرأ: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾[1][2].

* وعن محمد بن مطرف، قال: دخلنا على أبى حازم الأعرج، لما حضره الموت فقلنا: كيف تجدك؟ قال: أجدنى بخير، راجيًا لله، حسن الظن به، إنه والله ما يستوى من غدا أو راح يعمر عقد الآخرة لنفسه فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها، فيقوم لها وتقوم له، ومن غدا أو راح فى عقد الدنيا يعمرها لغيره، ويرجع إلى الآخرة لا حظ له فيها ولا نصيب[3].

* * *

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٩٨).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(١٢٤).

(٣) «حلية الأولياء» (٣/ ٢٤١-٢٤٢)، و«قصر الأمل» ص(١١٠-١١١)، وانظر: الترجمة فى «السير» (٦/ ٩٦-١٠٣).

محمد بن واسع (رحمه الله)

سيد أهل عصره الفقيه الورع الزاهد -رحمه الله-:

عن يونس بن عبيد قال: دخلنا على محمد بن واسع نعوده فقال: وما يغنى عنى ما يقول الناس إذا أُخذ بيدى ورجلى فأُلقيت فى النار[١].

وعن الربيع بن صبيح قال: لما احتضر محمد بن واسع جعل إخوانه يقولون له: أبشر يا أبا عبد الله، ، فإنا نرجو لك.

وعن فضالة بن دينار قال:

حضرت محمد بن واسع وقد سُجِّى للموت، فجعل يقول: مرحبًا بملائكة ربى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال: وشممت رائحة طيبة لم أشمم مثلها.

قال: ثم شخص ببصره فمات[٢].

عامر بن عبد قيس (رحمه الله)

قال قتادة: لما احتضر عامر بكى، فقيل: ما يُبكيك؟ قال: ما أبكى جزعًا من الموت، ولا حرصًا على الدنيا، ولكن أبكى على ظمأ الهواجر، وقيام الليل[٣]

وعن همام بن يحيى قال: بكى عامر بن عبد الله فى مرضه الذى مات

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٧/ ٢٤٢)، و«حلية الأولياء» (٢/ ٣٤٨).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(١٥٠).

(٣) «السير» (٤/ ١٥-١٩)، و«الزهد» لابن المبارك ص(٩٥)، و«الزهد» لأحمد (٢/ ١٧٦). و«وصايا العلماء» ص(٨١).

فيه بكاءً شديدًا، فقيل له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: آية في كتاب
ـه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [(١)][(٢)].

حسان بن أبى سنان (رحمه الله)

عن مهدى بن ميمون قال: رأيت حسان بن أبى سنان -أحسبه فى مرضه- قيل له: كيف تجدك؟

قال: بخير إن نجوت من النار.

قيل: فما تشتهى؟ قال: ليلة بعيدة ما بين الطرفين، أُحيى ما بين طرفيها[(٣)].

وعن غاضرة بن قرهد قال: دخلنا على حسان بن أبى سنان وقد حضره الموت، وقال له بعض إخوانه: كيف تجدك؟

قال: أجدنى بحال الموت.

قال: أفتجد له أبا عبد الله كربًا شديدًا؟ فبكى، ثم قال: ينبغى للمؤمن أن يسليه عن كرب الموت وألمه ما يرجو من السرور فى لقاء الله[(٤)].

* * *

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٢٧).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(١٤١).

(٣) «حلية الأولياء» (٣/١١٧، ١١٨)، و«صفة الصفوة» (٣/٣٣٨)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٤٤، ١٤٥).

(٤) «كتاب المحتضرين» ص(١٥٢)، و«الثبات عند الممات» ص(١٥١).

محمد بن المنكدر (رحمه الله)

كان أبو عبد الله محمد بن المنكدر من معادن الصدق، ويجتمع إليه الربانيون من سادات القراء، . . . البكَّاء طيلة عمره، لا يتمالك البكاء إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ فماذا فعل البكاء عند الموت؟

عن عبد الرحمن بن زيد قال: أتى صفوان بن سليم محمد بن المنكدر وهو في الموت فقال: يا أبا عبد الله، لكأني أراك قد شق عليك الموت؟!

فما زال يُهون عليه الأمر، ويتجلى عن محمد حتى لكأن وجهه المصابيح. ثم قال له محمد: لو ترى ما ألاقيه لقرت عينك. ثم قضى -رحمه الله-(١).

أبو عبد الرحمن السلمي (رحمه الله)

عن عطاء بن السائب قال: دخلنا على أبي عبد الرحمن نعوده، فذهب بعضهم يُرجِّيه، فقال: أنا أرجو ربي فقد صمت له ثمانين رمضانًا(٢).

وعن عطاء بن السائب قال: دخلنا على أبي عبد الرحمن السلمي، وهو يقضي - أي ينزع - في المسجد، فقلنا له: لو تحولت إلى الفراش فإنه أوثر - أي أوطأ- قال: حدثني فلان أن النبي ﷺ قال: «**لا يزال أحدكم في صلاة ما دام في مُصلاه ينتظر الصلاة**».

وفي رواية ابن سعد: «**والملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه**».

قال أبو عبد الرحمن السلمي: «فأريد أن أموت وأنا في مسجدي»(٣).

---

(١) «حلية الأولياء» (٣/ ١٤٧)، و«كتاب المحتضرين» (ص١٧١)، و«الثبات عند الممات» ص(١٤١، ١٤٢).

(٢) «معرفة القراء الكبار» (١/ ٥٧).

(٣) «الزهد» لابن المبارك (١٤١، ١٤٢)، و«طبقات ابن سعد» (٦/ ١٧٤، ١٧٥).

عمر بن عبد العزيز (رحمه الله)

* **عن أيوب قال:** قيل لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين! لو أتيت المدينة، فإن قضى الله موتًا فى موضع القبر الرابع مع رسول الله ﷺ، قال: والله لأن يعذبنى الله بغير النار أحب إلىَّ من أن يعلم من قلبى أنى أرانى لذلك أهلاً [١].

* **وقال المغيرة بن حكيم:** قلت لفاطمة بنت عبد الملك: كنت أسمع عمر بن عبد العزيز فى مرضه يقول: اللهم أَخْفِ عليهم أمرى ولو ساعة، قالت: قلت له: ألا أخرج عنك، فإنك لم تنم، فخرجت، فجعلت أسمعه يقول: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[٢]. مرارًا ثم أطرق فلبث طويلاً لا يُسمع له حس، فقلت لوصيف: ويحك انظر، فلما دخل، صاح، فدخلت فوجدته ميتًا، وقد أقبل بوجهه على القبلة، ووضع إحدى يديه على فيه، والأخرى على عينيه[٣].

* **وعن أبى زيد الدمشقى قال:** لما ثقل عمر بن عبد العزيز، دُعى له طبيب، فلما نظر إليه قال: أرى الرجل قد سُقى السم ولا آمن عليه الموت.

فرفع عمر بصره إليه فقال: ولا تأمن الموت على من لم يُسق السم.

قال الطبيب: هل حسست بذلك يا أمير المؤمنين؟

قال: نعم، قد عرفت حين وقع فى بطنى.

---

(١) السير (٥/ ١٤١).

(٢) سورة القصص: الآيه: (٨٣).

(٣) «حلية الأولياء» (٥/ ٣٣٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٤١) و«طبقات ابن سعد» (٥/ ٤٠٦، ٤٠٧)، و«كتاب المحتضرين» ص(٨١، ٨٢).

قال: فتعالج يا أمير المؤمنين، فإنى أخاف أن تذهب نفسك.

قال: ربى خير مذهوب إليه. والله لو علمت أن شفائى عند شحمة أذنى ما رفعت يدى إلى أذنى فتناولته. اللهم خِر لعمر فى لقائك فلم يلبث إلا أيامًا حتى مات -رحمه الله-[١].

هذا والله الشوق إلى الله عز وجل.

وعن مجاهد أنه قال: قال لى عمر بن عبد العزيز: ما يقول فىَّ الناس؟ قلت: يقولون مسحور، قال: ما أنا بمسحور، ثم دعا غلامًا له فقال: ويحك! ما حملك على أن سقيتنى السم؟ قال: ألف دينار أُعطيتها، وعلى أن أُعتق، قال هاتها، فجاء بها، فألقاها فى بيت المال، وقال: اذهب حيث لا يراك أحد[٢].

وقال ابن عيينة: قلت لعبد العزيز بن عمر: ما آخر ما تكلم به أبوك؟ فقال: كان له من الولد أنا وعبد الله، وعاصم وإبراهيم، وكنا أغيلمة، فجئنا كالمُسلِّمين عليه والمودعين له، فقيل له: تركت ولدك ليس لهم مال، ولم تؤوهم إلى أحد، فقال: ما كنت لأعطيهم ما ليس لهم، وما كنت لآخذ منهم حقًّا هو لهم، وإن وليى الله فيهم الذى يتولى الصالحين، إنما هم أحد رجلين: صالح أو فاسق... وقيل: إن الذى كلمه فيهم خالهم مسلمة[٣].

وعن ليث بن أبى رقية كاتب عمر بن عبد العزيز أن عمر بن عبد العزيز قال: أجلسونى، فأجلسوه، فقال: أنا الذى أمرتنى فقصرت، ونهيتنى فعصيت، ثلاثًا، ولكن لا إله إلا الله، ثم أحدَّ النظر، وقال إنى لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جن ثم قُبض[٤].

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(٨٢ ، ٨٣)، و«الثبات عند الممات» ص(١٥٠).

(٢) «السير» (٥/ ١٤٠)، ورجاله ثقات.

(٣) «السير» (٥/ ١٤٠، ١٤١).

(٤) «السير» (٥/ ١٤١)، و«كتاب المحتضرين» ص(٨٤).

* **وعن عمرو بن قيس قال:** قالوا لعمر بن عبد العزيز لما حضره الموت: اعهد يا أمير المؤمنين قال: أحذركم مثل مصرعى هذا، فإنه لا بد لكم منه، وإذا وضعتمونى فى قبرى، فانزعوا عنى لبنة، ثم انظروا ما لحقنى من دنياكم هذه[(١)].

* **وعن يحيى بن أبى كثير قال:** لما حضر عمر بن عبد العزيز الموت؛ بكى، فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ أبشر، فإن الله أحيا بك سُنَنًا، وأظهر بك عدلاً.

* **فبكى ثم قال:** أليس أُوقف فأُسأل عن أمر هذا الخلق؟ فوالله لو رأيت أنى عدلت فيهم لخفت على نفسى أن لا تقوم بحجتها بين يدى الله إلا أن يلقنها حجتها، فكيف بكثير مما صنعنا؟ قال: ثم فاضت عيناه. فلم يلبث إلا يسيراً بعدها حتى مات -رحمه الله-[(٢)].

قال هشام بن حسان: لما جاء نعيه إلى الحسن، قال: مات خير الناس[(٣)].

* * *

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(٨٢).
(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٩٧).
(٣) «السير» (٥/ ١٤٢).

عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز (رحمه الله)

* دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه فى وجعه، فقال: يا بنى كيف تجدك؟

قال: أجدنى فى الحق.

قال: يا بنى، لأن تكون فى ميزانى أحب إلىَّ من أن أكون فى ميزانك.

قال ابنه: وأنا يا أبتِ؟ لأن يكون ما تحب أحب إلىَّ من أن يكون ما أحب[1].

عبد العزيز بن سلمان (رحمه الله)

عن حاتم بن سلمان قال: دخلنا على عبد العزيز بن سلمان وهو يجود بنفسه، فقلت: كيف تجدك؟

قال: أجدنى أموت.

فقال له بعض إخوانه: على أية حال رحمك الله؟

فبكى، ثم قال: ما نُعوِّل إلا على حسن الظن بالله.

قال: فما خرجنا من عنده حتى مات[2].

* * *

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٢٥)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١٥/٢٠٢).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(١٥٤).

الإمام القدوة أبو بكر محمد بن أحمد بن النابلسى (رحمه الله)

قال أبو ذر الحافظ: سجنه بنو عبيد -الفاطميون- وصلبوه على السنة، سمعت الدارقطنى يذكره ويبكى، ويقول: كان يقول وهو يُسلخ ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾[1].

«قال أبو الفتوح ابن الفرج، أقام جوهر -القائد- لأبى تميم صاحب مصر أبا بكر النابلسى، وكان ينزل الأكواخ، فقال له: بلغنى أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم، وجب أن يرمى فى الروم سهمًا وفينا تسعة، قال: ما قلت هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرة أسهم وجب أن يرميكم بتسعة، وأن يرمى العاشر فيكم أيضًا، فإنكم غيرتم الملة، وقتلتم الصالحين، وادعيتم نور الألوهية، . . . فشهره، ثم ضربه، ثم أمر يهوديًا فسلخه.

قال معمر بن أحمد بن زياد الصوفى: أخبرنى الثقة أن أبا بكر سُلخ من مفرق رأسه حتى بلغ الوجه، وكان يذكر الله ويصبر حتى بلغ الصدر، فرحمه السلاخ، فوكزه بالسكين موضع قلبه، فقضى عليه؛ وأخبرنى الثقة أنه كان إمامًا فى الحديث والفقه، صائم الدهر، كبير الصولة عند العامة والخاصة، ولما سُلخ كان يُسمع من جسده القرآن»[2].

* * *

(١) سورة الإسراء: الآية: (٥٨).

(٢) السير (١٦/ ١٤٨ ، ١٤٩).

الإمام المبارك عبد الله بن المبارك (رحمه الله)

مات ابن المبارك سَحَرًا بهيت لعشرٍ مضت من رمضان منصرفه من الغزو . . فهل بعد هذه الأوقات الخيِّرة من خير!

* **قال أبو خالد الأحمر**: ما هدت الأرض منذ مات سفيان هدتها لموت ابن المبارك.

وعن عبد الوهاب بن الحكم قال: لما مات ابن المبارك بلغنى أن هارون أمير المؤمنين قال: مات سيد العلماء[١].

* **قال سفيان الثورى**: إنى لأشتهى من عمرى كله أن أكون سنة واحدة مثل عبد الله بن المبارك فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام[٢].

* **قال الذهبى**: «والله إنى لأحبه فى الله، وأرجو الخير بحبه»[٣].

* **قال أحمد بن عبد الله العجلى**: حدثنى أبى قال: لما احتضر ابن المبارك، جعل رجل يلقنه، قل: لا إله إلا الله، فأكثر عليه، فقال له: لست تحسن، وأخاف أن تؤذى مسلمًا بعدى، إذا لقنتنى، فقلت: لا إله إلا الله، ثم لم أُحدث كلامًا بعدها، فدعنى، فإذا أحدثت كلامًا، فلقنِّى حتى تكون آخر كلامى.

وقيل: فتح عبد الله بن المبارك عينه عند الوفاة فضحك، وقال: ﴿**لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ**﴾[٤].

---

(١) السير (٨/ ٣٩٠).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٦٢).

(٣) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٧٥).

(٤) سورة الصافات: الآية: (٦١).

وفى **«العاقبة»**: «لما حضرت ابن المبارك الوفاة، قال لنصر مولاه: اجعل رأسى على التراب. فبكى نصر، فقال: ما يبكيك؟ قال: ذكرت ما كنت فيه من النعيم، وأنت ها هنا تموت فقيـرًا غريبًا، فقال: اسكت فإنى سألت الله أن يحيينى حياة السعداء ويميتنى ميتة الفقراء»[١].

أبو العالية رفيع بن مهران (رحمه الله)

قال أبو بكر بن أبى داود: ليس أحد بعـد الصحابة أعـلم بالقرآن من أبى العالية.

أبو العاليـة العبد الصـالح الذى كان يختـم القرآن يوميًّا ويخدم مولاه بالنهار فشق ذلك عليه فأوصاه أصحاب النبى ﷺ بختمه كل ثلاث.

عن سيار بن سـلامة قال: دخلت على أبى العالية فى مـرضه الذى مات فيه، قال: إن أحبـه إلىَّ أحبه إلى الله[٢].. ومن أولى بالرضا عن الله من أبى العالية:

عـــذابه فـــيك عــــذبُ — *وبعــــدهُ فـــيك قُــــربُ*

وأنـت عـنـدى كـــــروحى — *بـل أنـت منهــــا أحـبٌّ*

حـــســـبى من الحب أنـى — *لمــــا تحـــب أحـــبُّ*

* * *

(١) العاقبة (ص: ١٤٥).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(٢١٣).

مجاهد بن جبر (رحمه الله)

يرحم الله أبا الحجاج المخزومى المكى مجاهد جهبذ المفسرين القائل: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها».

قال الفضل بن دُكين: مات مجاهد وهو ساجد.

أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد... ومن كان بحالة لقى الله بها، ويُحشر العبد على ما مات عليه.. وهكذا موت من خالط القرآن لحمه ودمه.

عبد الله بن عامر الأسلمى المدنى (رحمه الله)

عن ابن أبى حازم قال: لما نزل بعبد الله بن عامر بن عبد الله بن أوس بكى، فاشتد بكاؤه فأرسل أهله إلى أبى حازم أن أخاك قد جزع عند الموت، فأته فعزَّه وصبِّره. قال ابن أبى حازم: فأتيته مع أبى، فقال له أبى: يا عامر، ما الذى يبكيك؟ فوالله ما بينك وبين أن ترى السرور إلا فراق هذه الدنيا، وإن الذى تبكى منه للذى كنت تدأب له وتنصب.

فأخذ عامر بجلدة ذراعه، ثم قال: يا أبا حازم، ما صبر هذه الجلدة على نار جهنم؟ فخرج أبى يبكى لكلامه.

وأُذِّن لصلاة الظهر، فقام يريد المسجد، فسقط، وتوفى وهو صائم، ما أفطر[1].

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٦٨ ، ١٦٩).

عبد الله بن عون بن أرطبان (رحمه الله)

قال عبد الرحمن بن مهدى: ما كان بالعراق أعلم بالسنة من ابن عون.

وقال خارجة بن مصعب: صحبت ابن عون أربعًا وعشرين سنة، فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة.

وقال الأوزاعى: إذا مات ابن عون والثورى استوى الناس.

وكان -رحمه الله- يصوم يومًا ويفطر يومًا.

قال بكار بن محمد: كان ابن عون يتمنى أن يرى النبى ﷺ. فلم يره إلا قبل موته بيسير، فسُرَّ بذلك سرورًا شديدًا، فنزل من درجته إلى المسجد فسقط فأُصيبت رجله، فلم يزل يعالجها حتى مات -رحمه الله-.

قال ابن عون: ذكر الناس داء وذكر الله دواء.

قال الذهبى: قلت: إى والله، فالعجب منا ومن جهلنا كيف ندع الدواء ونقتحم الداء؟! قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾(1) وقال: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾(2) وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(3) ولكن لا يتهيأ ذلك إلا بتوفيق الله. ومن أدمن الدعاء ولازم قرع الباب فُتح له، وقد كان ابن عون قد أوتى حلمًا وعلمًا ونفسًا زكية تعين على التقوى فطوبى له.

* **قال بكار بن محمد:** وكان له سُبع يقرؤه كل ليلة، فإذا لم يقرأه أتمه بالنهار.

* **وقال بكار بن محمد:** سقط ابن عون وأصيبت رجله فتعلل ومات فحضرت وفاته، فكان حين قُبض موجهًا يذكر الله تعالى حتى غرغر.

---

(1) سورة البقرة: الآية: (152).

(2) سورة العنكبوت: الآية: (45).

(3) سورة الرعد: الآية: (28).

عروة بن الزبير (رحمه الله)

ابن حوارى الرسول ﷺ أحد فقهاء المدينة السبعة:

كان -رحمه الله- يقرأ ربع القرآن كل يوم فى المصحف نظرًا، ويقوم به الليل.

وعن هشام أن أباه مات وهو صائم، وجعلوا يقولون له: أفطر، فلم يفطر، . . . وقال هشام بن عروة: أن أباه كان يصوم الدهر إلا يوم الفطر ويوم النحر[1]، ومات وهو صائم[2].

أبو بكر بن عبد الله بن أبى مريم الغسانى (رحمه الله)

كان فى خدى أبى بكر بن أبى مريم الغسانى مسلكان من الدموع.

قال يزيد بن عبد ربه: «عدت مع خالى على بن مسلم أبا بكر بن أبى مريم وهو فى النزع فقلت له: رحمك الله لو جرعت جرعة ماء؟ فقال بيده: لا.

ثم جاء الليل فقال: أُذِّن؟ فقلت: نعم. فقطرنا فى فمه قطرة ماء ثم غمضناه فمات -رحمه الله-، وكان لا يقدر أحد أن ينظر إليه من خوى فمه من الصيام[3].

رحمك الله أبا بكر كم كنت صوامًا وختم الله لك أمرك بالصيام.

---

(١) وأيام التشريق تضمينًا فإنه يحرم صومها.

(٢) «السير» - ترجمة عروة بن الزبير (٤/٤٣٧ - ٤٤١).

(٣) «الحلية» (٦/٨٩)، و«صفة الصفوة» (٤/٢٢١)، و«الثبات عند الممات» ص(١٥١ ، ١٥٢).

قال رسول الله ﷺ: «من خُتم له بصيام يوم دخل الجنة»[(١)].

قال المناوى: «أى من ختم عمره بصيام يوم بأن مات وهو صائم، أو بعد فطره من صومه دخل الجنة مع السابقين الأولين، أو من غير سبق عذاب»[(٢)].

الإمام عبد الله بن وهب (رحمه الله)

قال الذهبى: «كان ابن وهب من أوعية العلم، ومن كنوز العمل»[(٣)].

وقال الذهبى: «بلغنا أن مالكًا كان يكتب إليه «إلى عبد الله بن وهب مفتى أهل مصر . . .، ولم يفعل هذا مع غيره»[(٤)].

وقال سحنون الفقيه: «كان ابن وهب قد قسم دهره أثلاثًا: ثلثًا فى الرباط، وثلثًا يُعلم الناس بمصر، وثلثًا فى الحج»[(٥)]. حج ستًّا وثلاثين فرحمة الله عليه.

قال خالد بن خداش قُرئ على عبد الله بن وهب كتاب «أهوال القيامة» (تأليفه)، فخر مغشيًا عليه، قال: فلم يتكلم بكلمة، حتى مات بعد أيام - رحمه الله-»[(٦)].

هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها. . هكذا يموت شيخ الإسلام ابن وهب من جراء ذكر القيامة.

---

(١) **صحيح:** رواه البزار عن حذيفة، ورواه أحمد، وابن شاهين، وابن بشران، وأبو نعيم، وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٦٢٢٤).

(٢) «فيض القدير» للمناوى (٦/ ١٢٣).

(٣) «السير» (٩/ ٢٢٤).

(٤) «السير» (٩/ ٢٢٧).

(٥) «السير» (٩/ ٢٢٦).

(٦) «السير» (٩/ ٢٢٦)، و«الانتقاء» لابن عبد البر - ص (٤٩).

عمر بن حسين الجمحى (رحمه الله)

«كان عمر بن حسـين عبد الله الجمحى، أبا قدامة المكى، مولى عائشة بنت قـدامـة بن مظعون الجـمـحى، قـاضى المدينة المنورة. وكـان من أهل الفضل، والفقه، والمشورة فى الأمور، والعبادة. وكانت القضاة تستشيره.

قال مالك بن أنس: ولقد أخبرنى من حضره عند الموت، فسمعه يقول: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾[1].

قال ابن وهب: فقلت لمالك: أتراه قال هذا لشىءٍ عاينه؟

قال: نعم»[2].

الأسود بن يزيد النخعى (رحمه الله)

عن علقمة بن مرثد قال: كان الأسود يجتهد فى العبادة، ويصوم حتى يخضر ويصفر، فلما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: ما لى لا أجزع، والله لو أُتيت بالمغفرة من الله لأهمنى الحياء منه مما قد صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين آخر الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحيًا منه[3].

* * *

(١) سورة الصافات: الآية: (٦١).

(٢) كتاب المحتضرين (ص: ٢١٨).

(٣) السير (٤/ ٥٣).

شيخ الإسلام أبو قلابة الجَرمى عبد الله بن يزيد بن عمرو الإمام

قال الذهبى: «إن أبا قلابة ممن ابتُلى فى بدنه ودينه، أريد على القضاء فهرب إلى الشام فمات بعريض مصر سنة أربع، وقد ذهبت يداه ورجلاه وبصره، وهو مع ذلك حامد شاكر.

وقد روى ابن حبان قصة صبره الجميل الكريم النبيل: قال ابن حبان: «حدثنى بقصة موته محمد بن المنذر بن سعيد، قال: ثنى يعقوب بن إسحاق ابن الجراح، قال: ثنى الفضل بن عيسى، عن بقية بن الوليد، حدثنى الأوزاعى، عن عبد الله بن محمد، قال: خرجت إلى ساحل البحر مرابطًا وكان رابطنا يومئذ عريش مصر، قال: فلما انتهيت إلى الساحل فإذا أنا ببطيحة، وفى البطيحة خيمة فيها رجل قد ذهبت يداه ورجلاه، وثقل سمعه وبصره، وما له من جارحة تنفعه إلا لسانه وهو يقول: «اللهم أوزعنى أن أحمدك حمدًا أكافئ به شكر نعمتك التى أنعمت بها علىَّ وفضلتنى على كثير ممن خلقت تفضيلاً». قال الأوزاعى: قال عبد الله: قلت: والله لآتينَّ هذا الرجل، ولأسألنه أنَّى له هذا الكلام، فهمٌ أم علمٌ أم إلهامٌ، فأتيت الرجل، فسلمت عليه، فقلت: سمعتك وأنت تقول: «اللهم. . . . تفضيلاً» فأى نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها، وأى فضيلة تفضَّل بها عليك تشكره عليها؟! قال: وما ترى ما صنع ربى؟! والله لو أرسل السماء علىَّ نارًا فأحرقتنى، وأمر الجبال فدمرتنى، وأمر البحار فأغرقتنى، وأمر الأرض فبلعتنى ما ازددت لربى إلا شكرًا لما أنعم علىَّ من لسانى هذا، ولكن يا عبد الله إذ أتيتنى لى إليك حاجة قد ترانى على أية حالة أنا، لست أقدر لنفسى

على ضرٍّ ولا نفع، ولقد كان معى بنّى لى يتعاهدنى فى وقت صلاتى فيوضينى، وإذا جعت أطعمنى، وإذا عطشت سقانى، ولقد فقدته منذ ثلاثة أيام، فتحسسه لى رحمك الله. فقلت: والله ما مشى خلق فى حاجة خلق كان أعظم عند الله أجرًا ممن يمشى فى حاجة مثلك، فمضيت فى طلب الغلام، فما مضيت غير بعيد حتى صرت بين كثبان من الرمل، فإذا أنا بالغلام قد افترسه سبع وأكل لحمه، فاسترجعت وقلت أنَّى لى وجه رقيق آتى به الرجل؟! فبينما أنا مقبل نحوه إذ خطر على قلبى ذكر أيوب النبى ﷺ، فلما أتيته سلمت عليه، فرد علىَّ السلام فقال: ألست بصاحبى؟ قلت: بلى. قال: ما فعلت فى حاجتى. فقلت: أنت أكرم على الله أم أيوب النبى؟ قال: بل أيوب النبى. قلت: هل علمت ما صنع به ربه؟ أليس قد ابتلاه بماله وآله وولده؟ قال: بلى. قلت: فكيف وجده؟ قال: وجده صابرًا شاكرًا حامدًا. قلت: لم يرض منه ذلك حتى أوحش من أقاربه وأحبائه؟ قال: نعم. قلت: فكيف وجده ربه؟ قال: وجده صابرًا شاكرًا حامدًا. قلت: فلم يرض منه بذلك حتى صيَّره عرضًا لمار الطريق. هل علمت؟ قال: نعم. قلت: فكيف وجده ربه؟ قال صابرًا شاكرًا حامدًا: أوجز رحمك الله.

قلت له: إن الغلام الذى أرسلتنى فى طلبه وجدته بين كثبان الرمل وقد افترسه سبع فأكل لحمه، فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر، فقال المبتلى: الحمد لله الذى لم يخلق من ذريتى خلقًا يعصيه فيعذبه بالنار. ثم استرجع وشهق شهقة فمات. فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون عظمت مصيبتى، رجل مثل هذا إن تركته أكلته السباع، وإن قعدت فلم أقدر على ضر ولا نفع، فسجيته بشملة كانت علىَّ وقعدت عند رأسه باكيًا، فبينما أنا قاعد إذ تهجَّم علىَّ أربعة رجال، فقالوا: يا عبد الله ما حالك؟ وما قصتك؟ فقصصت

عليهم قصتى وقصته، فقالوا: لى: اكشف لنا عن وجهه فعسى أن نعرفه، فكشفت عن وجهه، فانكبَّ القوم عليه يُقبلون عينيه مرة، ويده أخرى، ويقولون: بأبى عين طالما غضت عن محارم الله، وبأبى جسم طالما كان ساجدًا والناس نيام، فقلت: من هذا يرحمكم الله؟ فقالوا: هذا أبو قلابة الجرمى، صاحب ابن عباس، لقد كان شديد الحب لله وللنبى ﷺ، فغسلناه وكفناه بأثواب كانت معنا، وصلينا عليه ودفناه، فانصرف القوم وانصرفت إلى رباطى، فلما أن جَنَّ علىَّ الليل، وضعت رأسى، فرأيته فيما يرى النائم فى روضة من رياض الجنة، وعليه حُلتان من حُلل الجنة، وهو يتلو الوحى: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[١]. فقلت: ألست بصاحبى؟ قال: بلى. قلت: أنَّى لك هذا؟ قال: إن لله درجات لا تُنال إلا بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، مع خشية الله عز وجل فى السرِّ والعلانية[٢].

مالك بن أنس (رحمه الله)

عن ابن أبى أويس قال: اشتكى مالك أيامًا يسيرة فسألت بعض أهلنا عما قال عند الموت، قال: تشهَّد، ثم قال: ﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[٣][٤].

ونقل القاضى عياض أن أسد بن موسى قال: رأيت مالكًا بعد موته، وعليه ثياب طويلة، وثياب خُضر وهو على ناقة، يطير بين السماء والأرض. فقلت: يا أبا عبد الله! أليس قد مت؟ قال: بلى. فقلت: فإلام صرت؟ فقال: قدمت على ربى وكلمنى كفاحًا، وقال: سلنى أعطك، وتمنَّ علىَّ أُرضك.

---

(١) سورة الرعد: الآية: (٢٤).

(٢) «الثقات» لابن حبان (٥/ ٢-٥).

(٣) سورة الروم: الآية: (٤).

(٤) «صفة الصفوة» (٢/ ١٧٩)، و«الثبات عند الممات» ص(١٥٢).

الإمام سفيان الثورى (رحمه الله)

لما احتضر سفيان الثورى جعل يبكى، فقيل له: يا أبا عبد الله! عليك بالرجاء؛ فإن عفو الله أعظم من ذنوبك، فقال: أو على ذنوبى أبكى؟! لو علمت أنى أموت على التوحيد لم أُبالِ بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا.

وعن عبد الرحمن بن مهدى قال: مات سفيان الثورى عندى، فلما اشتد به جعل يبكى، فقال له رجل: يا أبا عبد الله! أراك كثير الذنوب؟ فرفع شيئًا من الأرض، فقال: والله لذنوبى أهون عندى من ذا، إنى أخاف أن أُسلب الإيمان عند الموت.

وكان -رحمه الله- يقول: بكينا على الذنوب زمانًا ونحن الآن نبكى على الإسلام.

وعن ابن مهدى، قال: مرض سفيان بالبطن، فتوضأ تلك الليلة ستين مرة، حتى إذا عاين الأمر، نزل عن فراشه، فوضع خده بالأرض، وقال: يا عبد الرحمن! ما أشد الموت، ولما مات غمَّضتُه، وجاء الناس فى جوف الليل، وعلموا[١].

وقال إبراهيم بن أعين البجلى، وكان من خيار الناس قال: رأيت سفيان الثورى فى المنام، فقلت له: يا أبا عبد الله! ما صنعت فديتك؟ قال: أنا مع السفرة، قلت: وما السفرة؟ قال: الكرام البررة[٢].

وعن ابن عيينة قال: رأيت سفيان الثورى فى النوم، وقد مات كأنه يطير فى الجنة من شجرة إلى نخلة ومن نخلة إلى شجرة، وهو يقول: ﴿**لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ**﴾[٣]، فقلت له: بِمَ أُدخلت الجنة؟ قال: بالورع بالورع»[٤].

---

(١) انظر: ترجمة سفيان الثورى فى «السير» (٧/ ٢٢٩ - ٢٧٩).

(٢) مقدمة «الجرح والتعديل» (١/ ١٢٠).

(٣) سورة الصافات: الآية: (٦١).

(٤) «العاقبة» لعبد الحق الأشبيلى الأزدى ص(١٣١).

أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدى (رحمه الله)

قال ابن عباس ﷺ: لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول أبى الشعثاء لأوسعهم علمًا عما فى كتاب الله.

«**قيل لجابر بن زيد عند موته**: ما تشتهى؟ فقال: نظرة إلى الحسن، فجاء الحسن، فلما دخل عليه قيل له: هذا الحسن، فرفع طرفه، وقال: يا إخوتاه! الساعة أفارقكم إما إلى الجنة وإما إلى النار».... يا لله أى نضارة تحمل وجوه الصالحين حتى يصير النظر إليها أعز أمنيات الصالحين عند الموت.

وعن ثابت البنانى قال: لما حضر جابرَ بن زيد الوفاةُ قال: أقعدونى. فأُقْعد، ثم قال: أضجعونى.

فأُضجع فقال: أعوذ بالله من النار وسوء الحساب. ثلاث مرات[(١)].

عبد الرحمن بن أبان بن عثمان (رحمه الله)

قال فيه الذهبى: أحد من يصلح للخلافة... وقال موسى التيمى: ما رأيت أحدًا أجمع للدين والمملكة والشرف منه.

قال الذهبى: «كان يشترى أهل البيت فيكسوهم ويعتقهم، ويقول: أستعين بهم على غمرات الموت فمات وهو نائم فى مسجده»[(٢)].

وقال ابن الجوزى: «مات وهو قائم فى مسجده يصلى السبحة - يعنى الضحى -»[(٣)].

---

(١) كتاب المحتضرين (ص: ١١٨).

(٢) «السير» (٥/ ١٠ ، ١١).

(٣) «صفة الصفوة» (٢/ ١٤٨).

أبو مسلم الخولانى (رحمه الله)

عن محمد بـن شعيب وسعيد بن عبـد العزيز قالا: قحط الناس على عهد معاوية ﷺ فخرج يستسقى بهم، فلما نظروا إلى المصلى، قال معاوية لأبى مسلم: ترى مـا داخل الناس فادع الله، فقـال: أفعل على تقصـيرى، فقام وعليه بُرنس، فكشف البرنس عن رأسه، ثم رفع يديه فقال: اللهم إنا بك نستمطر وقـد جئت بذنوبى إليك، فلا تخـيبنى، قال: فـما انصرفـوا حتى سُقوا. قالا: فقـال أبو مسلم: اللهم إن معاوية أقامنى مقام سـمعة فإن كان لى عندك خيـر فاقـبضنى إليك، قالا: وكـان ذلك يوم الخميس فـمات أبو مسلم -رحمه الله- يوم الخميس المقبل[١].

شيخ الإسلام حماد بن سلمة (رحمه الله)

قال عبد الرحمن بن مهدى: لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت غدًا، ما قدر أن يزيد فى العمل شيئًا.

قال الذهبى: كانت أوقاته معمورة بالتعبد والأوراد.

قال يونس بن محمد المؤدب: مات حماد فى الصلاة فى المسجد[٢].

* * *

(١) «الزهد» لأحمد ص(٣٩٢)، و«إرواء الغليل» (٣/ ١٤٠).

(٢) السير (٧/ ٤٥٦).

داود الطائى (رحمه الله)

قال فيه ابن المبارك: هل الأمر إلا ما كان عليه داود.

وقال محارب بن دثار: لو كان داود فى الأمم الماضية لقص الله تعالى شيئًا من خبره.

«**قال أبو داود الطيالسى:** حضرت داود، فما رأيت أشد نزعًا منه»[١].

قال جعفر بن نفيل الرهبى: رأيت داود الطائى بعد موته، فقلت له: كيف رأيت خير الآخرة؟ قال: رأيت خيرها كثيرًا، قلت: فماذا صرت إليه؟ قال: صرت إلى خير الحمد لله، قال: فقلت له: هل لك من علم بسفيان بن سعيد؟ فقال: كان يحب الخير وأهله فرقّاه الخير إلى درجة أهل الخير»[٢].

إبراهيم النخعى فقيه العراق (رحمه الله)

قال إبراهيم النخعى: كانوا يستحبون أن يُلقنوا العبد محاسن عمله عند موته لكى يحسن ظنه بربه[٣].

وقيل: إن إبراهيم لما احتضر، جزع جزعًا شديدًا، فقيل له فى ذلك فقال: وأى خطر أعظم مما أنا فيه، أتوقع رسولاً يَرِد علىَّ من ربى إما بالجنة وإما بالنار، والله لوددت أنها تلجلج فى حلقى إلى يوم القيامة[٤].

هذا قول إبراهيم النخعى، وهو العلم، الإمام، فقيه النفس، كبير الشأن، كثير المحاسن.

---

(١) «السير» (٧/ ٤٢٢ - ٤٢٥).

(٢) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٢٢٢ ، ٢٢٣).

(٣) «حسن الظن بالله» ص(٣٨)، و«كتاب المحتضرين» ص(٣٨).

(٤) انظر: «السير» (٤/ ٥٢٠ - ٥٢٩).

وعن أبى معشر زياد بن كليب قال: دخلنا على إبراهيم النخعى حين ثقل، فجعل يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير.

قال: فلما زاد ثقلاً جعل ينقص حتى قال: لا إله إلا الله وحده، لا إله إلا الله. ثم قضى[١].

وعن عمران الخياط قال: دخلت على إبراهيم أعوده وهو يبكى، فقلت: ما يبكيك يا أبا عمران؟ قال: أنتظر ملك الموت، لا أدرى بالجنة يبشرنى أم بالنار[٢].

أبو يحيى مالك بن دينار (رحمه الله)

عن أبى عيسى قال: دخلوا على مالك بن دينار وهو فى الموت فجعل يقول: لمثل هذا اليوم كان دُؤوب أبى يحيى[٣].

وعن عمارة بن زاذان أن مالك بن دينار لما حضره الموت قال: لولا أنى أكره أن أصنع ما لم يصنعه أحد كان قبلى لأوصيت أهلى إذا أنا مت أن يقيدونى ويجمعوا يدى إلى عنقى فينطلقوا بى على تلك الحالة حتى أُدفن كما يُصنع بالعبد الآبق، فإذا سألنى ربى فقال: قلت: أى رب لم أرض نفسى طرفة عين قط[٤].

وعند ابن أبى الدنيا: «لولا أنى أخاف أن يكون بدعة لأمرتكم إذا أنا مت فَشُدَّت يدى بشريط، فإذا قدمت على الله فسألنى -وهو أعلم-: ما حملك على ما صنعت؟ قلت: أى رب لم أرض لك نفسى قط[٥].

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٢١).
(٢) «الزهد والرقائق» لابن المبارك ص(١٤٧)، و«المصنف» لابن أبى شيبة (١٣/ ٥٥١).
(٣) «صفة الصفوة» (٣/ ٢٨٨)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٤٤).
(٤) «الثبات عند الممات» ص(١٤٧)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٢٨٨).
(٥) «الحلية» (٢/ ٣٦١)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٤٤).

يزيد بن أبان الرقاشى (رحمه الله)

كان من خيار عباد الله، من البكائين بالليل.

* قال حوشب بن عقيل: سمعت يزيد الرقاشى يقول لما حضره الموت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (١). ألا إن الأعمال محضرة، والأجور مكملة، ولكل ساعٍ ما يسعى، وغاية الدنيا وأهلها إلى الموت. ثم بكى، وقال: يا من القبر مسكنه، وبين يدى الله موقفه، والنار غدًا مورده، ماذا قدمت لنفسك؟ ماذا أعددت لمصرعك؟ ماذا أعددت لموقفك بين يدى ربك (٢).

* وعن دُرُست القزاز قال:

لما احتضر يزيد الرقاشى بكى، فقيل له: ما يبكيك -رحمك الله؟

قال: أبكى والله على ما يفوتنى من قيام الليل وصيام النهار. ثم بكى، وقال: من يصلى لك يا يزيد؟ ومن يصوم؟ ومن يتقرب لك إلى الله بالأعمال بعدك؟ ومن يتوب لك إليه من الذنوب السالفة؟ وَيْحكُم يا إخوتاه، لا تغترنَّ بشبابكم، فكأن قد حل بكم ما حل بى من عظيم الأمر وشدة كرب الموت. النجاء النجاء، الحذر الحذر يا إخوتاه، المبادرة -رحمكم الله- (٣).

* * *

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

(٢) «تهذيب الكمال» (٣٢/ ٧٦)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٤٥).

(٣) «تهذيب الكمال» (٣٢/ ٧٦ ، ٧٧)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٤٦)، والنجاء والنجاة بمعنى واحد.

على بن صالح (رحمه الله)

الإمام القدوة الكبير:

* **قال عبد الله بن موسى:** سمعت الحسن بن صالح يقول: لما احتضر أخى، رفع بصره، ثم قال: ﴿**مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا**﴾[1] . ثم خرجت نفسه، فنظرنا، فإذا ثقب فى جنبه قد وصل إلى جوفه، وما علم به أحد.

* **قال الحسن بن صالح:** قال لى أخى -وكنت أصلى- يا أخى اسقنى. قال: فلما قضيت صلاتى، أتيته بماء، فقال: قد شربت الساعة، قلت: من سقاك وليس فى الغرفة غيرى وغيرك؟ قال: أتانى الساعة جبريل بماء، فسقانى وقال: أنت وأخوك وأمك مع الذين أنعم الله عليهم، وخرجت نفسه[2] .

الإمام الأوزاعى (رحمه الله)

عن محمد بن عُبيد الطنافسى قال: كنت عند سفيان الثورى، فجاءه رجل، فقال: رأيت كأن ريحانة من المغرب رُفعت، قال: إن صدقت رؤياك فقد مات الأوزاعى. فكتبوا ذلك، فوُجد كذلك فى ذلك اليوم[3] .

* * *

---

(١) سورة النساء: الآية: (٦٩).

(٢) «السير» (٧/ ٣٧١، ٣٧٢)، «الثبات عند الممات» ص(١٥٤)، و«صفة الصفوة» (٣/ ١٥٣).

(٣) «السير» (٧/ ١٢٦).

الإمام الشافعي (رحمه الله)

قال أحمد بن حنبل: قدم الشافعي فوضعنا على المحجة البيضاء[١].

وقال: ما من أحد مس محبرة ولا قلمًا إلا وللشافعي في عنقه منة[٢].

وقال إبراهيم بن إسحاق الحربي: «قال أستاذ الأستاذين، فيقال له: من هو؟ فيقول: الشافعي، أليس هو أستاذ أحمد بن حنبل؟»[٣].

وقال أبو زرعة: «ما أعلم أحدًا أعظم منة على أهل الإسلام من الشافعي»[٤].

قال يونس بن عبد الأعلى: «ما رأيت أحدًا لقي من السقم ما لقي الشافعي»[٥].

قال الربيع: جاء رسول الخليفة[٦] إلى الشافعي بمصر يدعوه ليوليه القضاء، فقال الشافعي: اللهم إن كان خيرًا لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري فأمضه، وإلا فاقبضني إليك، قال: فتوفي بعد هذه الدعوة بثلاثة أيام، والرسول على بابه[٧].

عن ابن خزيمة وغيره، حدثنا المزني قال: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقلت: يا أبا عبد الله، كيف أصبحت؟ فرفع رأسه وقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقًا، ولسوء عملي ملاقيًا، وعلى الله واردًا، ما أدري روحي تصير إلى جنة فأهنيها، أو إلى نارٍ

---

(١) «توالي التأسيس» ص(١١١).

(٢) «توالي التأسيس» ص(١١٣).

(٣، ٤) «توالي التأسيس» ص(٦١).

(٥) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٦٥).

(٦) «الخليفة المأمون».

(٧) «توالي التأسيس» لابن حجر ص(١٩٣).

فأعزيها، ثم بكى، وأنشأ يقول:

ولما قسى قلبى وضاقت مذاهبى
جعلتُ رجائى دُون عفوك سُلَّما

تعاظمنى ذنبى فلما قرنتُه
بعفوك ربى كان عفُوك أعظما

فما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل
تجودُ وتعفُو منة وتكرُّما

ولولاك لم يُغو بإبليس عابدٌ
فكيف وقد أغوى صفيك آدما

وإنى لآتى الذنب أعرف قدره
وأعلمُ أن الله يعفو ترحُّما[١]

توفى -رحمه الله- ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة، آخر يوم من رجب.

وقال الربيع: «رأيت فى المنام أن آدم ﷺ مات، فسألت عن ذلك فقيل لى: هذا موت أعلم أهل الأرض؛ لأن الله تعالى علَّم آدم الأسماء كلها، فما كان إلا يسير، فمات الشافعى»[٢].

وقال أيضًا: رأيت الشافعى بعد وفاته بالمنام، فقلت: يا أبا عبد الله، ما صنع الله بك؟ قال: أجلسنى على كرسى من ذهب، ونثر علىَّ اللؤلؤ الرطب[٣].

* * *

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ١٤٦)، و«السير»، و«توالى التأسيس» ص(١٨٩).

(٢) «المجموع» للنووى (١/ ١٥).

(٣) «صفة الصفوة» (٢/ ١٤٧).

العلاء بن زياد العدوى (رحمه الله)

* عن زهير بن أبى عطية:

لما احتضر العلاء بن زياد العدوى بكى؛ فقيل له: ما يبكيك؟ قال: كنت والله أحب أن أستقبل الموت بالتوبة.

قال: فافعل رحمك الله.

قال: فدعا بطهور، فتطهر، ثم دعا بثوب له جديد، فلبسه، ثم استقبل القبلة، فأومأ برأسه مرتين، أو نحو ذلك، ثم اضطجع فمات[١].

أبو عمران الجونى (رحمه الله)

الإمام عبد الملك بن حبيب الجـونى الذى كان إذا سمع الأذان تغير لونه وفاضت عيناه، قال عنه جعفر الضبعى: «شهدت أبا عمران الجونى وهو فى الموت، فدخل عليه أيوب السختيانى، فقال لابنه: لقِّن أباك لا إله إلا الله.

فقال أبو عمران لابنه: ما يقول؟

قال: قال: لقن أباك: قال أبـو عمران: يا أيوب، إنها أمامى، لا أعرف غيرها»[٢].

* * *

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٢٦)، و«طبقات ابن سعد» (٧/٢١٧)، و«صفة الصفوة» (٣/٢٥٣)، و«تهذيب الكمال» (٢٢/٤٩٧).

(٢) «كتاب المحتضرين» (ص:٢٠٩).

توبة بن الصمة (رحمه الله)

قال ابن أبى الدنيا: حدثنى رجل من قريش ذكر أنه من ولد طلحة بن عبيد الله، قال: «كان توبة بن الصمة بالرقة، وكان محاسبًا لنفسه، فحسب فإذا هو ابن ستين سنة، فحسب أيامها، فإذا هى أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: ياويلتا؛ ألقى المليك بأحد وعشرين ألف ذنب؟ كيف وفى كل يوم عشرة آلاف ذنب؟ ثم خَرَّ مغشيًا عليه، فإذا هو ميت»[(١)].

شيخ الإسلام طلحة بن مصرف (رحمه الله)

قال عبد الملك بن أبجر: ما رأيت طلحة بن مصرف فى ملأٍ إلا رأيت له الفضل عليهم.

وقال فضيل بن عياض: بلغنى عن طلحة أنه ضحك يومًا فوثب على نفسه، وقال: ولِمَ تضحك، إنما يضحك من قطع الأهوال وجاز الصراط، ثم قال: آليت أن لا أفتر ضاحكًا حتى أعلم بم تقع الواقعة، فما رُئى ضاحكًا حتى صار إلى الله[(٢)].

قال ليث بن أبى سليم: حدثت طلحة بن مصرف فى مرضه أن طاوسًا كره الأنين، فما سُمع طلحة يئن حتى مات[(٣)].

* * *

(١) «صفة الصفوة» (٤/١٩٦)، وهو الذى يقال له مجنون ليلى كما فى «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/٣٥٣).

(٢) «السير» (٥/١٩٢).

(٣) «الحلية» (٥/١٨)، و«صفة الصفوة» (٣/٩٨)، و«الثبات» ص(١٤٤)، و«السير» (٥/١٩٢).

علي بن الفضيل بن عياض (رحمه الله)

* كان عليٌّ يومًا عند ابن عيينة، فحدث سفيان بحديث فيه ذكر النار، وفي يد علي قرطاس في شيء مربوط، فشهق شهقة ووقع، ورمى بالقرطاس أو وقع من يده، فالتفت إليه سفيان، فقال: لو علمت أنك هاهنا ما حدثت به. فما أفاق إلا بعد ما شاء الله[١].

* وقال الفضيل: أشرفت ليلة على عليّ، وهو في صحن الدار وهو يقول: النار، ومتى الخلاص من النار؟!

وقال لي: يا أبت، سل الذي وهبني لك في الدنيا أن يهبني لك في الآخرة. ثم قال: لم يزل منكسر القلب حزينًا، ثم بكى الفضيل، ثم قال: كان يساعدني على الحزن والبكاء. يا ثمرة قلبي، شكر الله لك ما قد علمه فيك[٢].

قال الخطيب: «مات قبل أبيه بمدة، من آية سمعها تُقرأ، فغشي عليه وتوفي في الحال»[٣].

وقال إبراهيم بن بشار: الآية التي مات فيها علي بن الفضيل في الأنعام: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾[٤]، مع هذا الموضع مات، وكنت فيمن صلى عليه»[٥].

* * *

(١) «التخويف من النار» لابن رجب الحنبلي ص(٢١)، و«السير» (٨/ ٤٤٥).
(٢) «السير» (٨/ ٤٤٤)، و«الحلية» (٨/ ٢٩٧).
(٣) «السير» (٨/ ٤٤٣).
(٤) سورة الأنعام: الآية: (٢٧).
(٥) «السير» (٨/ ٤٤٦).

أبو عبد الله محمد بن يوسف الأصبهانى (رحمه الله)

* كان ابن المبارك يأتيه، ويحبه. وقال يحيى القطان: ما رأيت خيراً منه. كان -رحمه الله- لا يضع جنبه[١].

* «خرج -رحمه الله- فى جنازة بالمصيصة فنظر إلى قبر أبى إسحاق الفزارى ومخلد بن الحسين وبينهما موضع قبر، فقال: لو أن رجلاً مات فدُفن بينهما.

فما أتت عليه عشرة أيام، أو نحوها حتى دُفن فى الموضع الذى أشار إليه»[٢].

ربعى بن حراش العبسى (رحمه الله)

عن الحارث الغنوى قال: «آلى ربعى بن حراش أن لا تفتر أسنانه ضاحكًا؛ حتى يعلم أين مصيره. قال الحارث: فأخبر الذى غسَّله أنه لم يزل متبسمًا على سريره ونحن نغسله؛ حتى فرغنا منه... رحمة الله عليه»[٣].

* * *

(١) السير (٩/١٢٦).
(٢) صفة الصفوة (٤/٨٣).
(٣) السير (٤/٣٦١).

سليمان التيمى (رحمه الله)

* سليمان بن طرخان عالم البصرة وعابدها... قال عنه شعبة: كان إذا حدث عن رسول الله ﷺ تغير لونه، وما رأيت أصدق منه.

وقال معتمر ابنه: مكث أبى أربعين سنة يصوم يومًا، ويفطر يومًا.

هذا الإمام المتهجد الصوام قال عنه ابنه المعتمر لما حل به الموت: «قال لى أبى حين حضره الموت: يا بنى: حدثنى الرُّخَص، لعلى ألقى الله تعالى وأنا أحسن الظن به»[(١)].

وهذا من فقه هذا الإمام الكبير وعلمه، فإن الإنسان يُغلِّب الخوف على الرجاء ما دام فى دار الدنيا، فإذا نزل به الموت يُغلب الرجاء على الخوف.

قال إبراهيم النخعى: كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند موته؛ لكى يحسن ظنه بربه.

الإمام خالد بن معدان شيخ أهل الشام (رحمه الله)

عن عبدة بنت خالد، قالت: قلما كان خالد يأوى إلى فراشه إلا وهو يذكر شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار، ثم يسميهم، ويقول: هم أصلى وفصلى، وإليهم يحن قلبى طال شوقى إليهم فعجِّل ربى قبضى إليك،... حتى يغلبه النوم وهو فى بعض ذلك.

قال يزيد بن هارون: مات خالد بن معدان وهو صائم[(٢)].

---

(١) «حلية الأولياء» (٣/ ٣١)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٢٩٩)، و«حسن الظن» لابن أبى الدنيا، خبر رقم (٢٩)، و«الثبات عند الممات» ص(١٤٨) «وكتاب المحتضرين» ص(٣٩).

(٢) «السير» (٤/ ٥٣٦ -٥٤١).

كان -رحمه الله- يُسبِّح كل يوم أربعين ألف تسبيحة، سوى ما كان يقرأ من القرآن، فلما مات وضع على سريره ليُغسَّل، فجعل يشير بأصبعه يحركها بالتسبيح[1].

الإمام أبو أسماء إبراهيم التيمى عابد الكوفة (رحمه الله)

قال -رحمه الله-: إذا رأيت الرجل يتهاون فى التكبيرة الأولى فانفض يدك منه.

عن على بن محمد قال: طلب الحجَّاج إبراهيم النخعى، فجاء الرسول فقال: أريد إبراهيم، فقال إبراهيم التيمى: أنا إبراهيم، ولم يستحل أن يدله على النخعى، فأمر بحبسه فى الديماس، ولم يكن لهم ظل من الشمس، ولا كنّ من البرد، وكان كل اثنين فى سلسلة، فتغير إبراهيم، فعادته أمه، فلم تعرفه حتى كلمها، فمات، فرأى الحجاج فى نومه قائلاً يقول: مات فى البلد الليلة رجل من أهل الجنة، فسأل، فقالوا: مات فى السجن إبراهيم التيمى، فقال: حُلم نزغة من نزغات الشيطان، وأمر به فأُلقى على الكناسة[2].

* * *

(١) «السير» (٤/ ٥٤٠)، وإسناده منقطع، وهى فى «الحلية» (٥/ ٢١٠)، وعند ابن عساكر (٥/ ٢٦٠) بطريق أخرى.
(٢) السير (٥/ ٦٢).

عبد الله بن إدريس الأودى (رحمه الله)

هذا الحافظ الصالح العابد الذى أراد الرشيد توليته القضاء فامتنع تورعًا، ووصله فردَّ عليه صلته.

* **عن حسين بن عمرو العنقرى قال:** لما نزل بابن إدريس الموت بكت ابنته فقال: لا تبكى فقد ختمت القرآن فى هذا البيت أربعة آلاف ختمة [١].

أبو جهث «المشتاق إلى الجنة يموت عند ذكر آية»

أبو جهث، أو أبو جهير مسعود الضرير:

* عن إسماعيل بن نصر العبدى، قال: نادى منادٍ فى مجلس صالح المرِّى: ليقم الباكون والمشتاقون إلى الجنة، فقام أبو جهث، فقال: اقرأ يا صالح: **﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾** [٢] فقال أبو جهث: رددها يا صالح. فما فرغ من الآية حتى مات أبو جهث» [٣].

* * *

---

(١) «تاريخ بغداد» (٩/ ٤٢١)، و«صفة الصفوة» (٣/ ١٧٠)، و«الثبات» ص(١٥٥).

(٢) سورة الفرقان: الآيتان: (٢٣ ، ٢٤).

(٣) «الجامع لشعب الإيمان»، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٣٣).



حطيط الزيات (رحمه الله)

* جيء بحطيط الزيات إلى الحجاج، فلما دخل عليه، قال: أنت حطيط؟ قال: نعم، سل عما بدا لك، فإني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال: إن سُئلت لأصدقن، وإن ابتُليت لأصبرن، وإن عوفيت لأشكرن. قال: فما تقول فيَّ؟ قال: أقول: إنك من أعداء الله فى الأرض، تنتهك المحارم، وتقتل بالظنة. قال: فما تقول فى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؟ قال: أقول: إنه أعظم جُرمًا منك، وأنت خطيئة من خطاياه.

قال: فقال الحجاج: ضعوا عليه العذاب. قال: فانتهى به العذاب حتى انتحلوا لحمه. فما سمعوه يقول شيئًا، ثم مات -رحمه الله-.

أبو جعفر القارئ يزيد بن القعقاع (رحمه الله)

قال سليمان بن مسلم: شهدت أبا جعفر حين احتُضر، جاء أبو حازم ومشيخة، فأكبوا عليه يصرخون به، فلم يُجبهم.

قال شيبة: -وكان ختنه على ابنة أبى جعفر- ألا أريكم منه عجبًا؟ قالوا: بلى، فكشف عن صدره، فإذا دوارة بيضاء مثل اللبن، فقال أبو حازم وأصحابه: هذا والله نور القرآن، قال سليمان: فقالت لى أم ولده بعدما مات: صار ذلك البياض غرة بين عينيه.

* وعن نافع، قال: لما غُسِّل أبو جعفر القارئ، نظروا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف، فما شك من حضره أنه نور القرآن، - رحمه الله-»[1].

(١) «معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار» للذهبى (١/ ٧٥ ، ٧٦) مؤسسة الرسالة.

عمرو بن قيس الملائى (رحمه الله)

هذا الشيخ الصالح الذى أقام عشرين سنة صائمًا ما يعلم به أهله. يأخذ غداءه، ويغدو إلى الحانوت، فيتصدق بغدائه ويصوم.

هذا الإمام العابد الذى كان سفيان الثورى يأتيه يسلم عليه يتبرك به، ويجيء فيجلس بين يديه ينظر إليه لا يكاد يصرف بصره عنه.

* **عن حفص بن غياث قال:** «لما احتضر عمرو بن قيس الملائى بكى، فقال له أصحابه: علام تبكى من الدنيا؟ فوالله لقد كنت مُنغَّص العيش أيام حياتك! فقال: والله ما أبكى على الدنيا، إنما أبكى خوفًا أن أُحْرَم خير الآخرة»[١].

شيخ الإسلام أبو بكر بن عياش (رحمه الله)

* **قال عنه أبو عيسى النخعى:** لم يُفرش له فراش خمسين سنة.

قال الحمانى: لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاة بكت أخته، فقال: لا تبك، انظرى إلى تلك الخزانة، أو الزاوية التى فى البيت، قد ختم أخوك فى هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة[٢].

* **وعن إبراهيم بن أبى بكر بن عياش قال:** بكيت عند أبى حين حضرته الوفاة، فقال: ما يبكيك؟ أترى الله يضيع لأبيك أربعين سنة يختم القرآن كل ليلة.

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ١٢٥)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٤٩).

(٢) «الحلية» (٨/ ٣٠٤)، و«تاريخ بغداد» للخطيب (١٤/ ٣٨٣)، و«صفة الصفوة» (٣/ ١٦٦).

آدم بن أبى إياس العسقلانى (رحمه الله)

* آدم بن أبى إياس من عباد الله الصالحين، كان شديد التمسك بالسنة، روى عنه الأئمة الأعلام مثل البخارى، وأبو حاتم الرازى وأبو زرعة.

* قال أبو على المقدسى: لما حضرت آدم بن إياس الوفاة ختم القرآن، وهو مُسجًّى، ثم قال: بحبى لك إلا رفقت بى فى هذا المصرع. كنت أؤملك لهذا اليوم. كنت أرجوك، ثم قال: «لا إله إلا الله»، ثم قضى[1].

ذو النون المصرى (رحمه الله)

لله ما أحلى حاله وكلامه، لله ما أحلى إشارته، ولله دره عند موته.

قال فتح بن شخرف: دخلت على ذى النون عند موته، فقلت: كيف تجدك؟ فقال:

أموتُ وما ماتت إليك صبابتى
ولا رويت من صدق حبك أوطارى

مُناى المنى كلُّ المُنى أنت لى مُنىً
وأنت الغِنى كلُّ الغِنى عند إقتارى

وأنت مدى سؤلى وغايةُ رغبتى
وموضعُ آمالى ومكنون إضمارى

تحمّل قلبى فيك ما لا أبثه
وإن طال سقمى فيك أو طال إضرارى[2]

---

(١) «تاريخ بغداد» (٧/ ٢٩)، و«صفة الصفوة» (٤/ ٣٠٨)، و«الثبات عند الممات» ص(١٥٩).

(٢) فى «صفة الصفوة»:

تضمن قلبى منك ما لك قد بدا   وإن طال سرى فيك أو طال إظهارى

وبيـن ضلوعى مـنك مــا لا أبثُّــه
ولـم أبد بـاديه لأهـلٍ ولا جــــارِ
سـرائر لا تخـفى عليك خَفـيُّـهـا
وإن لم أبح حـتى الـتنادى بأسـرارى
فـهب لى نسـيمًـا منك أحـيا بروحـه
وَجُـد لى بيُسـرٍ منك يطرد إعسـارى
أنرت الهـدى للمـهتـدين ولم يكن
من العلم فى أيديهـم عُشـر مـعشـارِ
وعلمــتـهم علمًــا فــبـاتـوا بنوره
وبان لـهم منـه مــعـــالم أســـرارِ
مــعــاينة للـغــيب حـتى كــأنهـا
لما غـــاب عنهـا مـنه حـاضـــرة الدارِ
فـأبصــارهم مـحــجـوبةٌ، وقلوبهم
تراك بـأوهام حـــــديدات أبصـــارِ
ألســت دليل المرء إن هـم تحـيـــروا
وعصـمة من أمسـى على جُرف هارِ

قال الشيخ ابن شخرف: فلما ثقل، قلت له: كيف تجدك؟ فأنشأ يقول:

وما لى سوى الإطراق والصمت حيلةٌ
ووضعى على خدِّى يدى عند تذكارى
وإن طرقــتنى عَــبرةٌ بعــد عـبــرة
تجـرعـتّـها حتى إذا عِـيل تَصـبـارى
أفـضتُ دمــوعًـا جـمَّـةً مـسـتـهلة
أطفئ بهــا حَــرًّا تضـمـن أســرارى

ولست أبالى فائتًا بعد فائت
إذا كنتَ فى الدارين يا واحدى جارى(١)

شيخ الحنابلة أبو الوفاء بن عقيل (رحمه الله)

صاحب كتاب «الفنون» الذى قال فيه الذهبى: «لم يُصنَّف فى الدنيا أكبر منه».

قال ابن الجوزى: «لما احتضر ابن عقيل بكى أهله، فقال لهم: لى خمسون سنة أُوقِّع عنه فدعونى أتهنَّى لمقابلته»(٢).

الحافظ عبد الوهاب الأنماطى (رحمه الله)

محدث بغداد فى عصره عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد.

قال ابن الجوزى: «كان على قانون السلف، لم تسمع فى مجلسه غيبة، ولا كان يطلب أجرًا على سماع الحديث».

وقال عنه: «قد نصب نفسه لتسميع الحديث طول النهار، وكنت أقرأ الحديث وهو يبكى فاستفدت ببكائه أكثر من استفادتى بروايته من آثاره».

وقال ابن الجوزى أيضًا: «دخلت عليه فى مرضه - وقد ضنى جسمه - وهو ساكن صابر، فقال لى: إن الله لا يُتهم فى قضائه»(٣).

* * *

(١) «حلية الأولياء» (٩/ ٣٩٠)، و«صفة الصفوة» (٤/ ٣٢٠). و«الثبات عند الممات» ص(١٦٤، ١٦٥).
(٢) «المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد» (٢/ ٢٢٩)، و«الثبات عند الممات» ص(١٧٨).
(٣) «الثبات عند الممات» ص(١٨٠).

شيخ الإسلام محمد بن أسلم الطوسى (رحمه الله)

* قال أبو عبد الله محمد بن القاسم خادم ابن أسلم:

«دخلت عليه قبل موته بأربعة أيام، فقال: تعالَ أبشرك بما صنع الله بأخيك من الخير. قد نزل بى الموت، وقد منَّ الله تعالى علىَّ أنه ليس عندى درهم يحاسبنى عليه.

أغلِق الباب ولا تأذن لأحدٍ علىَّ حتى أموت، واعلم أنى أخرج من الدنيا وليس أدع غير كسائى، ولبدى، وإنائى الذى أتوضأ فيه، وكتبى هذه، وكانت معه صرة فيها نحو ثلاثين درهمًا، فقال: هذه لابنى، أهداه له قريب له، ولا أعلم شيئًا أحلّ لى منه، لأن النبى ﷺ قال: «**أنت ومالك لأبيك**»[1]. فكفنونى فيها، فإذا أصبتم لى بعشرة دراهم ما يستر عورتى فلا تشتروا بخمسة عشر، وابسطوا على جنازتى لبدى، وغطوا عليها بكسائى، وتصدقوا بإنائى، أعطوه مسكينًا يتوضأ فيه. ثم مات فى اليوم الرابع»[2].

* عن محمد بن العباس السلطى: سمعت ابن أسلم ينشد:

إن الطبيب بطبه ودوائه
لا يستَطيع دفاع مقدُورٍ أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذى
قد كان يُبرئُ مثله فيما مضى
هلك المداوِى والمداوَى والذى
جلب الدواء وباعه ومن اشترى

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد، وابن ماجه، وفى «الزوائد»: إسناده صحيح، ورجاله ثقات على شرط البخارى.

(٢) «حلية الأولياء» (٩/ ٢٤١)، و«الثبات عند الممات» (ص١٦٢ ، ١٦٣).

مات محمد بن أسلم سنة اثنتين وأربعين ومئتين بنيسابور.

* عن الحاكم قال: سمعت أبا النضر الفقيه، سمعت إبراهيم بن إسماعيل العنبرى يقول: كنت بمصر، وأنا أكتب بالليل كتب ابن وهب، وذلك لخمسٍ بقين من المحرم سنة اثنتين وأربعين، فهتف بى هاتف، يا إبراهيم مات العبد الصالح محمد بن أسلم، فتعجبت من ذلك، وكتبته على ظهر كتابى، فإذا به قد مات فى تلك الساعة [1].

إبراهيم بن هانئ النيسابورى (رحمه الله)

* قال فيه الإمام أحمد بن حنبل: «إن يكن أحد ممن يُعرف من الأبدال فإبراهيم بن هانئ».

وقال: إن كان ببغداد رجل من الأبدال فأبو إسحاق النيسابورى [2].

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ: كان أحمد بن حنبل مختفيًا ها هنا عندنا فى الدار، فقال لى أحمد بن حنبل: لست أطيق ما يطيق أبوك - يعنى: من العبادة.

هذا الإمام العلم مات وهو صائم.

قال أبو بكر النيسابورى: «حضرت إبراهيم بن هانئ عند وفاته فجعل يقول لابنه إسحاق: يا إسحاق ارفع الستر. قال: يا أبت: الستر مرفوع.

. قال: أنا عطشان فجاءه بماء، قال: هل غابت الشمس؟ قال: لا، قال: فرُدَّه، ثم قال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [3]، ثم خرجت روحه».

وفى «صفة الصفوة»: «فدعا ابنه إسحاق قال: هل غربت الشمس؟ قال:

---

(١) «السير» انظر ترجمة محمد بن أسلم الطوسى (١٢/ ١٩٥ - ٢٠٧).

(٢) «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٠٥).

(٣) سورة الصافات: الآية: (٦١).

لا، ثم قال: يا أبت رُخِّص لك فى الإفطار فى المرض فى الفرض، وأنت متطوع!، قال: أمهل، ثم قال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾[1] ثم خرجت روحه»[2]..

شيخ القراء أبو بكر النقاش (رحمه الله)

قال الخطيب: سمعت ابن الفضل القطان يقول: حضرت النقَّاش وهو يجود بنفسه فى ثالث شوال سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة، فنادى بأعلى صوته ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾[3]. يرددها ثلاثًا. ثم خرجت نفسه -رحمه الله-[4].

شيخ الإسلام نصر بن إبراهيم (رحمه الله)

شيخ الإسلام العلامة القدوة الفقيه نصر بن إبراهيم صاحب كتاب «الحجة على تارك المحجة»:

قال الحافظ ابن عساكر: كان فقيهًا، إمامًا، زاهدًا، عاملاً، لم يقبل صلة من أحد بدمشق، بل كان يقتات من غلة تُحمل إليه من أرض نابلس، فيخبز له كل يوم قرصة فى جانب الكانون، حكى لنا ناصر النجار -وكان يخدمه- من زهده وتقلله وتركه الشهوات أشياء عجيبة.

حكى الفقيه نصر[5] عن شيخه نصر أنه قبل موته بلحظة سمعه وهو يقول:

(١)، (٣) سورة الصافات: الآية: (٦١).

(٢) «تاريخ بغداد» (٦/٢٠٦)، و«صفة الصفوة» (٢/٤٠١).

(٤) السير (١٥/٥٧٦).

(٥) يعنى: نصر الله المصيصى.

يا سيدى أمهلونى، أنا مأمور وأنتم مأمورون، ثم سمعت المؤذن بالعصر، فقلت: يا سيدى المؤذن يؤذن، فقال: أجلسنى، فأجلسته فأحرم بالصلاة، ووضع يده على الأخرى وصلى، ثم توفى من ساعته - رحمه الله-[(١)].

إمام أهل السنة أحمد بن حنبل (رحمه الله)

قال ابنه صالح: لما كان أول ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومئتين، حُمَّ أبى ليلة الأربعاء، وبات وهو محموم، يتنفس تنفسًا شديدًا، وكنت قد عرفت علته، وكنت أُمَرِّضه إذا اعتل، فقلت له: يا أبتِ على ما أفطرت البارحة؟ قال: على ماء باقِلَّى. ثم أراد القيام، فقال: خذ بيدى، فأخذت بيده، فلما صار إلى الخلاء ضعف، وتوكأ علىَّ. وكان يختلف إليه غير متطبب كلهم مسلمون. فوصف له متطبب قرعة تُشوى، ويُسقى ماءها. وهذا كان يوم الثلاثاء- فمات يوم الجمعة -فقال: يا صالح، قلت: لبيك، قال: لا تشوى فى منزلك، ولا فى منزل أخيك. وصار الفتح بن سهل إلى الباب ليعوده فحجبته، وأتى ابن على بن الجعد فحبسته، وكثر الناس. فقال: فما ترى؟ قلت: تأذن لهم فيدعون لك. قال: أستخير الله، فجعلوا يدخلون عليه أفواجًا، حتى تمتلئ الدار، فيسألونه، ويدعون له، ويخرجون، ويدخل فوج، وكثر الناس، وامتلأ الشارع، وأغلقنا باب الزقاق.

وجاء جار لنا قد خضب، فقال أبى: إنى لأرى الرجل يحيى شيئًا من السنة فأفرح به. فقال لى: وجِّه فاشتر تمرًا، وكفر عنى كفارة يمين. قال: فبقى فى خريقته نحو ثلاثة دراهم. فأخبرته، فقال: الحمد لله. وقال: اقرأ علىَّ الوصية، فقرأتها، فأقرها.

---

(١) السير (١٩/١٤٣).

وكنت أنام إلى جنبه، فإذا أراد حاجة، حركنى فأناوله، وجعل يحرك لسانه، ولم يئنّ إلا فى الليلة التى توفى فيها. ولم يزل يصلى قائمًا، أمسكه فيركع ويسجد، وأرفعه فى ركوعه.

قال: واجتمعت عليه أوجاع الحصر، وغير ذلك، ولم يزل عقله ثابتًا، فلما كان يوم الجمعة، لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول، لساعتين من النهار توفى.

وقال المروذى: مرض أحمد تسعة أيام، وكان ربما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجًا، يسلمون ويرد بيده، وتسامع الناس وكثروا.

وسمع السلطان بكثرة الناس، فوكل السلطان ببابه وبباب الزقاق الرابطة وأصحاب الأخبار، ثم أغلق باب الزقاق، فكان الناس فى الشوارع والمساجد، حتى تعطل بعض الباعة. وكان الرجل إذا أراد أن يدخل عليه، ربما دخل من بعض الدور وطرز[1] الحاكة، وربما تسلق، وجاء أصحاب الأخبار فقعدوا على الأبواب. وجاءه حاجب ابن طاهر، فقال: إن الأمير يُقرئك السلام، وهو يشتهى أن يراك، فقال: هذا مما أكره، وأمير المؤمنين قد أعفانى مما أكره.

قال: وأصحاب الخبر يكتبون بخبره إلى العسكر، والبُردُ تختلف كل يوم. وجاء بنو هاشم فدخلوا عليه، وجعلوا يبكون عليه. وجاء قوم من القضاء وغيرهم، فلم يؤذن لهم. ودخل عليه شيخ، فقال: اذكر وقوفك بين يدى الله، فشهق أبو عبد الله، وسالت دموعه.

فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين. قال: ادعوا لى الصبيان - بلسان ثقيل- قال: فجعلوا ينضمون إليه، وجعل يشمهم ويمسح رؤوسهم، وعينه تدمع، وأدخلت تحته الطست، فرأيت بوله دمًا عبيطًا. فقلت للطبيب: فقال: هذا رجل قد فتت الحزن والغم جوفه.

---

(١) الموضع الذى تصنع فيه الثياب.

واشتدت علته يوم الخميس ووضأته، فقال خلل الأصابع، فلما كان ليلة الجمعة، ثقل، وقُبض صدر النهار، فصاح الناس، وعلت الأصوات بالبكاء، حتى كأن الدنيا قد ارتجّت، وامتلأت السكك والشوارع.

وعن حنبل قال: أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا عبد الله، وهو في الحبس ثلاث شعرات، فقال: هذه من شعر النبي ﷺ، فأوصى أبو عبد الله عند موته أن يُجعل على كل عين شعرة، وشعرة على لسانه. ففعل ذلك به عند موته[1].

قال صالح: دخل على أبي مجاهد بن موسى، فقال: يا أبا عبد الله قد جاءتك البشرى، هذا الخلق يشهدون لك، ما تبالي لو وردت على الله الساعة، وجعل يُقبل يده ويبكي، ويقول: أوصني يا أبا عبد الله، فأشار إلى لسانه.

ودخل سوار القاضي، فجعل يبشره ويخبره بالرخص.

رحم الله إمام أهل السنة والجماعة.

عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: **«ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر»**[2].

عن أخي أبي عقيل القزويني قال: رأيت شابًّا توفي بقزوين في النوم، فقلت: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي، قلت: غفر لك؟! قال: نعم. وتعجب، ولفلان، ولفلان. قلت: ما لي أراك مستعجلاً؟ -ورأيته مستعجلاً- قال: لأن أهل السماوات من السماء السابعة إلى السماء الدنيا قد اشتغلوا بعقد الألوية -لاستقبال أحمد بن حنبل وأنا أريد استقباله- وكان توفي أحمد في تلك الأيام[3].

* وقال شيخ الإسلام الأنصاري: سمعت بعض أهل «باخرز»، وهي من

---

(١) «السير» (١١/ ٣٣٤ - ٣٣٧).

(٢) حسن: رواه الترمذي (١٠٧٤) كتاب الجنائز، وأحمد (٦٥٤٦)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (١٣٦٧).

(٣) مقدمة «الجرح والتعديل» (١/ ٣١١).

نواحى نيسابور، يقول: رأيت كأن القيـامة قد قامت، وإذا برجل على فرس به من الحسن مـا الله به عليم، ومناد ينادى: ألا لا يتـقـدمنه اليوم أحـد. فقلت: من هذا؟ قالوا: أحمد بن حنبل[(١)].

قال الذهبى: «وقد جمع ابن الجوزى فـأوعى من المنامات فى نحو من ثلاثين ورقة. وأفرد ابن البناء جزءًا فى ذلك. وليس أبو عبد الله ممن يحتاج تقرير ولايته إلى منامات، ولكنها جند من جند الله تسر المؤمن ولا سيما إذا تواترت[(٢)].

الجنيد بن محمد (رحمه الله)

* **قال أبو بكر العطار:** حضرت الجنيد عند الموت فى جـماعة لأصحابنا، فكان قاعدًا يصلى، ويثنى رجليه كلما أراد أن يسجد، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله، فثقل عليه حركتها، فمدَّ رجليه، وقد تورمتا، فرآه بعض أصدقائه، فقال: ما هذا يا أبا القاسم؟ قال: هذه نعم، الله أكبر، فلما فرغ من صلاته، قال له أبو مـحمد الحريرى: لو اضطجـعت يا أبا القاسم. قال: يا أبا محمد، هذا وقت يؤخذ منه، الله أكبر. فلم يزل ذلك حاله حتى مات -رحمه الله-.

* **وقال أبو بكر العطوى:** كنت عند الجنيد لما احـتضر، فختم القرآن ثم ابتدأ سورة البقرة، فتلا سبعين آية ومات.

* **قال الخلدى:** رأيته فى النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك الإشـارات وغابت تلك العـبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها فى الأسحار[(٣)].

---

(١) «السير» (١١/٣٤٩).

(٢) السير (١١/٣٥٣).

(٣) «حلية الأولياء» (١٠/٢٨١)، و«الثبات عند الممات» ص(١٦٨ ، ١٦٩).

شيخ أهل خراسان
أبو محمد أحمد بن عبد الله المغفلى المزنى (رحمه الله)

قال الحاكم: سمعت ابنه بِشرًا يقول: آخر كلمةٍ تكلم بها أن قَبض على لحيته ورفع يده اليمنى إلى السماء، وقال: ارحم شيبة شيخٍ جاءك بتوفيقك على الفطرة.

قال الحاكم: وسمعت أبا الفضل السليمانى - وكان صالحًا - يقول: رأيت أبا محمد المزنى فى المنام بعد وفاته بليلتين، وهو يتبختر فى مشيته، ويقول بصوتٍ عالٍ: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[1][2].

الوزير الكبير الحسن على الطوسى (رحمه الله)

* الوزير الكبير نظام الملك الحسن بن على الطوسى: «مات ملكًا فى الدنيا، ملكًا فى الآخرة، وقُتل صائمًا»:

قال عنه الذهبى: متدين محتشم، عامر المجلس بالقراء والفقهاء... وكان فيه خير وتقوى، وميل إلى الصالحين، وخضوع لموعظتهم يعجبه من يبين له عيوب نفسه، فينكسر ويبكى.

* قُتل صائمًا فى رمضان، أتاه باطنى فى هيئة صوفى يناوله قصة، فأخذها منه، فضربه بالسكين فى فؤاده، فتلف، وقتلوا قاتله وذلك سنة خمس وثمانين وأربع مائة، بقرب نهاوند، وكان آخر قوله: «لا تقتلوا قاتلى، قد عفوت، لا إله إلا الله».

(١) سورة القصص: الآية: (٦٠).
(٢) السير (١٦/ ١٨٤).

* قيل: إنه ما جلس إلا على وضوء، وما توضأ إلا تنفلَّ، ويصوم الاثنين والخميس. . .

كان حليمًا رزينًا جوادًا صاحب فتوة واحتمال ومعروف كثير إلى الغاية، ويبالغ فى الخضوع للصالحين.

* **وقيل**: كان يتصدق كل صباح بمائة دينار.

قال ابن عقيل: بهر العقول سيرة النظام جودًا وكرمًا وعدلاً، وإحياءً لمعالم الدين، كانت أيامه دولة أهل العلم، ثم خُتم له بالقتل وهو مار إلى الحج فى رمضان، فمات ملكًا فى الدنيا، ملكًا فى الآخرة -رحمه الله-.

محمد بن نوح (رحمه الله)

*ولى الله محمد بن نوح: «رفيق الإمام أحمد فى محنته»:

* **قال أبو عبد الله**: ما رأيت أحدًا على حداثة سنه، وقدر علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، إنى لأرجو أن يكون قد خُتم له بخير. قال لى ذات يوم: يا أبا عبد الله، . . . الله الله، إنك لست مثلى. أنت رجل يُقتدَى بك. قد مدَّ الخلق أعناقهم إليك، لما يكون منك، فاتق الله واثبت لأمر الله، أو نحو هذا. فمات وصليت عليه، ودفنته بعانة [1].

* * *

(١) السير (١١/٢٤٢).

خير النساج (رحمه الله)

أبو الحسن خير بن عبد الله النساج صحب الجنيد.

* **قال أبو نعيم الحافظ:** سمعت على بن هارون الحربى يحكى عن غير واحد ممن حضر موت خير النساج من أصحابه.

أنه غُشى عليه عند صلاة المغرب، ثم أفاق ونظر إلى ناحية من البيت، وقال: قف - عافاك الله- فإنما أنت عبد مأمور، وأنا عبد مأمور، وما أُمرت به لا يفوتك، وما أُمرت به يفوتنى، فدعنى أمضى لما أمرت به، ودعا بماء فتوضأ للصلاة، ثم صلى، ثم تمدد وغمض عينيه وتشهَّد فمات، فرآه بعض أصحابه فى المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: لا تسأل عن هذا ولكن استرحت من دنياكم[١].

شيخ الشافعية
ابن الإسماعيلى إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم (رحمه الله)

قال عنه حمزة السهمى: كان أبو سعيد إمام زمانه... تخرَّج به جماعة مع الورع الثخين، والمجاهدة والنصح للإسلام والسخاء وحسن الخلق. وبالغ السهمى فى تاريخه.

توفى سنة ست وتسعين وثلاث مائة فتوفى إكرامًا من الله له فى صلاة المغرب وهو يقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ففاضت نفسه - رحمه الله-[٢].

---

(١) «تاريخ بغداد» (٨/٣٤٧)، و«الحلية» (١/٣٠٧)، و«صفة الصفوة» (٢/٤٥٣)، و«الثبات» ص(١٧١).

(٢) السير (١٧/٨٨).

أبو يحيى زكريا بن يحيى (رحمه الله)

قال ابن الجوزى عنه: «كان عابدًا، وكان أحمد بن حنبل - يقول عنه: هذا رجل صالح.

وكان يقول: اشتريت من الله تعالى حوراء بأربعة آلاف ختمة، فلما كان آخر ختمة سمعت الخطاب من الحوراء وهى تقول:

«وفيت بعهدك أنا التى اشتريتنى». فيقال إنه مات عن قريب[(١)].

أعرابى وحسن ظنه بربه عند موته

* **وعن إدريس بن عبد الله المروزى قال:** مرض أعرابى، فقيل له: إنك تموت. قال: إلى أين يُذهب بى؟ قال: إلى الله. قال: فما كراهتى أن أذهب إلى من لا أرى الخير إلا منه[(٢)].

يوسف بن الحسين الرازى (رحمه الله)

* شيخ الرى والجبال، نسيج وحده فى إسقاط التصنع.

كان -رحمه الله- يقول: «لأن ألقى الله تعالى بجميع المعاصى أحب إلىَّ من أن ألقاه بذرَّة من التصنُّع».

* **قال أبو عبد الله الخنقاباذى:** حضرنا يوسف بن الحسين الرازى، وهو يجود بنفسه، فقيل له: يا أبا يعقوب، قُل شيئًا.

(١) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزى ص(٦١٦).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(٣٨)، و«حسن الظن» ص(٤٤).

فقـال: اللهم نصحتُ خلقك ظاهرًا، وغشـشت نفسى باطنًا، فهب لى غشى لنفسى لنصحى لخلقك، ثم خرجت روحه[١].

الإمام الحافظ أبو الوليد ابن الفرضى مصنف «تاريخ الأندلسيين» (رحمه الله)

قال أبو عمر بن عبد البر: كان فقيهًا حافظًا عالمًا فى جميع فنون العلم فى الحـديث والرجـال، أخـذت معه عن أكـثر شيوخى، وكان حسن الصـحبة والمعاشرة، قتلته البربر، وبقى مُلقًى فى داره ثلاثة أيام[٢]. ووُرِى متغيرًا من غير غسل ولا كفن ولا صلاة.

عن على بن أحمد الحافظ، أخبرنى أبو الوليـد بن الفرضى قال: تعلقت بأستار الكعبة، وسألت الله تعالى الشهادة، ثم فكرت فى هول القتل فندمت، وهممت أن أرجع، فأستـقيل الله ذلك، فاسـتحييت. قـال الحافظ على: فأخبرنى من رآه بين القتلى، ودنا منه، فسمعه يقول بصوت ضعيف:

«لا يُكْلَم أحد فى سبيل الله، والله أعلم بمن يُكلم فى سبيله إلا جاء يوم القيامة وجـرحه يثعب دمًا، اللون لون الدم، والريح ريح المسك». كأنه يعيد على نفسه الحديث، ثم قضى على إثر ذلك -رحمه الله-.

وله شعر رائق فمنه:

أســـيـــرُ الخطايـا عند بابـك واقف
عـلى وجـلٍ مما بـه أنت عـــــارفُ
يخـافُ ذُنُوبًا لم يغب عنـك غيـبُهـا
ويرجُـوك فـيـها فـهـو راجٍ وخـائفُ

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٤/ ٣١)، و«الثبات عند الممات» ص(١٧٣).

(٢) انظر: الترجمة فى «السير» (١٧/ ١٧٧ - ١٨٠).

ومن ذا الذى يرجُــو سـواك ويتــقى
وما لـك فى فصل القـضاء مخـالفُ
فيا سـيدى! لا تُخزنى فى صحـيفتى
إذا نُشرت يوم الحساب الصحائفُ[1]

عبد العزيز بن جعفر بن أحمد أبو بكر غلام الخلال (رحمه الله)

له المصنفات الحسان الكبار.

* **قال أبو يعلى محـمد بن الحسين**: بلغنى أن عبد العـزيز بن جعفر، قال فى علته: أنا عندكم إلى يوم الجمعة. فقيل له: يعافيك الله. فقال: سمعت أبا بكر الخلال، يقول: سمعت أبا بكر المروزى يقول: عاش أحمد بن حنبل ثمان وسبعين سنة، ومات يوم الجمعة، ودُفن بعد الصلاة، وعاش أبو بكر المروزى ثمان وسـبعين سنة ومات يوم الجـمعة، ودُفن بعد الصلاة، وعاش أبوبكر الخلال ثمان وسبعين سنة ومات يوم الجمعة، ودفن بعد الصلاة. وأنا عندكم إلى يوم الجمعة ولى ثمان وسبعون، فلما كان يوم الجمعة مات ودُفن بعد الصلاة[2].

* * *

(١) السير (١٧/ ١٨٠).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» ص(٦٢٢، ٦٢٣).

أبو زرعة الرازى (رحمه الله)

* **لله در أبى زرعة الرازى وحسن خاتمته:**

ومن فى الناس كأبى زرعة الإمام الربانى عبيد الله بن عبد الكريم.

* **قال عنه الإمام أحمد:** اعتضت بمذاكرته عن نوافلى، وما جاوز الجسر أحفظ من أبى زرعة.

وقال ابن راهويه: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة فليس له أصل.

قال أبو جعفر التسترى: حضرنا أبا زرعة - يعنى: الرازى- بماشهران[1] وكان فى السَّوق، وعنده أبو حاتم، ومحمد بن مسلم، والمنذر بن شاذان، وجماعة من العلماء، فذكروا حديث التلقين وقوله ﷺ: «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**»، قال: فاستحيوا من أبى زرعة وهابوه أن يلقنوه. فقالوا: تعالوا نذكر الحديث، فقال: محمد بن مسلم: حدثنا الضحاك بن مخلد، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح، وجعل يقول، ولم يجاوز، وقال أبو حاتم: حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح ولم يجاوز، والباقون سكتوا، فقال أبو زرعة - وهو فى السَّوق: حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبى عريب، عن كثير بن مرة الحضرمى، عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»، وتوفى - رحمه الله -[2].

* قال حفص بن عبد الله -باردبيل- اشتهيت أن أرحل إلى أبى زرعة الرازى، فلم يُقدر لى، فدخلت الرى بعد موته، فرأيته فى النوم يصلى فى سماء الدنيا بالملائكة، فقلت: عبيد الله بن عبد الكريم؟ قال: نعم! قلت: بم

---

(١) إحدى قرى الرى.

(٢) «تاريخ بغداد» (١/ ٣٣٥)، و«الثبات عند الممات» ص(١٦٢).

نلت هذا؟ قال: كتبت بيدى ألف ألف حديث، أقول فيها عن النبى ﷺ، وقد قال النبى ﷺ: «**من صلى علىَّ صلاة صلى الله عليه عشرًا**»(١).

إمام المفسرين وشيخهم ابن جرير الطبرى (رحمه الله)

حضـر وقت موته جمـاعة منهـم: أبو بكر بن كامل، فقيل لـه قبل خروج روحه: يا أبا جعفر! أنت الحجة فـيما بيننا وبين الله فيما ندين به، فهل من شىء توصينا به من أمر ديننا، وبينةٍ لنا نرجو بها السلامة فى معادنا؟

فقـال: الذى أدين الله به وأوصـيكم هو ما ثبت فى كـتبى فاعـملوا به وعليه، . . وكلامًا هذا معناه، وأكثر من التشهد وذكر الله عز وجل، ومسح يده على وجهه، وغمض بصره بيده وبسطها، وقد فارقت روحه الدنيا(٢).

بطل الإسلام طغان خان التركى (رحمه الله)

صاحب تركستان، وبلاساغون، وكاشغر، وخُـتَن، وفاراب(٣).

قصدته جـيوش الصين والخَطَا (٤)، فى جمعٍ ما سُـمع بمثله حتى قيل: كانوا ثلاثمائة ألف.

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٣٦).

(٢) السير (١٤/ ٢٧٦).

(٣) بلد عظيم فى ثغور الترك وراء نهر سيحون قريب من كاشغر.

وكاشغر: هى: مدينة وقرى ورساتيق، وهى فى وسط بلاد الترك.

وختن: بلد دون كاشغر، وهى فى واد بين جبال فى وسط بلاد الترك.

وفاراب: ولاية وراء نهر سيحون، وهى أبعد من الشاش.

(٤) الخطا: يطلق على بلاد متاخمة للصين يسكنها جنس من الترك، وقد أسسوا دولتهم فى القرن السادس الهجرى.

وكان مريضًا فقال: اللهم عافنى لأغزوَهم، ثم توفنى إن شئت فعُوفى، وجمع عساكره، وساق، فبيتهم، وقتل منهم مائتى ألف وأسر مائة ألف، وكانت ملحمة مشهودة فى سنة ثمان وأربع مائة، ورجع بغنائم لا تُحصى إلى بلاساغون، فتوفاه الله عقيب وصوله وكان دينًا عادلاً بطلاً شجاعًا[1].

أبو بكر أحمد بن على بن أحمد العُلبى (رحمه الله)

* قال عنه ابن الجوزى: «أحد المشهورين بالزهد والصلاح».

سمع الحديث على القاضى أبى يعلى، وقرأ عليه شيئًا من المذهب، وكان يعمل بيده تجصيص الحيطان، ثم ترك ذلك ولازم المسجد ليُقرئ القرآن ويؤم الناس؛ كان عفيفًا لا يقبل من أحد شيئًا، وكان يذهب بنفسه كل ليلة إلى دجلة فيأخذ فى كوز له ماء يفطر عليه؛ وكان يمشى بنفسه فى حوائجه ولا يستعين بأحد، وكان إذا حج يزور القبور بمكة ويجىء إلى قبر الفضيل بن عياض، ويخط بعصاه، ويقول: يا رب ها هنا، يا رب هاهنا، فاتفق أنه خرج فى سنة ثلاث وخمسمائة إلى الحج وكان قد وقع من الجمل فى الطريق دفعتين؛ فشهد عرفة مُحرمًا، وتوفى عشية ذلك اليوم فى أرض عرفات، فحُمل إلى مكة وطيف به البيت، ودُفن فى يوم النحر إلى جنب قبر الفضيل ابن عياض[2].

* * *

(١) «السير» (١٧/ ٢٧٨، ٢٧٩).

(٢) مناقب الإمام أحمد (ص: ٦٣٣، ٦٣٤).

الإمام البخارى (رحمه الله)

قال قتيبة بن سعيد: لو كان محمد بن إسماعيل فى الصحابة لكان آية.

قال ابن عدى: سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندى يقول: جاء محمد بن إسماعيل إلى خرتنك - قرية على فرسخين من سمرقند - وكان له بها أقرباء فنزل عندهم، فسمعته ليلة يدعو، وقد فرغ من صلاة الليل: اللهم إنه قد ضاقت علىَّ الأرض بما رحبت، فاقبضنى إليك فما تم الشهر حتى مات. وقبره بخرتنك.

وقال محمد بن أبى حاتم: سمعت أبا منصور غالب بن جبريل، وهو الذى نزل عليه أبو عبد الله يقول: إنه أقام عندنا أيامًا، فمرض واشتد به المرض حتى وجه رسولاً إلى مدينة سمرقند فى إخراج محمد، فلما وافى تهيأ للركوب، فلبس خُفَّيه، وتعمم، فلما مشى قدر عشرين خطوةً أو نحوها، وأنا آخذ بعضده، ورجل آخر معى يقوده إلى الدابة ليركبها، فقال - رحمه الله-: أرسلونى، فقد ضعفت، فدعا بدعوات، ثم اضطجع فقضى - رحمه الله-. فسال منه العرق شيء لا يوصف. فما سكن منه العرق إلى أن أدرجناه فى ثيابه. وكان فيما قال لنا، وأوصى إلينا: أن كفنونى فى ثلاثة أثوابٍ بيض ليس فيها قميص ولا عمامة ففعلنا ذلك، فلما دفناه فاح من تراب قبره رائحة غالية أطيب من المسك، فدام ذلك أيام ثم علت سوارى بيض فى السماء مستطيلة بحذاء قبره، فجعل الناس يختلفون ويتعجبون، وأما التراب فإنهم كانوا يرفعون عن القبر، حتى ظهر القبر ولم نكن نقدر على حفظ القبر بالحراس. وغُلبنا على أنفسنا، فنصبنا على القبر خشبًا مشبكًا لم يكن أحد يقدر على الوصول إلى القبر فكانوا يرفعون ما حول

القبر من التراب، ولم يكونوا يَخلُصون إلى القبـر. . وأما ريح الطيب فإنه تداوم أيامًا كـثيرة، حتى تحـدث أهل البلدة وتعجـبوا من ذلك، وظهر عند مخـالفيه أمره بعـد وفاته، وخرج بعض مخـالفيه إلى قبـره وأظهروا التوبة والندامة مما كانوا شرعوا فيه من مذموم المذهب.

وقال محـمد بن محمد بـن مكى الجرجاني: سمعت عـبد الواحد بن آدم الطواويسى يقول: رأيت النبى ﷺ فى النوم، ومعه جمـاعة من أصحابه، وهو واقف فى موضعٍ، فسلمت عليه، فرد علىَّ السلام فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟ قال: أنتظر مـحمد بن إسماعـيل البخارى، فلما كان بعد أيامٍ بلغنى موته، فنظرت فإذا قد مات فى الساعة التى رأيت النبى ﷺ فيها.

على بن بابويه الصوفى (رحمه الله)

لما هجم أبو طاهر القـرمطى فى سنة سبع عـشرة وثلاثمائـة على الحاج بمكة، دخل يوم التروية، فقتل الحاج فـى المسجد الحرام، وفى فجاج مكة، وفى البيت قتلاً ذريعًا، وكان الناس يطوفون، فيُقتلون.

وكان على بن بابويه يطوف، فمـا قطع الطواف فضربوه بالسيـوف فلما وقع أنشد:

ترى المحـبين صـرعـى فى ديارهم

كفـتية الكهف لا يدرون كم لبثوا[1]

* * *

(١) «الثبات عند الممات» ص(١٧٥)، و«البداية والنهاية» (١١/ ١٦٠).

الإمام أبو حامد الغزالى (رحمه الله)

* قال أخوه أحمد: «لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخى أبو حامد، وصلى، وقال: علىَّ بالكفن، فأخذه وقبَّله، وتركه على عينيه، وقال: سمعًا وطاعة للدخول على الملك، ثم مد رجليه، واستقبل القبلة، ومات قبل الإسفار[(١)].

ورثاه الأبيوردى بأبيات منها.

مضى وأعظمُ مفقودٍ فُجعتُ به
من لا نظير له فى الناس يخلفُهُ

وتمثل الإمام إسماعيل الحاكمى بعد وفاته بقول أبى تمام من جملة قصيدة مشهورة:

عجبتُ لصبرى بعده وهو ميتٌ
وكنت امرأً أبكى دمًا وهو غائب
على أنها الأيامُ قد صرن كلها
عجائب حتى ليس فيها عجائب[(٢)]

* * *

(١) «الثبات عند الممات» ص(١٧٨ ، ١٧٩).

(٢) «وفيات الإعيان» (٤/ ٦٠ ، ٦١).

رواية عجز البيت قبل الأخير فى الديوان هى:

وقد كنت أبكيه دمًا وهو غائب

الإمام ابن الجوزى (رحمه الله)

شـيخ وقتـه وإمـام عصـره، صاحـب التصـانيف فى فنون العلم، من التفاسيـر، والفقـه، والحـديث، والوعـظ، والرقائق، والتواريخ، وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه.

وله فى الوعظ العبارة الرائقة. والإشارات الفائقة.

وإشـــارة تبكى الجنيــد وصـــحبــه

فى رقـــة مـــا نالـهـــا ذو الرمـــة

كان إذا وعظ اختلس القلوب، وتشقـقت النفوس دون الجـيوب، انتفع الناس بكلامه، فكان يتوب فى المجـلس الواحد مائة وأكـثر، وكان يجلس بجامع المنصـور يومًا أو يومين فى السنة فتُـغلق المحال، ويحرز الجمع بمائة ألف. وأقل ما كان يحضر مجلسه عشرة آلاف.

* ومجالسه الوعظية لم يكن لها نظير، ولم يُسمع بمثلها، وكانت عظيمة النفع، يتذكر بهـا الغافلون، ويتعلم منهـا الجاهلون، ويتوب فيـها المذنبون، ويسلم فيها المشركون. وقد ذكر فى تاريخه: أنه تكلم مرة فتاب فى المجلس على يده نحو مائتى رجل...

وقال فى آخر كتـاب «القُصَّاص والمذكرين» له: قد تاب على يدىَّ إلى أن جمعت هذا الكتاب أكثر من مائة ألف رجل،... وأسلم على يدى أكثر من مائة ألف».

كم كـان لى من مـجلس لو شُـبِّـهَتْ

حـــالاتـه لتـــشـــبَّـــهتْ بالجَنَـــة

قال سبط ابن الجوزى: «نزل عن المنبر، فمرض خـمسة أيام، وتوفى ليلة

الجمعة بين العشائين فى داره. قال: وحكت لى والدتى أنها سمعته يقول قبل موته: أيش أعمل بطواويس؟ يرددها. قد جئتم لى هذه الطواويس.

ورأه تلك الليلة المحدث أحمد بن سلمان الحربى على منبر من ياقوت مرصع بالجواهر، والملائكة جلوس بين يديه.

قلت: وأنبأنى أبو الربيع على بن عبد الصمد بن أحمد عن أبيه قال: قال عفيف الدين معتوق القليوبى: رأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول:

لعمرك قد أوذى وعُطِّل منبر
وأعيى على المستفهمين جواب

قال: فانتبهت من نومى، فقلت: ترى أى شىء قد جرى؟ فجاءنا الخبر وقت العصر بموت ابن الجوزى، فقلت:

ولم يبق من يُرجى لإيضاح مشكل
وأصبح ربع العلم وهو خراب(١)

وقال الذهبى فى «السير»:

أَوصَى أن يُكتب على قبره:

يا كثير العَفْو عَمَّن
كثُر الذَّنْبُ لديه
جاءك المُذنبُ يرجُو الـ
ـصفح عن جُرمٍ يديه
أنا ضيفٌ وجزاءُ الـ
ـضيف إحسانٌ إليه (٢)

* * *

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/ ٣٩٩ - ٤٣٠).

(٢) انظر: الترجمة فى «السير» (٢١/ ٣٦٥ - ٣٨٤).

جعفر بن الحسن (رحمه الله)

* جعفر بن الحسن الدَّرزيجانى الأمَّار بالمعروف، ذو المقامات المشهورة فى ذلك، والمهيب بنور الإيمان واليقين لدى الملوك والمتصرفين، صحب القاضى أبا يعلى وتفقه عليه «توفى فى الصلاة ساجدًا»[١].

شيخ الحنابلة أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء (رحمه الله)

قال ابن الجوزى: انتهى إليه مذهب أحمد، وكان متعبدًا حسن السمعة، فلما احتضر غزل أكفان نفسه، وأوصى أن لا يُكفَّن بغيرها، ولا يخرق عليه ثوب، ولا يقعد لعزاء[٢].

أبو بكر بن حبيب (رحمه الله)

ابن الخباز محمد بن عبد الله بن حبيب العامر.

كان يأمر بالإخلاص، وحسن القصد.

قال عنه ابن الجوزى تلميذه.

«سمع الحديث وتفقه، وكان يدرس ويعظ، وكان نعم المؤدب.

فلما احتضر قال له أصحابه: أوصنا، فقال: أوصيكم بثلاث: بتقوى الله عز وجل، ومراقبته فى الخلوة، واحذروا مصرعى هذا، فقد عشت إحدى

(١) «المقصد الأرشد» (١/ ٢٩٧)، و«شذرات الذهب» (٤/ ١٥).

(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٧٦).

وستين سنة، وما كأنى رأيت الدنيا، ثم قال لبعض إخوانه: انظر: هل ترى جبينى يعرق؟ فقال: نعم، فقال: الحمد لله هذه علامة المؤمن. يريد بذلك قول رسول الله ﷺ: «**المؤمن يموت بعرق الجبين**»، ثم بسط يده عند الموت وقال:

ها قد مددت يدى إليك فردها

بالفضل لا بشماتة الأعداء [١]

الإمام أبو محمد عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى (رحمه الله)

شيخ أهل الورع والتأله فى عصره، المشبه بابن حنبل فى زمانه.

* قال الضياء: سمعت أبا موسى يقول: مرض أبى فى ربيع الأول مرضًا شديدًا منعه من الكلام والقيام، واشتد ستة عشر يومًا، وكنت أسأله كثيرًا: ما يشتهى؟ فيقول: أشتهى الجنة، أشتهى رحمة الله، لا يزيد على ذلك، فجئته بماء حار فمد يده فوضأته وقت الفجر، فقال: يا عبد الله قم صَلِّ بنا وخفف، فصليت بالجماعة، وصلى جالسًا، ثم جلست عند رأسه، فقال: اقرأ ﴿يسٓ﴾، فقرأتها، وجعل يدعو وأنا أُؤمِّن، فقلت: هنا دواء تشربه، قال: يا بنى ما بقى إلا الموت، فقلت: ما تشتهى شيئًا؟ قال: أشتهى النظر إلى وجه الله سبحانه، فقلت: ما أنت عنى براض؟ قال: بلى والله، فقلت: ما توصى بشىء؟ قال: ما لى على أحد شىء، ولا لأحد علىَّ شىء، قلت: توصينى؟ قال: أوصيك بتقوى الله والمحافظة على طاعته، فجاء جماعة يعودونه، فسلموا، فرد عليهم، وجعلوا يتحدثون، فقال: ما هذا؟ اذكروا

(١) «الثبات عند الممات» ص(١٧٩ ، ١٨٠).

الله، قولوا: لا إله إلا الله، فلما قاموا جعل يذكر الله بشفتيه، ويشير بعينيه، فقمت لأناول رجلاً كتابًا من جانب المسجد فرجعت وقد خرجت روحه -رحمه الله- وذلك يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ست مائة، وبقى ليلة الثلاثاء فى المسجد واجتمع الخلق من الغد فدفناه بالقرافة[1].

شيخ الإسلام الحَجْرى (رحمه الله)

المقرئ المحدث الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عبيد الله الرعينى الحجرى، الأندلسى.

قال الأبَّار: كان غاية فى الورع والصلاح والعدالة.

كان زمانًا يخبر أنه يموت فى المحرم لرؤيا رآها، فكان كل سنة يتهيأ ومات عبيد الله فى المحرم سنة إحدى وتسعين وخمس مائة.

قال ابن فرتون: ظهرت لأبى محمد بن عبيد الله كرامات، حدثنا شيخنا الراوية محمد بن الحسن بن غاز، عن بنت عمه - وكانت صالحة، وكانت استحيضت مدة - قالت: حُدثت بموت ابن عبيد الله، فشق علىَّ أن لا أشهده، فقلت: اللهم إن كان وليًّا من أوليائك، فأمسك عنى الدم حتى أصلى عليه، فانقطع عنى لوقته، ثم لم أره بعد»[2].

* * *

(١) السير (٢١/ ٤٦٩).

(٢) السير (٢١/٢٥١ - ٢٥٤).

الفقيه الزاهد سعد بن عثمان بن مرزوق القرشي (رحمه الله)

قال ابن رجب الحنبلي:

«رأى رجل في بغداد النبي ﷺ، وهو يقول: لولا الشيخ سعد نزل بكم بلاء، . . . أو كما قال.

ثم سعى الشيخ سعد إلى الجمعة وما عنده خبر بهذا المنام، فانعكف الناس به يتبركون به وازدحموا، فرموه مرات، وكأن مناديًا ينادي في قلوب الناس، وهو يقول: أعوذ بالله من الفتنة، أيش بي؟ أيش بالناس؟ حتى ضرب الناس عنه وخلص منهم.

وقال القادسي: هو أحد الزهاد الأبدال الأوتاد، ومن تُشد إليه الرحال، ومن كان لله عليه إقبال الصائم في النهار، القائم في الظلام.

وقال ابن النجار: كان عبدًا صالحًا، مشهورًا بالعبادة والمجاهدة والورع، والتقشف، والقناعة، والتعفف، وكان خشن العيش، مخشوشنًا، كثير الانقطاع عن الناس.

وذكر القادسي أنه توفي يوم الثلاثاء ساجدًا.

وذكر ابن النجار: أنه كان قد قرأ في الصلاة التي توفي فيها: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾[١][٢].

* * *

(١) سورة الواقعة: الآيتان: (٨٨ ، ٨٩).

(٢) الذيل (١/ ٣٨٤ - ٣٨٦).

شاعر عصره يحيى بن يوسف الصرصرى الأنصارى (رحمه الله)

«كان صالحًا قدوة، عظيم الاجتهاد، كثير التلاوة، شديدًا فى السنة، منحرفًا على المخالفين لها».

«لما دخل هولاكو وجنده الكفار إلى بغداد كان الشيخ يحيى بها. فلما دخلوا عليه قاتلهم. ويقال إنه قتل منهم بعكازه. ثم قتلوه شهيدًا ﷺ وكان -رحمه الله- قد رأى النبى ﷺ فى منامه وبشره بالموت على السنة ونظم فى ذلك قصيدة طويلة معروفة. وقد حدث[1].

الإمام الجبل إسحاق بن إبراهيم أبو يعقوب المروزى ابن راهويه شيخ الإسلام، شيخ البخارى (رحمه الله)

* قال أحمد بن حنبل وذكر إسحاق: لا أعرف له بالعراق نظيراً.

وقال محمد بن أسلم الطوسى: لو كان الثورى فى الحياة لاحتاج إلى إسحاق.

وقال ابن خزيمة: والله لو كان إسحاق فى التابعين لأقروا له بحفظه وعلمه وفقهه.

وقال محمد بن أسلم الطوسى حين مات إسحاق: ما أعلم أحدًا كان أخشى لله من إسحاق، يقول الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2]. وكان أعلم الناس.

* توفى إسحاق ليلة نصف شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

---

(١) «الذيل» (٢/ ٢٦٢ ، ٢٦٣).

(٢) سورة فاطر: الآية: (٢٨).

وفى ليلة موته يقول الشاعر:

يا هدة ما هُدنا ليلة الأحد

فى نصف شعبان لا تُنسى مدى الأبد

قال أبو عمرو المستملى النيسابورى: أخبرنى على بن سلمة الكرابيسى، وهو من الصالحين، قال: رأيت ليلة مات إسحاق كأن قمرًا ارتفع من الأرض إلى السماء، من سكة إسحاق، ثم نزل فسقط فى الموضع الذى دُفن فيه إسحاق. قال: ولم أشعر بموته فلما غدوت إذا بحفار يحفر قبر إسحاق، فى الموضع الذى رأيت القمر وقع فيه»[1].

الإمام الحافظ العماد المقدسى (رحمه الله)

الشيخ العالم القدوة الزاهد بركة الوقت أخو الحافظ عبد الغنى.

* قال الحافظ الضياء: سمعت التقى أحمد بن محمد بن الحافظ يقول: رأيت الشيخ العماد فى النوم على حصان، فقلت: يا سيدى الشيخ، إلى أين؟ قال: أزور الجبار عز وجل:

* قال الضياء: توفى العماد -رحمه الله- سنة أربع عشرة وست مائة، وكان صلى المغرب بالجامع وكان صائمًا، فذهب إلى البيت وأفطر على شىء يسير، ولما أُخرجت جنازته اجتمع خلق فما رأيت الجامع إلا كأنه يوم الجمعة من كثرة الخلق، وكان الوالى يطرد الخلق عنه وازدحموا حتى كاد بعض الناس أن يهلك، وما رأيت جنازة قط أكثر خلقًا منها.

* وحُكى عنه أنه لما جاءه الموت جعل يقول: يا حى يا قيوم لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث، واستقبل القبلة وتشهَّد[2].

---

(١) «طبقات الشافعية» للسبكى (٢/ ٨٨).

(٢) السير (٢٢/ ٥٤).

شيخ الإسلام محيى الدين النووى (رحمه الله)

المجتهد الربانى، الإمام القدوة، حسنة الأنام كما قال الذهبى.

محرر المذهب ومهذبه، كان على جانب كبير فى العلم والعمل والزهد والتقشف، والاقتصاد فى العيش والصبر على خشونته، والتورع الذى لم يبلغنا عن أحد فى زمانه ولا قبله بدهر طويل كما قال ابن كثير.

* **قال ابن العطار تلميذه:**

«كنت جالسًا بين يديه قبل انتقاله بشهرين ونحوها، وإذا بفقير قد دخل عليه، وقال للشيخ: فلان من بلاد (صرخد)[١] يسلم عليك، وأرسل معى هذا الإبريق لك.

فقبله الشيخ، وأمرنى بوضعه فى بيت حوائجه، فتعجبت منه لقبوله، فشعر بتعجبى، فقال:

«أرسل إلىَّ بعض الفقراء زربولاً[٢]، وهذا إبريق، فهذه آلة السفر.

ثم بعد أيام يسيرة كنت عنده، فقال لى: «قد أُذن لى فى السفر».

فقلت: كيف أُذن لك؟

قال: بينا أنا جالس هنا - يعنى: بيته فى المدرسة الرواحية - وقدامه طاقة مشرفة عليها، مستقبل القبلة؛ إذ مر علىَّ شخص فى الهواء من هنا، ومر هكذا -يشير من غرب المدرسة إلى شرقها-، وقال: قم سافر لبيت المقدس»، وكنت حملت كلام الشيخ على سفر العادة، فإذا هو السفر الحقيقى، ثم قال لى: «قم حتى نودع أصحابنا وأحبابنا» فخرجت معه إلى القبور التى دُفن فيها بعض مشايخه، فزارهم، وقرأ شيئًا، ودعا، وبكى، ثم

(١) بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق.

(٢) الزربول: النعل.

زار أصحابه الأحياء، كالشيخ يوسف الفقاعى، والشيخ محمد الإخميمى، وشيخنا شمس الدين ابن أبى عمر شيخ الحنابلة.

ثم سافر صبيحة ذلك اليوم، وجرى معه وقائع، ورأيت منه أمورًا تحتمل مجلدات، فسافر إلى (نوى)، وزار القدس، والخليل - عليه السلام-، ثم عاد إلى (نوى)، ومرض عقب زيارته بها فى بيت والده، فبلغنى مرضه، فذهبت من دمشق لعيادته، ففرح -رحمه الله - بذلك، ثم قال لى: «ارجع إلى أهلك».

وودعتُه وقد أشرف على العافية يوم السبت العشرين من رجب سنة ست وسبعين وستمائة، ثم توفى ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من رجب فبينا أنا نائم تلك الليلة؛ إذ منادٍ ينادى على سدة جامع دمشق فى يوم الجمعة: الصلاة على الشيخ ركن الدين الموقع، فصاح الناس لذلك النداء، فاستيقظت، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون.

فلم يكن إلا ليلة الجمعة عشية الخميس؛ إذ جاء الخبر بموته -رحمه الله- فنودى يوم الجمعة عقب الصلاة بموته، وصُلى عليه بجامع دمشق، فتأسف المسلمون عليه تأسفًا بليغًا، الخاص والعام، والمادح والذام، ورثاه الناس بمراثى كثيرة»[(١)].

قال التاج السبكى: لما مات النووى بنوى ارتجت دمشق وما حولها بالبكاء، وتأسف عليه المسلمون أسفًا شديدًا.

وقال ابن شاكر الكتبى فى «عيون التواريخ» (٢١/ ١٦٤):

«وكان محيى الدين يسأل الله تعالى أن يموت بأرض فلسطين، فاستجاب الله تعالى منه».

وانظر إلى الجبل الربانى النووى: «لما توفى -رحمه الله تعالى- ودُفن، أراد أهله وأقاربه وجيرانه أن يبنوا على ضريحه قبة، وأجمعوا على ذلك؛ إذ

---

(١) «تحفة الطالبين فى ترجمة الإمام محيى الدين» لعلاء الدين بن العطار ص(٩٧ - ١٠٠) - تحقيق مشهور حسن - دار الصميعى.

جاء -رحمــه الله- فى النوم إلى أكبر امرأة من قــرائبه -أظنها عمــته- وقال لها: «قولى لأخى والجماعة لا يفــعلوا هذا الذى قد عزموا عليه من البنيان؛ فإنه كلما بنوا شيئًا؛ يُهدم عليهم».

فانتبهت منزعجة فقصــت عليهم الرؤيا فامتنعوا من البنيان وحوَّطوا على قبره بحجارة تمنع الدواب وغيرها[١] .

فرحم الله النووى الذى قال فيه التاج السبكى:

كان قطب زمانه، وسيد وقته، وسر الله بين خلقه.

وقــال الذهبى فى «العبــر»: «كان مع تبــحره فى العلوم وســعة مــعرفــته بالحديث والفــقه واللغة - وغــير ذلك بما قــد سارت به الركبــان -رأسًا فى الزهد، وقدوة فى الورع، عديم المثل فى الأمــر بالمعروف والنهى عن المنكر، قانعًا باليسير، راضيًا عن الله، والله عنه راضٍ، مقتصد إلى الغاية فى ملبسه ومطعمه وإنائه، تعلوه سكينة وهيبة، فالله يرحمه ويسكنه الجنة بمنه»[٢]

شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروى الأنصارى (رحمه الله)

رحم الله الإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن على أبو إسماعيل الهروى.

* قال ابن تيمية فى «الأجوبة المصرية» شيخ الإسلام مشهور، مُعظَّم عند الناس. هو إمــام فى الحديث، والتــصوف والتفــسيــر. وهو فى الفقــه على مذهب أهل الحديث، يعظم الشافعى، وأحمد. ويقرن بينهما فى أجوبته فى الفقه مــا يوافق قول الشافعى تارة وقول أحــمد أخرى، والغالب عليه اتباع الحديث على طريقة ابن المبارك ونحوه.

---

(١) «تحفة الطالبين فى ترجمة الإمام محيى الدين» ص(١٩٧).

(٢) «العبر» (٥/ ٣١٢).

وقال ابن رجب الحنبلى: كان سيدًا عظيمًا، وإمامًا عارفًا، وعابدًا زاهدًا، ذا أحوال ومقامات وكرامات ومجاهدات، كثير السهر بالليل، شديد القيام فى نصر السنة والذب عنها والقمع لمن خالفها. وجرى له بسبب ذلك محن عظيمة.

قال -رحمه الله-:

نهـــواك نحنُ ونحـن منك نهـــابُ
أهوىً وخـوفًــا إن ذاك عُـجــابُ!

شَخَص العقولُ إليك ثم استحسرتْ
وتحـــيـــرتْ فى كُنْـهِك الألبـــابُ

توفى -رحمه الله تعالى- يوم الجمعة بعد العصر ثانى عشرين ذى الحجة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة. ودُفن يوم السبت بكازيا رِكَاه - مقبرة بقرب هراة - وكان يومًا كثير المطر، شديد الوحل. وقد كان الشيخ يقول فى حياته: إن استأثر الله بى فى الصيف فلا بد من نطع مخافة المطر، فصدق الله ظنه فى ذلك»[1].

صيف ومطر إن ذلك عُجاب.

* * *

(١) «الذيل» (١/ ٥١ - ٦٧).

الشيخ المحدث الكاتب
أبو العباس أحمد بن عبد الدايم بن نعمة (رحمه الله)

انتهى إليه علو الإسناد، وكانت الرحلة إليه من أقطار البلاد.

سمع منه وروى عنه الأئمة الكبار كالشيخ محيى الدين النووى، والشيخ تقى الدين ابن دقيق العبد، والشيخ تقى الدين ابن تيمية.

توفى يوم الاثنين سابع رجب سنة ثمان وستين وستمائة.

ورأى رجل ليلة موته فى المنام كأن الناس فى الجامع، وإذا ضجة. فسأل عنها؟ فقيل له: مات هذه الليلة مالك بن أنس، قال: فلما أصبحت جئت إلى الجامع، وأنا مفكر، وإذا إنسان ينادى: رحم الله من حضر جنازة الشيخ زين الدين بن عبد الدايم -رحمه الله-[١].

جمال الإسلام أبو الحسن السلمى على بن المُسلم (رحمه الله)

أحد مشايخ الشافعية بالشام.

روى عنه الحافظ ابن عساكر والسلفى. ولزم الغزالى مدة مقامه بدمشق.

قال الغزالى بعد خروجه من الشام: خلفت بالشام شابًّا إن عاش كان له شأن - يعنى: جمال الإسلام-، فكان كما قد تفرَّس فيه. وكان على فتاويه عمدة أهل الشام، وكان يكثر من عيادة المرضى وشهود الجنائز... وكان يعقد مجلس التذكير، ويُظهر السنة ويرد على المخالفين، ولم يخلف بعده مثله.

توفى ساجدًا فى صلاة الفجر فى ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة[٢].

(١) الذيل (٢/ ٢٨٠).

(٢) «طبقات الشافعية» (٧/ ٢٣٥ ، ٢٣٦).

القسيم بن القسيم، الملك العادل، تقى الملوك، ليث الإسلام محمود بن زنكى (رحمه الله)

نور الدين حامل رايتى العدل والجهاد، قَلَّ أن ترى العيون مثله.

كسر الفرنج مرات، ودوَّخهم وأذلهم.

قال الذهبى أيضًا: كان بطلاً شجاعًا، ذا تعبُّد وخوف وورع، وكان يتعرض للشهادة، سمعه كاتبه أبو اليسر يسأل الله أن يحشره من بطون السباع وحواصل الطير.

قال له القطب النيسابورى: بالله لا تخاطر بنفسك، فإن أُصبت فى معركة لا يبقى للمسلمين أحد إلا أخذه السيف، فقال: ومن محمود حتى يقال هذا!! حفظ الله البلاد قبلى، لا إله إلا هو.

قال ابن واصل: كان يقول: طالما تعرضت للشهادة، فلم أدركها.

قال الذهبى: قلت: قد أدركها على فراشه، وعلى ألسنة الناس: نور الشهيد[1].

شيخ الإسلام عبد القادر الجيلانى (رحمه الله)

عبد القادر بن أبى صالح الجيلانى سلطان المشايخ.

قال ابن السمعانى: «إمام الحنابلة وشيخهم فى عصره، فقيه صالح، ديِّن خَيِّر، كثير الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة».

قال الشيخ موفق الدين صاحب «المغنى»: «لم أسمع عن أحد يُحكى عنه من الكرامات أكثر مما يحكى عن الشيخ عبد القادر، ولا رأيت أحدًا يُعظَّم من أجل الدين أكثر منه».

(١) انظر: الترجمة فى «السير» (٢/ ٥٣١ - ٥٣٩).

وذكر الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الشافعية: «أنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر، فإن كراماته نُقلت بالتواتر»[١].

وقال الذهبى بعد أن نعت الجيلانى بأنه: «الشيخ الإمام الزاهد العارف القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء، محيى الدين»، قال فى نهاية الترجمة فى «السير» (٢٠/ ٤٥١):

«وفى الجملة الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ فى بعض أقواله ودواعيه، والله الموعد، وبعض ذلك مكذوب عليه».

قال ابن الجوزى: «توفى الشيخ عبد القادر... وبلغ تسعين سنة».

وسمعت أنه كان يقول عند موته: «رفقًا رفقًا. ثم يقول: وعليكم السلام، وعليكم السلام. أجىء إليكم، أجىء إليكم. وسمعت من يحكى أنه قال عند موته: أنا شيخ كبير، ما وُعدنا بهذا».

شيخ الإسلام موفق الدين ابن قدامة (رحمه الله)

قال ابن النجار: كان إمام الحنابلة بجامع دمشق، على قانون السلف، عليه النور، والوقار، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه.

قال الضياء: كان -رحمه الله- إمامًا فى التفسير وفى الحديث ومشكلاته، إمامًا فى الفقه، بل أوحد زمانه فيه، إمامًا فى علم الخلاف، أوحد فى الفرائض، إمامًا فى أصول الفقه.

وقال أبو شامة: كان إمامًا فى العلم والعمل[٢].

قال الإمام ابن قدامة: «لا يكاد يسمع دعاءً إلا حفظه ودعا به، ولا يسمع ذكر صلاة إلا صلاها، ولا يسمع حديثًا إلا عمل به، وكان لا يترك قيام

(١) «الذيل» (١/ ٢٩٢).

(٢) انظر: الترجمة فى «السير» (٢٢/ ١٦٥ - ١٧٣).

الليل من وقت شيبوبته، وقلل الأكل فى مرضه قبل موته حتى عاد كالعود. ومات وهو عاقد على أصابعه يسبح»[١].

قال ابن رجب الحنبلى فى «الذيل» (٢/ ١٤٢ - ١٤٤):

«توفى -رحمه الله- يوم السبت يوم عيد الفطر سنة عشرين وستمائة بمنزله بدمشق. وصُلى عليه من الغد، وحُمل إلى سفح قاسيون. فدفن به».

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزى: حكى إسماعيل بن حماد الكاتب البغدادى.

قال: رأيت ليلة عيد الفطر كأن مصحف عثمان قد رُفع من جامع دمشق إلى السماء، فلحقنى غم شديد. فتوفى الموفق يوم العيد.

قال: ورأى أحمد بن سعد - أخو محمد بن سعد الكاتب المقدسى، وكان أحمد هذا من الصالحين - قال: رأيت ليلة العيد ملائكة ينزلون من السماء جملة، وقائل يقول: انزلوا بالنوبة. فقلت: ما هذا؟ قالوا: ينقلون روح الموفق الطيبة فى الجسد الطيب.

قال: وقال عبد الرحمن بن محمد العلوى: رأيت كأن النبى ﷺ مات، وقُبر بقاسيون يوم عيد الفطر. قال: وكنا بجبل بنى هلال، فرأينا على قاسيون ليلة العيد ضوءًا عظيمًا، فظننا أن دمشق قد احترقت، وخرج أهل القرية ينظرون إليه، فوصل الخبر بوفاة الموفق يوم العيد».

والعلم قد أمسى كأن بواكيًا
تبكى عليه وحبله يتقطعُ
وتعطلت تلك المجالس وانقضت
تلك المحافل، ليتها لو ترجعُ

* * *

---

(١) «شذرات الذهب» لابن عماد الحنبلى (٥/ ٢٨).

الشريف أبو جعفر الهاشمى
عبدالخالق بن عيسى بن أحمد العباسى (رحمه الله)

قال ابن الجوزى: كان عالمًا فقيهًا، ورعًا عابدًا، زاهدًا، قوَّالاً بالحق، لا يحابى، ولا تأخذه فى الله لومة لائم.

قال عنه ابن السمعانى: إمام الحنابلة فى عصره بلا مدافعة.

وقال ابن خيرون: مقدم أهل زمانه شرفًا، وعلمًا وزهدًا.

وقال ابن عقيل: كان يفوق الجماعة من أهل مذهبه وغيرهم فى علم الفرائض.

وكان عند الإمام - يعنى: الخليفة - مُعظمًا حتى إنه وصَّى عند موته بأن يغسله، تبركًا به. وكان حول الخليفة ما لو كان غيره لأخذه. وكان ذلك كفاية عمره فوالله ما التفت إلى شىء منه، بل خرج ونسى مئزره حتى حُمل إليه. قال: ولم يشهد منه أنه شرب ماء فى حلقة على شدة الحر، ولا غمس يده فى طعام أحدٍ من أبناء الدنيا.

وقال ابن رجب: كان معظمًا عند الخاصة والعامة، زاهدًا فى الدنيا إلى الغاية، قائمًا فى إنكار المنكرات بيده ولسانه، مجتهدًا فى ذلك.

قال ابن الجوزى: لما احتضر القاضى أبو يعلى أوصى أن يغسله الشريف أبو جعفر، فلما احتضر القائم بأمر الله قال: يغسلنى عبد الخالق، ففعل ولم يأخذ مما هنالِك شيئًا. فقيل له: قد وصى لك أمير المؤمنين بأشياء كثيرة، فأبى أن يأخذ مما هناك شيئًا.

وفى فتنة ابن القشيرى، قام فيها الشريف قيامًا كليًّا، ومات فى عقبها.

قال القاضى أبو الحسين: أُخذ الشريف أبو جعفر فى فتنة أبى نصر بن القشيرى، وحُبس أيامًا فسرد الصوم وما أكل لأحدٍ شيئًا.

قال: ودخلت عليه تلك الأيام ورأيته يقرأ فى المصحف، فقال لى: قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾[١] تدرى ما الصبر؟ قلت: لا، قال: هو الصوم. ولم يفطر إلى أن بلغ منه المرض، وضج الناس من حبسه، وأُخرج إلى الحريم الطاهوى بالجانب الغربى فمات هناك.

وذكر ابن الجوزى أنه لما اشتد مرضه، تحامل بين اثنين، ومضى إلى باب الحجرة، فقال: جاء الموت، ودنا الوقت، وما أحب أن أموت إلا فى بيتى بين أهلى فأُذن له فمضى إلى بيت أخته بالحريم.

قال: وقرأت بخط أبى على بن البناء قال: جاءت رقعة بخط الشريف أبى جعفر، ووصيته إلى أبى عبد الله بن جردة فكتبها. وهذه نسختها:

«ما لى - يشهد الله - سوى الحبل والدلو، وشيء يخفى علىَّ لا قدر له. والشيخ أبو عبد الله، إن راعاكم بعدى، وإلا فالله لكم. قال الله عز وجل: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾[٢]، ومذهبى: الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، وما عليه أحمد، ومالك، والشافعى، وغيرهم ممن يكثر ذكرهم، والصلاة بجامع المنصور إن سهل الله تعالى ذلك عليهم، ولا يُعقد لى عزاء، ولا يشق على جيب، ولا يُلطم خد. فمن فعل ذلك فالله حسيبه».

وتوفى -رحمه الله تعالى- ليلة الخميس سحرًا. ورآه بعضهم فى المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: لما وُضعت فى قبرى رأيت قبة من درة بيضاء لها ثلاثة أبواب، وقائل يقول: هذه لك، ادخل من أى أبوابها شئت.

ورآه آخر فى المنام، فقال: ما فعل الله بك؟ قال: التقيت بأحمد بن حنبل فقال لى: يا أبا جعفر، لقد جاهدت فى الله حق جهاده، ولقد أعطاك الله الرضا رضي الله عنه[٣].

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٤٥).

(٢) سورة النساء: الآية: (٩).

(٣) «الذيل» (١/ ١٥- ٢٤).

الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن البعلى (رحمه الله)

قال عنه ابن رجب الحنبلى فى «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٢٠): «كان فقيهًا محدثًا، كثير الاشتغال بالعلم، وكان مواظبًا على قراءة جزءين من القرآن فى الصلاة فى كل ليلة. توفى يوم الخميس تاسع عشر ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة. وأخبرنى بعض أقاربه. وكان يخدمه فى مرضه الذى توفى فيه -قال: آخر ما سمعت عند موته، أن قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان آخر قوله لا إله إلا الله**»، ثم مات.

الأمير الفقيه ضياء الدين الهكارى أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى (رحمه الله)

أكبر أمراء الدولة الصلاحية، تفقه بالجزيرة على الإمام أبى القاسم بن البزرى، ثم انتقل لحلب، وسمع الحديث من أبى طاهر السلفى، وأبى القاسم بن عساكر.

اتصل بخدمة الملك أسد الدين شيركوه، وصار إمامه فى الصلوات وتوجَّه معه إلى مصر، وكان أحد الأسباب المعينة على سلطنة صلاح الدين بعد عمه، وكان ذا شجاعة وشهامة فأمَّره أسد الدين ثم رفع صلاح الدين منزلته ونقله من إمرة إلى إمرة، حتى صار أكبر أمراء الدولة وأُسر مرة فافتداه السلطان صلاح الدين بستين ألف دينار.

توفى فى ذى القعدة سنة خمس وثمانين وخمسمائة. مات بمخيمه على حصار عكا وهو مجاهد للفرنج[١].

---

(١) «طبقات الشافعية» (٧/ ٢٥٥ - ٢٥٦، ٣٦٥).

بطل الإسلام وقاهر الصليبيين
السلطان صلاح الدين الأيوبى (رحمه الله)

قال القاضى ابن شداد فى ذكر وفاة صلاح الدين:

«لما كانت ليلة الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وهى الليلة الثانية عشرة من مرضه -رحمه الله- اشتد مرضه وضعفت قوته، ووقع فى أوائل الأمر من أول الليل، وحال بيننا وبينه النساء، واستحضرت أنا والقاضى الفاضل فى تلك الليلة وابن الزكىّ، ولم يكن عادته الحضور فى ذلك الوقت، وعرض علينا الملك الأفضل أن نبيت عنده، فلم ير القاضى الفاضل ذلك رأيًا، فإن الناس كانوا فى كل ليلة ينتظرون نزولنا من القلعة، فخاف أن لا ننزل فيقع الصوت فى البلد، وربما نهب الناس بعضهم بعضًا، فرأى المصلحة فى نزولنا، واستحضار الشيخ أبى جعفر إمام الكلاّسة، وهو رجل صالح يبيت فى القلعة، حتى إن احتضر -رحمة الله عليه- حضر عنده، وحال بينه وبين النساء، وذكّره بالشهادة وذكر الله تعالى، ففعل، ونزلنا وكل من يود فداءه بنفسه، وبات فى تلك الليلة -رحمة الله عليه- على حال المنتقلين إلى الله تعالى، والشيخ أبو جعفر يقرأ عنده القرآن ويذكره بالله تعالى، وكان ذهنه غائبًا من ليلة التاسع، لا يكاد يفيق إلا فى الأحيان، وذكر الشيخ أبو جعفر أنه لما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾[1]، سمعه وقول يقول -رحمة الله عليه-: «صحيح»؛ وهذه يقظة فى وقت الحاجة، وعناية من الله تعالى به، فلله الحمد على ذلك. وكانت وفاته -رحمة الله عليه- بعد صلاة

---

(١) سورة الحشر: الآية: (٢٢).

الصبح من يوم الأربعاء سابع عشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وبادر القاضى الفاضل بعد طلوع الشمس فحضر وفاته -رحمة الله عليه- ووصلت وقد مات، وانتقل إلى رضوان الله ومحل كرامته. ولقد حكى لى أنه لما بلغ الشيخ أبو جعفر إلى قوله تعالى: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾[1]، تبسم وتهلل وجهه وسلمها إلى ربه... ثم اشتغل بتغسيله وتكفينه، فما مُكنَّا أن ندخل فى تجهيزه ما قيمته حبة واحدة إلا بالقرض، حتى فى ثمن التبن الذى يُلتُّ به الطين وغسَّله الدولعى الفقيه، وندبت إلى الوقوف على غسله، فلم يكن لى قوة تحمل ذلك المنظر»[2].

وهكذا مضى مجدد الجهاد فى عصره إلى ربه، متبسمًا متهلل الوجه متوكلاً عليه.

ثم انقضت تلك السنون وأهلها
فكأنها وكأنهم أحلام

الفقيه الزاهد أبو حكيم إبراهيم بن دينار النهروانى (رحمه الله)

* قال ابن الجوزى: وكان زاهدًا عابدًا، كثير الصوم، يُضرب به المثل فى الحلم والتواضع وقال: كان من العلماء العاملين بالعلم، كثير الصيام والتعبد، شديد التواضع، مؤثرًا الخمول، وكان المثل يُضرب بحلمه وتواضعه، وما رأينا له نظيرًا فى ذلك، وقال: كان الشيخ أبو حكيم تاليًا للقرآن. يقوم الليل ويصوم، وله الورع العظيم وكان يكتب بيده، فإذا خاط

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١٢٩).

(٢) «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية»، أو «سيرة صلاح الدين» للقاضى ابن شداد ص (٢٤٦-٢٤٧).

ثوبًا فأُعطى الأجرة مثلاً قيراطًا، أخذ منه حبة ونصفًا وردَّ الباقى، وقال: خياطتى لا تساوى أكثر من هذا. ولا يقبل من أحد شيئًا.

* قال ابن الجوزى: رأيت بخطه - يعنى: أبا حكيم - على ظهر جزء له: رأيت ليلة الجمعة عاشر رجب سنة خمس وأربعين - فيما يرى النائم- كأن شخصًا فى وسط دارى قائمًا، قلت: من أنت؟ قال: أنا الخضر. قال: تأهب للذى لا بد منه من الموت الموكل بالعباد، ثم كأنه علم أنى أريد أن أقول له: هل ذلك عن قرب؟ فقال: قد بقى من عمرك اثنتا عشرة سنة تمام سنى أصحابك. وعمرى يومئذ خمس وستون سنة. قال ابن الجوزى: فكنت دائمًا أترقب صحة هذا، ولا أفاوضه فى ذكره لئلا أنعى له نفسه، فمرض -رحمة الله عليه- اثنين وعشرين يومًا. فكان مقتضى حساب منامه أن يبقى له سنة، فتأولت ذلك، وقلت: لعله دخول سنة لا تمامها [(١)].

المقرئ أبو البركات ابن الحنبلى محمد بن سعد العسال (رحمه الله)

* «كان - رحمه الله - من القراء المجودين، الموصوفين بحسن الأداء وطيب النغمة. يُقصد فى رمضان، لسماع قراءته فى صلاة التراويح، من الأماكن البعيدة. وكان ديِّنًا صالحًا.

سمع منه ابن ناصر، والسلفى. قال: وكان من أحسن الناس تلاوة للقرآن، وكتب الحديث الكثير معنا وقبلنا. وهو حنبلى المذهب. عقل الفقه عن ابن عقيل. توفى يوم الثلاثاء سابع رمضان سنة تسع وخمسمائة. وصُلى عليه بجامع القصر وكان الجمع متوفرًا»[(٢)]. سبحان الله! من كان يقصده

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/ ٢٣٩-٢٤١).
(٢) «الذيل» (١/ ١١٣).

الناس فى رمضان لسماع قراءته فى صلاة التراويح من الأماكن البعيدة يموت فى رمضان. . . فهو شَهره.

جُنيد عصره، الزاهد القدوة العارف عماد الدين ابن شيخ الحزاميين (رحمه الله)

الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطى الحزامى.

كان الشيخ تقى الدين ابن تيمية يعظمه ويُجله، ويقول عنه: هو جنيد وقته، . . . وكتب إليه كتابًا من مصر أوله: «إلى شيخنا الإمام العارف القدوة السالك».

قال عنه البرزالى: رجل صالح عارف، صاحب نُسك وعبادة، وانقطاع وعزوف عن الدنيا.

وقال الذهبى: كان سيدًا عارفًا كبير الشأن، منقطعًا إلى الله تعالى. . . وكان داعية إلى السنة، ومذهبه مذهب السلف الصالح فى الصفات. يمرها كما جاءت. وقد انتفع به جماعة صحبوه، ولا أعلم خلَّف بدمشق فى طريقته مثله.

قال ابن رجب الحنبلى: كان معمور الأوقات بالأوراد والعبادات، والتصنيف، والمطالعة، والذكر والفكر، مصروف العناية إلى المراقبة والمحبة، والأنس بالله، وقطع الشواغل والعوائق عنه، حثيث السير إلى وادى الفناء بالله والبقاء به، كثير اللهج بالأذواق والتجليات، والأنوار القلبية، منزويًا عن الناس، لا يجتمع إلا بمن يحبه، ويحصل له باجتماعه به منفعة دينية.

ولم يزل على ذلك إلى أن توفى آخر نهار السبت سادس عشر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبعمائة [١].

---

(١) «الذيل» (٢/ ٣٦٠).

أمير المؤمنين المسترشد بالله (رحمه الله)

قال ابن السمعاني: «كان ذا رأى وهيبة ومضاء وشجاعة، أحيا رمائم الخلافة، وشد أركان الشريعة، وضبط أمور الخلافة وردها ورتبها أحسن الترتيب.

والمسترشد أبلغ مما يُوصف به، وقد آل أمره إلى أن خرج فى سنة تسع وعشرين وخمسمائة إلى همذان، للإصلاح بين السلاطين السلجوقية، وكان معه كثير من الأتراك، فغدر به أكثرهم، ولحقوا بالسلطان مسعود، ثم التقى الجمعان، فلم يلبثوا إلا قليلاً وانهزموا عن المسترشد، وذلك فى شهر رمضان، وقُبض على المسترشد بالله وعلى خواص دولته، وحُملوا إلى قلعة هناك بقرب همذان، فحُبسوا فيها، وبقى المسترشد مع السلطان مسعود إلى النصف من ذى القعدة من السنة، وحُمل معهم إلى مراغة من أذربيجان، ثم إن الباطنية ألقوا عليه جماعة من الملاحدة، وكان قد أُنزل ناحية من العسكر فدخلوا عليه يوم الخميس سادس عشر ذى القعدة، وفتكوا به وبجماعة معه كانوا على باب خَركاهِه[1]، وقُتلوا جميعًا ضربًا بالسكاكين وحُمل هو إلى مراغة ودُفن هناك.

ويحكى أن المسترشد كان إذ ذاك صائمًا، وقد صلى الظهر وهو يقرأ فى المصحف، فدخلوا عليه فقتلوه، ثم أُضرمت عليهم النار... فرضى الله عنه، لقد عاش حميدًا ومات شهيدًا فقيدًا [2].

* * *

---

(١) شىء يشبه الخيمة.

(٢) «طبقات الشافعية» (٧/ ٢٥٧-٢٦٠).

الإمام عبد الرحيم البيساني (رحمه الله)

* الإمام العلامة سيد الفصحاء في عصره القاضي الفاضل عبدالرحيم البيساني: «دعا بالموت فأصبح ميتًا»:

* **قال عنه العماد المقدسي:** قضى سعيدًا، ولم يُبق عملاً صالحًا إلا قدَّمه، ولا عهدًا في الجنة إلا أحكمه، ولا عقد بر إلا أبرمه، فإن صنائعه في الرقاب، وأوقافه متجاوزة الحساب، لا سيما أوقافه لفكاك الأسرى، وأعان المالكية والشافعية بالمدرسة، والأيتام بالكتاب، كان للحقوق قاضيًا، وفي الحقائق ماضيًا، والسلطان له مطيع، ما افتتح البلاد إلا بأقاليد آرائه.

* **وقال الذهبي:** له الدين، والعفاف، والتقى، مواظب على أوراد الليل والصيام والتلاوة. كان قليل اللذات، كثير الحسنات، دائم التهجد، يكثر تشييع الجنائز، وعيادة المرضى، وله معروف معروف في السر والعلانية.

حكى القاضي ضياء الدين ابن الشهرزوري أن القاضي الفاضل لما سمع أن العادل أخذ مصر، دعا بالموت خشية أن يستدعيه وزيره ابن شكر أو يُهينه فأصبح ميتًا، وكان ذا تهجد ومعاملة.

قال الذهبي: توفي مسكوتًا [١]، أحوج ما كان إلى الموت، عند تولي الإقبال وإقبال الإدبار، وهذا يدل على أن لله به عناية[٢].

* * *

(١) يعني: فجاءة.

(٢) انظر: «السير» (٢١/٣٣٨-٣٤٤).

الفقيه الزاهد أبو الحسن على بن عمر الحرانى (رحمه الله)

إمام الجامع بحرَّان، من أهل الخير والصلاح والدين.

توفى -رحمه الله- فى آخر نهار يوم عرفة -وقيل: ليلة عيد النحر.

ورثاه الإمام فخر الدين ابن تيمية فقال:

وروحـــه قُـبـــضت فى ليلة شـــرفت
يحظى بهـا كل مـحبـوب وكل ولى

بكت عـليـه عـيــون الناس كـلهم
وأوحش الكل من سـهل ومن جـبل

بكت عليـه الـزوايا الخـاليـات كـمـا
قـد كـان يؤنسـهـا من غـيـر مـا ملل

بكـت دفـــاتره حـــزنًا لـه وأسى
لأنه كـــان عنهــا غـيــر مــشــتــغل

عليــه طيب سـلام غــيـر منفــصل
على ممـر ليــالى الدهر مــتــصل(١)

* * *

(١) «الذيل» (١/ ٢٤١-٢٤٤).

أبو الحسن عقيل ابن شيخ الحنابلة ابن عقيل (رحمه الله)

كان -رحمه الله - فقيـهًا فاضلاً. مات وهو شاب، وله من العمر سبع وعشرون سنة.

قال والده الإمام ابـن عقيل: «مات ولدى عقيل. وكـان قد تفقه وناظر، وجمع أدبًا حسنًا، فتعـزيت بقصة عمرو بن عـبد ود الذى قتله على ﷺ، فقالت أمه ترثيه:

لو كـان قــاتل عـمـرو غـيــر قــاتله
مـــا زلت أبـكى عليــه دائـم الأبدِ
لكـن قـــاتـلـه من لا يــُـقـــاد مـنه
من كـان يـُـدعى أبوه بيـضـــة البلد

فأسلاها، وعزاها جلالة القاتل، وفخرها بأن ابنها مـقتوله. فنظرت إلى قاتل ولدى الحكيم المالك، فهان علىَّ القتل والمقتول لجلالة القاتل.

وذُكر عن الإمام أبى الوفاء أنه أكب عليه وقبَّله، وهو فى أكفانه. وقال: يا بنى، استـودعتـك الله الذى لا تضيع ودائعـه. الرب خيـر لك منى. ثم مضى وصلى عليه بجنان ثابت[1].

* * *

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/ ١٦٣ ، ١٦٤).

محمد بن أحمد بن أبى نصر بن الدباهى
الزاهد أبو عبد الله بن أبى العباس (رحمه الله)

* قال الشيخ كمال الدين ابن الزملكانى عنه: شيخ صالح، عارف زاهد، كثير الرغبة فى العلم وأهله، والحرص على الخير، والاجتهاد فى العبادة، تخلى عن الدنيا وخرج عنها، ولازم العبادة، والعمل الدائم والجد واستغرق أوقاته فى الخير، متقشف ورع، صلب فى الدين، محب للصالحين وأهل الخير، منقطع عن الناس، يقوم الليل ويكثر الصوم، ويطيل الصلاة بخشوع وإخبات واستغراق، وإذا رآه إنسان عرف الجد فى وجهه، يقوم فيما يظهر له من الحق، ويأمر بما يمكنه من المعروف وينهى عما يقدر عنه من المنكر ولم يزل كذلك حتى توفى[١].

* قال عنه البرزالى: أحد المشايخ العارفين الصالحين، وافر الإخلاص، متبع للسنة، سيد من السادات.

وقال الذهبى: كان إمامًا فقيه النفس، عارفًا بمعاملات القلوب... ترك أباه ونعمته وتجرد. ابتُلى بضيق النفس سبعة أشهر، ثم بالاستسقاء -رحمه الله تعالى-[٢].

* * *

(١) «الذيل» (٢/ ٣٦١).
(٢) «الذيل» (٢/ ٣٦١-٣٦٢).

الشيخ الجليل أبو الحسين العمرانى اليمانى يحيى بن أبى الخير بن سالم (رحمه الله)

شيخ الشافعية بإقليم اليمن، صاحب «البيان» وغيره من المصنفات الشهيرة. كان إمامًا زاهدًا ورعًا عالمًا خيِّرًا مشهور الاسم، بعيد الصيت، أعرف أهل الأرض بتصانيف أبى إسحاق الشيرازى، يحفظ «المهذب» عن ظهر قلب.

قال ابن سمرة: وكان وِرده فى الليلة أكثر من مائة ركعة، بسُبع من القرآن العظيم... مات - رحمه الله- مبطونًا شهيدًا فى ربيع الآخر قبل الفجر من ليلة الأحد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، ولم يترك صلاة فى مرض موته، وكان نزعه ليلتين ويومًا بينهما، يسأل عن كل وقت صلاة، ويصلى بالإيماء(١).

الإمام ثقة الدين أبو القاسم ابن عساكر (رحمه الله)

هو الحافظ، صاحب تاريخ دمشق، لا يُلحق شأوه، ولا يُشق غباره، ولا كان له نظير فى زمانه كما قال الذهبى فى «السير».

* قال أبو شامة: أخبرنى من حضره قال: صلى الظهر، وجعل يسأل عن العصر، وتوضأ، ثم تشهَّد وهو جالس، وقال: رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، لقننى الله حجتى وأقالنى عثرتى ورحم غربتى. ثم قال: وعليكم السلام، فعلمنا أنه حضرت الملائكة ثم انقلب ميتًا.

---
(١) «طبقات الشافعية» (٧/ ٣٣٨).

الفقيه الزاهد أبو الفتح نصر بن فتيان المعروف بابن المنِّى (رحمه الله)

قال الإمام ناصح الدين ابن الحنبلى عن شيخه ابن المنى:

«رحلت إليه فوجدت مسجده بالفقهاء والقراء معموراً، وكل فقيه عنده من فضله وإفضاله مغموراً، فأنخت راحلتى بربعه، وحططت زاملة بغيتى على شرعه، فوجدت الفضل الغزير، والدين القويم المنير، والفخر المستطيل المستطير، والعالم الخبير، فتلقانى بصدرٍ بالأنوار قد شُرِحَ، ومنطق بالأذكار قد ذُكر ومُدِحَ، وبباب إلى كل باب من الخيرات قد شُرِع وفُتح.

وسُئل عنه الشيخ موفق الدين المقدسى؟ فقال: شيخنا أبو الفتح كان رجلاً صالحًا، حسن النية والتعليم، وكانت له بركة فى التعليم. قَلَّ من قرأ عليه إلا انتفع.. وكان يقنع بالقليل، وربما يكتفى ببعض قرصة، ولم يتزوج، وقرأت عليه القرآن، وكان يحبنا ويجبر قلوبنا. قرأ عليه الفقه خَلْق كثير من أعيانهم الشيخ الموفق، والحافظ عبد الغنى وأخوه الشيخ العماد. وكان كثير الذكر والتلاوة للقرآن لا سيما فى الليل. ليس فيه تيه الفقهاء ولا عجب العلماء.

قال جامع سيرته: ابتدأ به المرض بعد نصف شعبان، وكان مرضه الإسهال وذلك من تمام السعادة؛ لأن مرض البطن شهادة. ولما ازداد مرضه أقبل الناس إلى عيادته من الأكابر والعلماء، والتلامذة والأصحاب.

فحدثنى صاحبه أبو محمد إسماعيل بن على الفقيه، وهو الذى تولى تمريضه قال: قال لى الشيخ يوم الخميس ثانى رمضان: أى فخر، آخر تعبك معى يوم الأحد؟ قال: وهكذا كان. فإنه توفى يوم السبت رابع شهر رمضان.

قاضى المارستان محمد بن عبد الباقى بن محمد الأنصارى الكعبى البغدادى (رحمه الله)

قال -رحمه الله-: ما ضيعت ساعة من عمرى فى لهو أو لعب.

تفرد -رحمه الله- بعلو الإسناد، ورحل إليه المحدثون من البلاد. ولم يُخلِّف بعده من يقوم مقامه فى علمه.

مرض وبقى ثلاثة أيام قبل موته لا يفتر من قراءة القرآن، وأوصى أن يُكتب على قبره ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾[(١)][(٢)].

الفقيه المحدث الزاهد شرف الدين أبو الحسين على بن محمد بن أحمد اليونينى البعلى (رحمه الله)

* قال عنه الذهبى: «كان إمامًا محدثًا، متقنًا مفيدًا، فقيهًا مفتيًا، خبيرًا باللغة والغريب، غزير الفوائد، مكرمًا بين الملوك والأئمة، مهيبًا كثير التواضع... عظيم الهيبة.

وقال فى آخر طبقات الحفاظ: انتفعت به، وتخرجت به. وكان عارفًا بقوانين الرواية، حسن الدراية».

تُوفى يوم الخميس حادى عشر رمضان سنة إحدى وسبعمائة ببعلبك.

وكان موته بشهادة -رحمه الله-، فإنه دخل إليه - يوم الجمعة خامس رمضان، وهو فى خزانة الكتب بمسجد الحنابلة- شخص، فضربه بعصا على رأسه مرات وجرحه فى رأسه بسكين، فاتقى بيده، فجرحه فيها، وأُمسك

(١) سورة ص: الآيتان: (٦٧، ٦٨).

(٢) «الذيل» (١/ ١٩٢-١٩٥).

الضارب، وضُرب ضربًا عظيمًا، وحُبس، وأظهر الاختلال.

وحُمل الشيخ إلى داره، وأقبل على أصحـابه يحدثهم، وينشدهم على عادته، وأتم صيام يومه، ثم حصل له بعد ذلك حُمًّى، واشتد مرضه حتى توفى يوم الخميس المذكور فى الساعة الثامنة منه، وغبطه الناس بموته شهيدًا فى رمضان ليلة الجمعـة عقب رجوعه من دمشق، وإفادته الناس، وإسماعه الحديث رضي الله عنه[1].

شيخ الإسلام أبو طاهر السلفى (رحمه الله)

* **قال الإمـام أبو شـامة:** سمـعت شيـخنا علم الدين السخـاوى يقول: سمعت أبا طاهر السلفى ينشد لنفسه ما قاله قديمًا:

أنـا مــن أهـل الحـــديـــث وهـم خـــيــر فـــئـــة

جُـــزت تـســعـــيـن وأر جـــو أن أجـــوزن المئـــة

قال: فقيل له: قد حقق الله رجاءك، فعلمت أنه قد جاوز المئة.

قال الذهبى: وبلغنى أن مدة مقامه بالإسكندرية مـا خرج منها إلى بستان ولا فرجة سوى مرة واحدة، بل كان ملازمًا مدرسته.

تُوفى الحافظ فى يوم الجمـعة سنة ست وسبعين وخـمس مئة. ولم يزل يُقرأ عليه الحـديث يوم الخميس إلى أن غربت الشـمس من ليلة وفاته، وهو يرد على القارئ اللحن الخفى، وصلى يوم الجمعة الصبح عند انفجار الفجر وتُوفى بعدها فجاءة[2]. ونال الحافظ فضل الموت يوم الجمعة.

---

(١) «الذيل» (٢/٣٤٦).

(٢) انظر: الترجمة فى «السير» (٢١/٥-٣٩).

الشيخ نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد الشيرازي (رحمه الله)

كان الشيخ الموفق وأخوه أبو عمر، إذا أُشكل عليهما شيء سألاه.

قال ولده ناصح الدين عبد الرحمن: «لما مرض مرض الموت، رآني وقد بكيت، فقال: إيش بك؟ فقلت: خير، فقال: لا تحزن عليَّ؛ أنا ما توليت قضاء، ولا شحنكيَّة [1]، ولا حبست ولا ضربت، ولا دخلت بين الناس، ولا ظلمت أحدًا، فإن كان لي ذنوب، فبيني وبين الله عز وجل. ولي ستون سنة أُفتي الناس، والله ما حابيت في دين الله تعالى.

وكان يقول قبل موته بسنين: سنتي سنة ست وثمانين، إلى أن دخلت سنة ست وثمانين، فقال: هذه سنتي، فقلنا: كيف تقول هذا؟ قال: هذي سنة أبي وجدي؛ لأن أباه مات سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وجده مات سنة ست وثمانين وأربعمائة، وكان الأمر كما قال.

وقال ولده: قال لي قبل أن يموت بسنة: رأيت الحق عز وجل في منامي، فقال لي: يا نجم! أما علَّمتك وكنت جاهلاً؟ قلت: بلى يا ربِّ، قال: أما أغنيتك وكنت فقيرًا؟ قلت: بلى يا ربِّ، قال: أما أمتُّ سواك وأحييتك؟ وجعل يعدد النعم. ثم قال: قد أعطيتك ما أعطيت موسى بن عمران» [2].

* * *

(١) من الشحنة: وهم أعوان الأمير الذين يتولون ضبط أمور البلد، وحفظ الرعية.

(٢) «الذيل» (١/ ٣٦٨، ٣٦٩).

الشيخ الزاهد أبو عمر محمد بن أحمد المقدسى (رحمه الله)

أخو الشيخ الموفق ابن قدامة.

قال أخوه الموفق عنه: هو شيخنا، ربَّانا وأحسن إلينا، وعلمنا وحرص علينا... وكان يؤثرنا ويدع أهله محتاجين، وبنى المدرسة والمصنع بعلو همته. وكان مجاب الدعوة، وما كتب لأحد ورقة للحمى إلا شفاه الله[١].

* قال ولده عبد الله: إنه فى آخر عمره سرد الصوم، فلامه أهله، فقال: إنما أصوم أغتنم أيامى؛ لأنى إن ضعفت عجزت عن الصوم، وإن مت انقطع عملى.

قال الحافظ الضياء تلميذه: كان لا يترك قيام الليل من وقت شبوبيته، وسافر هو وجماعة، فقام فى الليل يصلى ويحرس الجماعة، وقلل الأكل فى مرضه قبل موته، حتى عاد كالعود. ومات وهو عاقد على أصابعه يسبح[٢].

* وقال الضياء وأبو المظفر سبط ابن الجوزى: كان حسن الوجه، عليه أنوار العبادة، نحيل الجسم من كثرة الصيام والقيام[٣].

وكان -رحمه الله- يجاهد فى سبيل الله، ويحضر الغزوات مع صلاح الدين.

وقال أبو المظفر سبط ابن الجوزى: «أقام مريضًا أيامًا، ولم يترك شيئًا من أوراده فلما كان عشية الاثنين ثامن عشر ربيع الأول - يعنى: سنة سبع وستمائة - جمع أهله واستقبل القبلة، ووصاهم بتقوى الله ومراقبته، وأمرهم بقراءة يس وكان آخر كلامه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٤][٥].

(١) «الذيل» ص(٥٧).
(٢) «الذيل» (٢/ ٥٢، ٥٣).
(٣) «الذيل» (٢/ ٥٦).
(٤) سورة البقرة: الآية: (١٣٢).
(٥) «الذيل» (٢/ ٥٦-٥٩).

الحافظ البرزالى صاحب التاريخ والمعجم (رحمه الله)

قال الحافظ ابن ناصر الدمشقى: «مات بخليص مُحرمًا فى ثالث ذى الحجة، سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة».

ولقد حكى بعض مشايخنا عنه أنه كان إذا قرأ الحديث، ومر به حديث ابن عباس فى قصة الرجل الذى كان مع النبى ﷺ فوقصته ناقته، وهو محرم فمات... الحديث، وفيه: «**فإنه يُبعث يوم القيامة ملبيًا**» فكان إذا قرأه يبكى، ويرق قلبه، فمات محرمًا بخليص»[1].

روح دعاها للوصال حبيبها
فسعت إليه تطيعه وتجيبه
يا مُدَّعى صدق المحبة هكذا
فعل الحبيب إذا دعاه حبيبه

شيخ المحدثين أبو موسى المدينى الأصبهانى الشافعى (رحمه الله)

«قال الذهبى: كان حافظ المشرق فى زمانه. سمعت شيخنا العلامة أبا العباس بن عبد الحليم - يعنى: ابن تيمية - يثنى على حفظ أبى موسى ويقدمه على الحافظ ابن عساكر باعتبار تصانيفه ونفعها.

* كان أبو مسعود كوتاه يقول: أبو موسى كنز مخفى.

* وقال الحسين بن يوحن الباورى: كنت فى مدينة الخان[2]، فسألنى سائل عن

(١) «الرد الوافر» لابن ناصر الدين الدمشقى ص(٢١٧) - المكتب الإسلامى.

(٢) مكان بأصبهان.

رؤيا، فقال: رأيت كأن رسول الله ﷺ تُوفى فقال: إن صدقت رؤياك يموت إمام لا نظير له فى زمانه، فإن مثل هذا المنام رُئى حال وفاة الشافعى والثورى وأحمد بن حنبل، قال: فما أمسينا حتى جاءنا الخبر بوفاة الحافظ أبى موسى المدينى.

*وعن عبد الله بن محمد الخُجَندى، قال: لما مات أبو موسى، لم يكادوا أن يفرغوا منه، حتى جاء مطر عظيم فى الحر الشديد، وكان الماء قليلاً بأصبهان، فما انفصل أحد عن المكان مع كثرة الخلق إلا قليلاً، وكان قد ذكر فى آخر إملاء أملاه: أنه متى مات من له منزلة عند الله، فإن الله يبعث سحابًا يوم موته علامة للمغفرة له، ولمن صلى عليه»(١).

رحمك الله أبا موسى فهذا موت الربانيين، مطر وسحاب فى يوم صائف... وما يمليه عن موت المقربين فى آخر درس له يكون وصف جنازته.

مصلح الدين محمد بن أحمد بن على بن الحمامى (رحمه الله)

* قال أبو عبد الله الخليلى بأصبهان: كان جدى لأمى محمد بن أحمد الحنبلى المعروف بالمصلح قبل عقد الثمانين من عمره يختم القرآن فى يومين، فلما جاوز الثمانين كان يختم كل يوم القرآن. وكانت قراءته بالليل قراءة تذكُّر وتفكُّر.

قال أبو عبد الله: وسمعت محمد بن محمد الخبازى المدينى جارنا -وكان من أهل الخير والصلاح تلاَّء للقرآن؛ ملازمًا للمسجد فى أكثر أوقاته، لم تكن تفوته صلاة الجماعة إلا نادرًا- يقول: لما بلغ مصلح الدين عقد الثمانين قال: أسأل الله أن يمهلنى إلى التسعين، وأن يوفقنى كل يوم ختمة، فاستُجيبت دعوته، فكان يختم كل يوم ختمة(٢).

---

(١) انظر: الترجمة فى «السير» (٢١/ ١٥٢-١٥٩).

(٢) «الذيل» (١/ ٣٨٠، ٣٨١).

الفقيه المفسر محمد بن الخضر ابن تيمية فخر الدين شيخ حران (رحمه الله)

كان الشيخ فخر الدين رجلاً صالحًا، يُذكر له كرامات وخوارق.

قال الناصح ابن الحنبلى: انتهت إليه رياسة حرَّان، وله خُطبة الجمعة، وإمامة الجامع، وتدريس المدرسة النورية، وله القبول من عوام البلد، والوجاهة عند ملوكها، وكان فى ملازمته التفسير والوعظ مع الطريقة الظاهرة الصلاح.

وقال ابن حمدان الفقيه: كان شيخ حران، ومدرسها، وخطيبها ومفسرها، مغرىً بالوعظ والتفسير، مواظبًا عليهما.

قال ولده عبد الغنى: لما مات الوالد كان فى الصلاة؛ لأنى ذكَّرته بصلاة العصر، وأخذته إلى صدرى، فكبر وجعل يحرك حاجبه وشفتيه بالصلاة حتى شَخُصَ بصره -رحمه الله تعالى-[1].

وقد ذكر ولده له منامات صالحة رُئيت له بعد وفاته وهى كثيرة جداً جمعها فى جزء.

قال: حدثتنى ابنة عم والدى -وكانت صالحة- قالت: رأيت بعد موت الشيخ فى منامى، كأننى أسمع صوت ضجة من السماء. فقلت: لمن عندى: ما هذا الصوت والضجة؟ قال: هذا ضجيج الملائكة لأجل انقطاع التفسير وتعطله بالجامع بعد وفاة الشيخ.

قال: وحدثنى أبو الحسن ابن إبراهيم بن البقش النجار - وكان يلازم الشيخ لسماع الحديث - قال: رأيت الشيخ بعد موته فى المنام على كرسى

(١) «الذيل» (٢/ ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٥٨).

يعظ، وتحته رجال ونساء كثير فسمعته ينشد:

تجلى الحبيبُ لأحبابه ... فطوبى لمن كان يعنى به

فلما تجلى لهم كبروا ... وخروا سجودًا على بابه (١)

شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله)

شهرة شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم تغنى عن الإطناب فى ذكره فهو أشهر فى الدنيا من الدنيا قال عنه الحافظ المزى: لم يُر مثله منذ أربعمائة سنة.

وقال الشيخ القدوة أبو عبد الله محمد بن قوام: ما أسلمت معارفنا إلا على يد ابن تيمية.

قال له ابن دقيق العيد لما اجتمع به: ما كنت أظن أن الله بقى يخلق مثلك.

مات شيخ الإسلام فى سجنه بقلعة دمشق... دخل القلعة ورأى بابها فقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾(٢)، وقال: ما يصنع أعدائى بى أنا جنتى وبستانى فى صدرى أينما رحت فهى معى. إن معى كتاب الله وسنة نبيه، إن قتلونى فقتلى شهادة، وإن نفونى عن بلدى فنفيى سياحة، وإن سجنونى فأنا فى خلوة مع ربى. إن المحبوس من حُبس عن ربه، وإن الأسير من أسره هواه، وتفرغ شيخ الإسلام فى سجنه للقرآن وقراءته وجعل يقول: «لو يعلمون ما أسدوا إلىَّ من الجميل بسجنهم إياى فى القلعة ما كافأتهم عليها بملئها ذهبًا».

---

(١) «الذيل» (٢/١٥٨-١٦١).

(٢) سورة الحديد: الآية: (١٣).

قال ابن رجب الحنبلي: «مكث الشيخ في القلعة من شعبان سنة ست وعشرين إلى ذى القعدة سنة ثمان وعشرين، ثم مرض بضعة وعشرين يومًا، ولم يعلم أكثر الناس بمرضه، ولم يفجأهم إلا موته. وكانت وفاته في سَحَر ليلة الاثنين عشرين ذى القعدة، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

وأخبر أخوه زين الدين عبد الرحمن أنه ختم هو والشيخ منذ دخلا القلعة ثمانين ختمة، وشرعا في الحادية والثمانين، فانتهيا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾(١) .

الإمام فخر الدين الرازي، ابن خطيب الري محمد بن عمر التيمي البكري (رحمه الله)

شيخ الشافعية وإمام المتكلمين.

* قال الكمال محمود بن عمر الرازي: سمعت الإمام فخر الدين يوصي بهذه الوصية لما احتضر لتلميذه إبراهيم بن أبي بكر الأصبهاني:

«يقول العبد الراجي رحمة ربه، الواثق بكرم مولاه، محمد بن عمر بن الحسن الرازي، وهو أول عهده بالآخرة وآخر عهده بالدنيا، وهوالوقت الذى يلين فيه كل قاسٍ، ويتوجه إلى مولاه كل آبق: أحمد الله بالمحامد التي ذكرها أعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجهم، ونطق بها أعظم أنبيائه في أكمل أوقات شهادتهم، وأحمده بالمحامد التي يستحقها، عرفتها أو لم أعرفها، لأنه لا مناسبة للتراب مع رب الأرباب.

وصلواته على ملائكته المقربين، والأنبياء المرسلين، وجميع عباد الله الصالحين.

---

(١) سورة القمر: الآيتان (٥٤، ٥٥).

اعلموا أخلائى فى الدين، وإخوانى فى طلب اليقين، أن الناس يقولون: إن الإنسان إذا مات انقطع عمله، وتعلُّقه عن الخلق، وهذا مخصص من وجهين: الأول أنه إن بقى منه عمل صالح صار ذلك سببًا للدعاء، والدعاء له عند الله تعالى أثر، والثانى: ما يتعلق بالأولاد وأداء الجنايات.

* **أما الأول:** فاعلموا أنى كنت رجلاً محبًا للعلم، فكنت أكتب من كل شىء شيئًا لأقف على كميته وكيفيته، سواء كان حقًّا أو باطلاً، إلا أن الذى نطق به فى الكتب المعتبرة أن العالم المخصوص تحت تدبير مدبره المنزه عن مماثلة التحيزات موصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة، ولقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة تساوى الفائدة التى وجدتها فى القرآن؛ لأنه يسعى فى تسليم العظمة والجلال لله، ويمنع عن التعمق فى إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى فى تلك المضايق العميقة، والمناهج الخفية، فلهذا أقول: كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة، من وجوب وجوده، ووحدته، وبراءته عن الشركاء، كما فى القدم والأزلية، والتدبير والفعالية، فذلك هو الذى أقول به، وألقى الله به، وأما ما ينتهى الأمر فيه إلى الدقة والغموض، وكل ما ورد فى القرآن والصحاح، والمتعين للمعنى الواحد، فهو كما قال، والذى لم يكن كذلك أقول: يا إله العالمين، إنى أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، فكل ما مده قلمى، أو خطر ببالى، فأستشهد، وأقول: إن علمت منى أنى أردت به تحقيق باطل، أو إبطال حق، فافعل بى ما أنت أهله، وإن علمت منى أنى ما سعيت إلا فى تقديس اعتقدت أنه الحق، وتصورت أنه الصدق، فلتكن رحمتك مع قصدى لا مع حاصلى، فذاك جهد المُقلّ، وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع فى زلة، فأغثنى، وارحمنى، واستر زلتى، وامح حوبتى، يا من لا يزيد ملكه عرفان

العارفين، ولا ينقص ملكه بخُطا المجرمين

وأقول: دينى متابعة الرسول ﷺ، وكتابى القرآن العظيم، وتعويلى فى طلب الدين عليهما، اللهم يا سامع الأصوات، ويا مجيب الدعوات، ويا مقيل العثرات، أنا كنت حسن الظن بك، عظيم الرجاء فى رحمتك، وأنت قلت: «**أنا عند ظن عبدى بى**»، وأنت قلت: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**﴾[١]، فهب أنى ما جئت بشىء، فأنت الغنى الكريم، فلا تُخيِّب رجائى، ولا ترد دعائى، واجعلنى آمنًا من عذابك، قبل الموت، وبعد الموت، وعند الموت، وسهِّل علىَّ سكرات الموت، فإنك أرحم الراحمين.

* وأما الكتب التى صنفتها، واستكثرت فيها من إيراد السؤالات، فليذكرنى من نظر فيها بصالح دعائه على سبيل التفضل والإنعام، وإلا فليحذف القول السيئ؛ فإنى ما أردت إلا تكثير البحث، وشحذ الخاطر، والاعتماد فى الكل على الله.

* **الثانى**: وهو إصلاح أمر الأطفال، فالاعتماد فيه على الله.

ثم إنه سرد وصيته فى ذلك، إلى أن قال: وأمرت تلامذتى، ومن لى عليه حق، إذا أنا مت، يبالغون فى إخفاء موتى، ويدفنونى على شرط الشرع، فإذا دفنونى قرءوا علىَّ ما قدروا عليه من القرآن، ثم يقولون: «يا كريم، جاء الفقير المحتاج فأحسن إليه»، هذا آخر الوصية[٢].

ومن شعره فى آخر حياته:

نهاية إقدام العقول عقالُ
وأكثر سعى العالمين ضلالُ

وأرواحنا فى غفلة من جُسومنا
وحاصل دنيانا أذىً ووبالُ

---

(١) سورة النمل: الآية: (٦٢).

(٢) «طبقاتِ الشافعية» (٨/ ٩٠-٩٢).

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم من جبالٍ قد عَلَت شرفاتها
رجال فزالوا والجبال جبالُ
وكم قد رأينا من رجال ودولة
فبادواً جميعًا مُزعَجين وزالوا [١]

على بن الفتح الحلبى (رحمه الله)

* «قال أبو زرعة الدمشقى: خرج على بن الفتح الحلبى يوم النحر، فرأى الناس يتقربون إلى الله تعالى، فقال: يا رب أرى الناس يتقربون بألوان الذبائح، وإنى تقربت إليك بحزنى، ثم غُشى عليه، فأفاق، ثم قال: إلهى، إلى متى ترددنى فى دار الدنيا محزونًا؟ فاقبضنى إليك، فوقع من ساعته ميتًا»[٢].

الإمام الحافظ إبراهيم بن محمد بن خليل البرهان الطرابلسى (رحمه الله)

أخذ الفقه على البلقينى وابن الملقن، واللغة على مجد الدين صاحب القاموس، والحديث على الزين العراقى والبلقينى وابن الملقن.

* قال السخاوى عنه: كان إمامًا علامة حافظًا خَيِّرًا دَيِّنًا ورعًا متواضعًا، وافر العقل حسن الأخلاق متخلقًا بجميل الصفات، محبًّا

(١) «طبقات الشافعية» (٨/ ٩٦).
(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٤٠).

للحديث وأهله، متعففًا عن التردد إلى بنى الدنيا قانعًا باليسير، طارحًا للتكلف رأسًا فى العبادة والزهد والورع، مديم الصيام والقيام، مواظبًا على الاشتغال والأشغال والإقبال على القراءة بنفسه، حافظًا لكتاب الله كثير التلاوة له، صبورًا على الإسماع ربما أسمع اليوم الكامل من غير ملل ولا ضجر، عُرض عليه قضاء الشافعية ببلده فامتنع وأصر على الامتناع؛ فصار بعد ذلك كل واحد من قاضييها الشافعى والحنفى من تلامذته.

لما دخل التقى الحصنى حلب أتى إليه الحافظ إبراهيم وقال له: لعلك التقى الحصنى، ثم سأله عن شيوخه فسماهم. فقال له: إن شيوخك الذين سميتهم عبيد ابن تيمية أو عبيد من أخذ عنه، فما بالك تحط أنت عليه. فما وسع التقى إلا أن أخذ نعله وانصرف ولم يجسر أن يرد عليه. ولم يزل على جلالته وعلو مكانه حتى مات مطعونًا سنة ٨٤١ وهو يتلو[١].

حافظ الدنيا وشيخ المحدثين الإمام الذهبى (رحمه الله)

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الإمام الجبل، من يُضرب المثل باسمه فى العلم.

قال السبكى فى «طبقات الشافعية» (٩/ ١٠٥، ١٠٦):

«رآه الوالد -رحمه الله- قبل المغرب، وهو فى السياق، وقال له: كيف تجدك؟ فقال: فى السياق، ثم سأله: أدخل وقت المغرب؟ فقال له الوالد: ألم تُصلِّ العصر؟ فقال: بلى، ولكن لم أُصلِّ المغرب إلى الآن، وسأل الوالد -رحمه الله- عن الجمع بين المغرب والعشاء تقديمًا، فأفتاه بذلك

(١) «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع» للشوكانى (١/ ٢٨-٣٠) دار المعرفة.

ففعله ومات بعد العشاء قبل نصف الليل».

من للحديث وللسارين فى الطلب
من بعد موت الإمام الحافظ الذهبى

من للرواية للأخبار ينشرها
بين البرية من عُجم ومن عربِ

من فى القراءات بين الناس نافعهم
وعاصمٌ ركنها فى الجحفل اللجبِ

وإن تغب ذاتُ شمس الدين لا عجب
فأى شمس رأيناها ولم تغبِ

هو الإمام الذى روَّت روايته
وطبَّق الأرض من طلابه النجبِ

ثَبْتٌ صدوق خبير حافظ يقظٌ
فى النقل أصدق أنباءً من الكتبِ

كالزهر فى حَسَبٍ والزهر فى نسبٍ
والنهرَ فى حدبٍ والدهر فى رُتَبِ

* * *

قتيل القرآن الإمام شيخ الإسلام: يحيى بن سعيد القطان (رحمه الله)

* قال أحمد بن حنبل: ما رأيت بعينى مثل يحيى بن سعيد.

توفى -رحمه الله- سنة مائة وثمان وتسعين من الهجرة.

* «عن على بن عبد الله قال: كنا عند يحيى بن سعيد فقال لرجل: اقرأ. فقرأ ﴿حمٓ﴾ الدخان، فلما أخذ فى القراءة نظرت إلى يحيى ابن سعيد يتغير، فلما بلغ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1] صعق يحيى ابن سعيد وغُشى عليه، وارتفع صدره من الأرض، وتقوَّص وانقلب فأصاب الباب فقار ظهره، وسال الدم، وصرخ النساء، فخرجنا فوقفنا بالباب، حتى أفاق بعد كذا أو كذا، ثم دخلنا عليه فإذا هو نائم على فراشه وهو يقول: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال على: فما زالت به تلك القرحة حتى مات -رحمه الله-[2].

السلطان محمد بن أبى عامر المعافرى الحاجب المنصور (رحمه الله)

نسيج فريد بين الرجال تولى الحكم فى أصعب الفترات فى حياة الأندلس فتصدى لرفع راية الجهاد فى سبيل الله، وقاد الحرب طوال حياته، فأحرز من الانتصارات ما لم يحصل عليه رجل فى الأندلس ووصل فى غزوه إلى «شنت ياقب» أعظم مدن النصارى.

---

(١) سورة الدخان: الآية: (٤٠).

(٢) صفة الصفوة (٣/٣٦٦).

يقول صاحب «البيان المغرب»: «كان من قوة رجاء المنصور، أنه اعتنى بجمع ما علق بوجهه من الغبار فى غزواته ومواطن جهاده، فكان الخدم يأخذونه عنه بالمناديل فى كل منزل من منازله، حتى اجتمع له صرة ضخمة عهد بتصييره فى حنوطه، وكان يحملها حيث سار مع أكفانه، توقعًا لحلول منيته، وقد كان اتخذ الأكفان من أطيب كسبه من الضيعة الموروثة عن أبيه وغزل بناته، وكان يسأل الله تعالى أن يتوفاه فى طريق الجهاد، فكان كذلك».

آثاره تنبيك عن أخباره
حتى كأنك بالعيون تراه
تالله لا يأتى الزمان بمثله
أبدًا ولا يحمى الثغور سواه

هكذا كُتب على قبره لما دفن بمدينة سالم منصرفه من بعض غزواته[١].

قاضى القضاة مجد الدين
أبو إبراهيم التميمى الشيرازى البالى (رحمه الله)

إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن تيكروز.

كان مشهورًا بالدين والخير والمكارم، وحفظ القرآن وكثرة التلاوة.

* أمر بعضهم بإظهار الرفض فى أيامه، فقام فى نصر الدين قيامًا بليغًا، وأوذى بهذا السبب، وقيل: إنه رُبط وأُلقى به إلى الكلاب والأسود، فشمَّته ولم تتعرض له، فعظم قدره، وعُلم أنه من أولياء الله، وكان ذلك سببًا فى خذلان الرافضة.

(١) «البيان المغرب» (٢/ ٤٣٠).

* ولما مـات أحد أولاده الثـلاثة، أفـضل الدين أحمـد، سـأله بعض الحاضرين عن سنه، فقال: رأيت أنى أُعطيت أربعـة وتسعين ديناراً، وأعطى ولدى أحمـد اثنين وعـشرين، فـسألت المعطى: مـا هذا؟ فقـال: هذه سنو عمركما، فاستوفى أحمد اثنين وعشرين، وأما أنا فبقى لى تسع سنين، فكان الأمر كما ذكر.

توفى سنة ست وخمسين وسبعمائة، عن أربع وتسعين سنة بشيراز[١].

الإمام الحافظ أبو عمر الطلمنكى
أحمد بن محمد المعافرى (رحمه الله)

* «قال ابن بشكوال فى كتابه الصلة:

كان -رحـمه الله- أحـد الأئمة فـى علم القرآن العظيم لعظيم قـراءته، وإعرابه، وأحكامه، وناسخه ومـنسوخه، ومعـانيه. وكانت له عـناية كاملة بالحديث ونقله، وروايته وضبطه... حـافظًا للسنن، وإمـامًا فـيها، عـارفًا بأصول الديانات، مُظهراً للكرامات على هدى وسنة.

وكان سـيفًا مجـردًا على أهل الأهواء والبدع، قامـعًا لهم، غيوراً على الشريعة، شديدًا فى ذات الله».

وأخـبرنا أبو القـاسم بن بقى الحجـارى، قـال: خرج علينـا أبو عمـر الطلمنكى يومًا ونحن نقرأ عليه، فقال: اقرءوا وأكثروا؛ فإنى لا أتجاوز هذا العام، فقلت له: ولِمَ؟ قال: رأيت البارحة منشدًا ينشدنى ويقول:

اغـــتنمـــوا البـــر بشـــيخٍ ثوى
يفــقــده الســوقــة والصِّـيـدُ[٢]

(١) «طبقات الشافعية» (٩/ ٤٠١، ٤٠٢).

(٢) الصيد: أعالى الناس.

قــد ختم العـمــر بعــيـد مــضى
ليـس له مــن بعــــده عـــــيـــــدُ

قال: فتوفى فى ذلك العام»(١) أى سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

السلطان مراد فاتح البلغار والبوسنة والهرسك (رحمه الله)

هذا البطل العظيم الذى فتح الله على يديه جميع البلاد البلغارية، ووقع فى أسـره ملك البلغـار شـيمـان. هذا الملك الـعظيم الذى أدَّب لازار ملك الصرب وأمراء البوسنة والهرسك، وفتح بلاد البوسنة فى معركة «قوص أوه» اسمع خبر موته وهو والله أطيب من الشهد:

كانت الليلة التى سبـقت وقوع معركة «قوص أوه» الحـاسمة، ليلة بلغت فيها القلوب الحناجر، وأقبل السلطان مراد نحــو ربه عز وجل يلح عليه فى الدعاء ويستنزله النصر للإسلام والمسلمين، وأن يرزقه الشهادة فى سبيله.

وينقل المؤرخ التركى عبد القادر داده أوغلو فى كـتابه: «التاريخ العثمانى المصور» نص دعاء السلطان مراد، فى تلك الليلة على النحو التالى: «إلهى ومولاى، تقبل دعائى وتضرعى، وأنزل علينا برحمتك غيثًا يطفئ من حولنا غبار العواصف، واغمرنا بضياء يبـدد من حولنا ظلمات الليل البهيم، حتى نتمكن من إبصار مواقع عدونا، فنقاتله فى الغد فى سبيل دينك العزيز.

إلهى ومولاى، إن الملك والقوة لك، تمنحهما لمـن تشاء من عبادك، وأنا عبـدك العـاجـز الفقير إلى رحمتـك، تعلم سـرى وجهـرى، وأقسـم بعـزتك وجلالك أننى لا أبتغى من جهادى حطام الدنيا الفانية، ولكننى أبتغى رضاك

(١) «الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب» لابن فرحون المالكى ص(١٨٧-١٨٠) تحقيق د. الأحمدى أبو النور - مكتبة دار التراث.

ولا شىء غير رضاك.

يا ربٍّ اجعلنى فداءً للمسلمين جميعًا، ولا تجعلنى سببًا فى هلاك أحد من المسلمين فى سبيل غير سبيلك القويم، ونجِّهم يا ربٍّ من الوقوع فى أسر الكافرين، وانصرهم على عدوهم.

إلهى ومولاى، إن كان فى استشهادى نجاة لجند المسلمين، فلا تحرمنى الشهادة فى سبيلك لأنعم بجوارك، ونعم الجوار جوارك.

إلهى ومولاى، لقد شرفتنى بأن هديتنى إلى طريق الجهاد فى سبيلك فزدنى تشريفًا بالموت فى سبيلك».

ويروى المؤرخ التركى «خوجا سعد الدين» فى كتابه «تاريخ التواريخ» أن السلطان المؤمن أمضى الليل كله وهو يدعو بمثل هذا الدعاء، حتى إذا بزغ الفجر، وأذن المؤذنون لصلاة الفجر، هرع جند الإسلام يؤدونها، ويرددون وراء قائدهم الدعاء فى هديرٍ شق سكون الليل، ووصلت أصداؤه إلى جموع الكافرين، تُزلزل أقدامهم، وتوقع الخوف فى أفئدتهم.

وصدق السلطان المؤمن ربه، فصدقه ربه وعده؛ فنصر جنده، وهزم الأحزاب وحده، وقتل لازار ملك الصرب، واختار الله السلطان مراد شهيدًا فى سبيله عز وجل، بضربة خنجر من جندى صربى، أصابت من السلطان مقتلاً وهو يتفقد جرحى المسلمين فى المعركة.

لله درك من سلطان، وبوركت روحك فى رحاب الله إن شاء الله مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا.

* * *

شيخ الإسلام أبو عثمان الصابونى
إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد... بن عائذ (رحمه الله)

* قال عنه الذهبى: إنه إمام المسلمين حقًّا، وشيخ الإسلام صدقًا، وأهل عصره كلهم مذعنون لعلو شأنه فى الدين والسيادة، وحسن الاعتقاد وكثرة العلم ولزوم طريقة السلف.

* وعظ المسلمين فى مجالس التذكير ستين سنة.

* بينا هو يعظ الناس إذ دُفع إليه كتاب ورد من بخارى، مشتملاً على ذكر وباء عظيم، وقع بها، واستُدعى فيه أغنياء المسلمين بالدعاء على رءوس الأملاء، فى كشف ذلك البلاء عنهم ووصف فيه أن واحدًا تقدم إلى خباز، يشترى الخبز، فدفع الدراهم إلى صاحب الحانوت، فكان يزنها، والخباز يخبز والمشترى واقف، فمات الثلاثة فى الحال، فاشتد الأمر على عامة الناس.

فلما قرأ الكتاب هاله ذلك، واستقرأ من القارئ قوله تعالى: ﴿**أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ**﴾[1] ونظائرها، وبالغ فى التخويف والتحذير، وأثر فيه ذلك، وتغير فى الحال، وغلبه وجع البطن من ساعته، وأُنزل من المنبر، فكان يصيح من الوجع، وحُمل إلى الحمام، إلى قريب من غروب الشمس، فكان يتقلب ظهرًا لبطن، ويصيح ويئن، فلم يسكن ما به، فحُمل إلى بيته، وبقى فيه ستة أيام لم ينفعه علاج.

فلما كان يوم الخميس، سابع مرضه، ظهرت آثار سكرة الموت عليه، وودع أولاده، وأوصاهم بالخير، ونهاهم عن لطم الخدود، وشق الجيوب، والنياحة، ورفع الصوت بالبكاء. ثم دعا بالمقرئ أبى عبد الله خاصته، حتى

---

(١) سورة النحل: الآية: (٤٥).

قرأ سورة يس، وتغير حـاله، وطاب وقته، وكان يعالج سكرات الموت، إلى أن قرأ إسنادًا فيه مـا روى أن رسول الله ﷺ قال: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»، ثم توفى من ساعته، عصر الخميس، وحُملت جنازته من الغد، عصر الجمعة سنة تسع وأربعين وأربعمائة(١).

أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمرى (رحمه الله)

«كان من أكابر الأئمة الأعلام، ومصابيح الظلام، عالمًا بالفقه والتفسير، وفقه الحديث ومعانيه، وكان بارعًا فى علم العربية.

أقام مدرسـة للطائفة المالكية، وتصدَّر للاشتغال بالحـرم النبوى أكثر من خمسين سنة، وكان عليه مدار أمور الناس بالمدينة النبوية، وناب فى القضاء نحو أربعة وعشرين سنة. وكان كهفًا لأهل السنة.

وكان كثير التلاوة ليلاً ونهارًا.

وكان يُحيى غالبًا الثلث الأخير من الليل بالصلاة والتلاوة من حداثة سنه إلى أن ثقل بمرض الموت -رحـمه الله-، وكـان مواظبًـا على الصلوات فى الصف الأول من الروضة النبوية نحـو ستين سنة، وما يُفتح باب الحرم فى السَّحَر إلا وهو على الباب. وحج نحو خمس وخمسين حجة.

* **ولما حج آخـر حجاتـه قال:** هذه حجـة الوداع فلما أحس بـالمرض أمر بحفر قبره فى بقعة مخصوصة وأوصى أن يُعتق عند قبره عبيد، وأن يتصدق على الفقراء بصدقة واسعة.

وأخرج من مـاله وصايا وتبرعات وصـدقات وأوقافًا نحـو ثلاثين ألفًا،

---

(١) «طبقات الشافعية» (٤/ ٢٧٧-٢٧٩).

ووقف على الفقراء فرنًا تُصرف غلته عليهم فى كل يوم، وأعتق فى حياته عدة عبيد وإماء.

وكان له خادم فى الحرم تقرب به لخدمة الضريح النبوى، وكان مطمئن النفس بلقاء الله عز وجل مستحضراً لما ينبغى استحضاره.

ولما دخل فى السياق ذكَّرته: فقال: ما أنا بغافل... توفى -رحمه الله- يوم الجمعة سنة تسع وستين وسبعمائة[١].

أستاذ الأستاذين وشيخ المحدثين
الحافظ ابن حجر العسقلانى (رحمه الله)

* قال الحافظ السخاوى:

«فكان ابتداء مرضه فى ذى القعدة من سنة اثنين وخمسين وثمانى مئة بعد أن بلغنى أنه قَصَّ على جماعة مجلس الإملاء فى ربيع الأول من السنة التى توفى فيها، أنه رأى فى المنام بعض الرواة، وأظنه أبا مصعب، وأنه قدَّم إليه مائدة فيها عشرة أرغفة، العاشر منها مكسور منه شىء يسير، فأوله له بعض الحاضرين بعشر سنين تفاؤلاً، فما كان إلا دون عشرة أشهر ومات»[٢].

وتزايد الألم بالمعدة، وصار يحس بشىء ثقيل على معدته، بحيث كان يقول: هذه بقايا الغبن من سنة تسع وأربعين وتوابعها، وينشد قول الفرزدق.

قوارض تأتينى ويحتقرونها
وقد يملأ القطرُ الإناء فيفعمُ

وقال سبطه أنه أنشده فى مرضه هذا:

---

(١) «الديباج» (١/ ٤٥٤-٤٥٩).

(٢) «الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» للسخاوى (٣/ ١١٨٥).

عـــــمـــــارة الجـــــسـم نَفَس

وهـدمـــــه إذا احـــــتـــــبس

ولم يترك -رحمه الله- جمعة، بل ولا جماعة. نعم، لم يستطع صلاة عيد الأضحى، وكان يوم الثلاثاء بعد أن سمَّعنا عليه «فضل عشر ذى الحجة» لابن أبى الدنيا يوم عرفة، وهو آخر شىء سمعناه، بل سُمع عليه مطلقًا.

وكان -رحمه الله- قد استشعر بالوفاة بحيث كان إذا أخبر بالمنامات وشبهها مما يدل على رجاء صحته وحصول برئه، يقول: أما أنا، فلا أرانى إلا فى تناقص، وما أظن الأجل إلا قد قرب، ثم ينشد:

ثاء الثـلاثين قـد أوهت قـوى بدنى

فكيـف حـالى فى تـاء الثـمـانـينا

ويقول: اللهم حرمتنى عافيتك، فلا تحرمنى عفوك.

وتردد الأطباء للحافظ، ولم يكن يرى استخدام أهل الذمة فى ذلك، بل سمعته مرارًا يقول -وأظنه لغيره- أيأتمن المسلمون على أموالهم وأبدانهم أعداءهم.

ثم عظم الكرب واشتد الخطب، وهرع الناس كبارهم وصغارهم، من الأمراء والقضاة العلماء والمباشرين والطلبة والصلحاء أفواجًا أفواجًا لعيادته، واستغاثوا مبتهلين إلى الله تعالى فى طلب عافيته.

وممن جاء لعيادته الشيخ مدين، وأحضر له كتابًا كان فى عاريته، وعُدَّ هذا من مكاشفاته.

وفى يوم الثلاثاء أطال قاضى المالكية وجماعة الجلوس معه، واستأنس به، وبعد أن ظهروا استدعى بالوضوء، وأخذ يتوضأ، فما تمكن، ومن يومئذ اشتد مرضه جدًّا، بحيث صار يصلى الفرض جالسًا، وترك قيام الليل، وصُرع يوم الأربعاء، ثم تكرر ذلك منه، وسُمع منه يوم الجمعة عند الأذان لها إجابة المؤذن.

وكانت وفاته ليلة السبت ثامن عشر ذى الحجة، بعد العشاء بنحو ساعة رمل، بعد أن جلس حوله سبطه ومن جماعته الفخر بن جوشن، والشيخ شمس الدين السنباطى، والشهاب الدوادار، وقرءوا عنده سورة ﴿يسٓ﴾ مرة ثم أعيدت إلى قوله تعالى: ﴿سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[١]، ثم مات.

وتولى السنباطى المذكور تغميضه، وأخذ ولده يوم السبت فى تجهيزه، فغُسِّل بحضرة الشيخ زين الدين البوتيجى، ويقال: إنه لم يخرج منه كثير شىء[٢] نعم ﴿سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ ومن أولى بهذا من الحافظ ابن حجر الذى اختلط حب القرآن والسنة بدمه.

قال الحافظ السخاوى: «بلغنى عن الشمس الدميرى -أحد الموقِّعين - أنه رأى ليلة وفاة الحافظ ابن حجر أن البحر قد نشف، ولم يبق منه إلا مقدار مجراة فيها ماء يسير، بحيث أنه توضأ منه، فصار يصعد معه الرمل لقلته. قال: فلما أصبحت سمعت بموته.

* وبلغنى عن البرهان الترقِّى - أحد الموقِّعين بالدَّست - أن زوجته استيقظت صبيحة الليلة التى توفى فيها الحافظ ابن حجر، ولم تكن علمت بموته وهى مرعوبة، وقالت: سمعت قائلاً يقول: الصلاة على شيخ من آل بيت النبوة.

* وبلغنى عن بعض الأعيان المعتبرين ممن أخذت عنه أنه رأى عقب وفاته كلاً من الإمام الأعظم محمد بن إدريس الشافعى والليث بن سعد الفهمى أعاد الله علينا من بركاتهما، وهما فى همة، وأنه سألهما أو أحدهما أو واحدًا ممن حضر عن سبب ذلك، فأجيب بالاهتمام بضيافة ابن حجر - رحمة الله عليهم أجمعين-.

* وأخبرنى الشيخ برهان الدين بن سابق نزيل المنكوثمرية وإمامها أنه

---

(١) سورة يس: الآية: (٥٨).

(٢) «الجواهر والدرر» (٣/ ١١٨٧-١١٩٣).

رأى وهو ببيت المقدس الحافظ ابن حجـر فى المنام وعليه حُلة بيضاء حرير، بطائنها من ذهب يلمع، وعلى رأسه عمامة بيـضاء فى هيئة لم يُر أبهج منه فيها، وأنه ناوله شيئًا، وأمره بالسلام على أهل بيته»[١].

يهودى يسلم لرؤيا رآها لوالد شيخ الإسلام الصابونى

كان أبو نصر عبد الرحمن بن أحمد الصابونى من كبار الواعظين بنيسابور - وهو والد شيخ الإسلام إسماعيل الصابونى- قد فُتك به واغتيل نهاراً.

قال يهودى: اغتممت لوفاة أبى نصر الصابونى، وقتله، فاستغفرت له، ونمت، فرأيته فى المنام، وعليه ثياب خضر، ما رأيت مثلها قط، وهو جالس على كرسى، بين يديه جمـاعة كثـيرة من الملائكة، وعليهم ثيـاب خُضر، فقلت: يا أستاذ، أليس قد قتلوك؟ قال: فعلوا بى ما رأيت. فقلت: ما فعل بك ربك؟ قال: لمثلى يقـال هذا؟ غفر لى، وغفر لمن صلى علىَّ، كبيرهم وصغيرهم، ومن يكون على طريقى.

قلت: أما أنا فلم أُصلِّ عليك.

قال: لأنك لم تكن على طريقى.

فقلت: أيش أفعل لأكون على طريقك؟

فقال: قل أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

فقلت ذلك؛ ثم قلت: أنا مولاك.

قال: لا، أنت مولى الله.

قال اليـهودى: فانتـبهت، فجاء من عنـده إلى قبره، وذكر ما رأى من المنام، وقال: أنا مولاه، وأسلم عند قبره، ولم يأخذ شيـئًا من أحد، وقال:

---

(١)«الجواهر والدرر» (٣/ ١٢٠٠-١٢٠٢).

إنى غنى، أسلمت لوجه الله، لا لوجه المال.

قال أبو سهل بن هارون، قال أبو بكر الصيدلانى، وكان من الصالحين: كنت حاضرًا قبره؛ حين جاء اليهودى فأسلم[١].

الشيخ أبو على سند بن عنان بن إبراهيم الأزدى (رحمه الله)

تلميذ أبى بكر الطرطوشى وأبى الطاهر السلفى. قال الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد: كان فاضلاً، كان من زهاد العلماء، وكبار الصالحين، فقيهًا فاضلاً، وجلس لإلقاء الدرس بعد الطرطوشى وألَّف كتابًا حسنًا فى شرح المدونة فى نحو ثلاثين سفرًا سماه «الطراز».

* **قال تميم بن معين البادسى -وكان من الفقهاء-**: رأيت رسول الله ﷺ فى المنام، فقلت: يا رسول الله! اكتب لى براءة من النار، فقال لى: «امض إلى الفقيه سند يكتب لك براءة، فقلت له: «ما يفعل؟»، فقال: قل له: «بأمارة كذا وكذا» فانتبهت فمضيت إلى الفقيه سند، فقلت له: «اكتب لى براءة من النار»، فبكى وقال: «من يكتب لى براءة من النار؟!»، فقلت له الأمارة، قال: فكتب لى رقعة.

ولما أدركت تميمًا الوفاة أوصى أن تُجعل الرقعة فى حلقة، وتُدفن معه.

* **قال الفقيه أبو القاسم بن مخلوف بن عبد الله بن جارة**: أخبرنى من أثق به: أنه رأى الفقيه أبا على سند بن عنان بعد موته، قال: فقلت له: «ما فعل الله بك؟»، فقال: «عُرضت على ربى، فقال لى: أهلاً بالنفس الطاهرة الزكية العالمة»[٢].

(١) «طبقات الشافعية» (٤/ ٢٨١).

(٢) «الديباج» (١/ ٣٩٩، ٤٠٠).

الشيخ المنفلوطى محمد بن إبراهيم ولى الدين الديباجى (رحمه الله)

* قال عنه الحافظ ابن حجر:

«كان يُعرف بابن خطيب ملوى. تفقَّه بأبيه وغيره ونشأ على قدم صدق فى العبادة والأخذ عن أدب الشيوخ، وله اليد الطولى فى المنطق والأصلين والفقه والتصوف، كثير التواضع والانطراح، كثير الإنصاف خبيرًا بدينه ودنياه.

* ونقل العثمانى الصفدى قاضى صفد فى «طبقات الشافعية» أنه حصل له عند موته ما يدل على نجاته، وأنه قال: «انزعوا عنى ثيابى فقد أُحضرت لى ثياب من الجنة»، أو نحو من هذا الكلام[1].

الرئيس أبو على المنيعى الحاجّى حسان بن سعيد المخزومى (رحمه الله)

هو واقف الجامع المنيعى بنيسابور، الذى كان إمام الحرمين خطيبه، وقبله أبو إسماعيل الصابونى شيخ الإسلام.

كان -رحمه الله- على قدم عظيم من الاجتهاد فى العبادة، والتواضع، والبر، وكثرة الصدقات والصلاة، يقوم الليل ويصوم النهار، ويلبس خشن الثياب، وفى الشتاء يكسو قريبًا من ألف فقير.

ولما وقع القحط سنة إحدى أو اثنتين وستين وأربعمائة أنفق أموالاً

(١) «الدرر الكامنة» (٣/ ٣٩٥).

عظيـمة، وكان ينصـب القدر، ويفـرق أكثـر من ألف مَنّ خـبـزًا كل يوم للفقراء، ويفرق طعامًا كثيرًا، كل ذلك غير ما يتصدق به سرًّا.

روى عنه محيى السنة البغوى، وأبو المظفر عبد المنعم القشيرى.

عمد -رحمه الله- إلى خالص مـاله لبناء الجامع المنيعى بنيسابور، وأنفق فى بنائه الأموال الجزيلة، وكان لا يفـتر آونة من ليل، ولا ساعة من نهار، إلى أن تم وأقيمت الجمعة فيه.

قال ابن السمعاني: بلغنى أن عجوزًا جاءته وهو يبنى جامع نيسابور، ومعها ثوب يساوى نصف دينار، وقالت: سمـعت أنك تبنى الجامع فأردت أن يكون لى فى النفقة المباركة أثر، فدعا خازنه، واستحضر ألف دينار، واشترى بها منها الثوب، وسلم المبلغ إليها، ثم قبض منها الخازن الثوب، ثم قال له: أنفق هذه الألف منها فى بناء المسجد وقال: احفظ هذا الثوب لكفنى ألقى الله فيه[1].

القاضى أبو العباس
عبد الله بن طالب بن سفيان التميمى (رحمه الله)

تفقـه بسحنون وكـان من كبار أصـحابه، ولم يكن شىء أحب إليه من المذاكرة فى العلم.

قال ابن اللبّاد: ما رأيت بعينى أفقه من ابن طالب إلا يحيى بن عمر.

قال أبو العرب: كان عادلاً فى قـضائه، ورعًا فى حكمه، قليل الهيبة فى الحق للسلطان، وما سمعت العلم قط أحلى ولا أطيب منه من ابن أبى طالب.

* وكان يـقول فى قضـائه: اللهم لا تمتنى وأنا قاضٍ، فمات بعـد عزله بنحو شهر.

(١) «طبقات الشافعية» (٤/ ٣٠٠، ٣٠١).

وامتُحن -رحمه الله- وسُجن وسُقى سمًّا. وقيل: إن السودان ركضوا بطنه حتى مات.

قال بعضهم: سمعته عند محنته وسجنه يقول: -وهو مسجون- فى سجوده ومناجـاته ربه عـز وجل: «اللهم إنك تعلم أنى مـا حكمت بجـور، ولا آثرت عليك أحدًا من خلقك فى حكم من أحكامى ولا خفت فيك لومة لائم»[1].

الشيخ جمال الدين التبريزى (رحمه الله)

أسلم على يديه أهل جبال كامر وهى جبال متصلة بالصين وتتصل ببلاد التبت.

كـان نحوًا من أربعـين سنة يسرد الصـوم، وكانت له بقـرة يفطر على حليبها ويقوم الليل كله.

قال ابن بطوطة: «أخبـرنى بعض أصحـابه أنه استـدعاهم -اسـتدعى أهل الجبال- قبل موته بيوم واحد وأوصاهم بتقوى الله، وقال لهم: إنى أسافر عنكم غدًا إن شاء الله وخليفتى عليكم الله الذى لا إله إلا هو، فلما صلى الظهر من الغد قبضه الله فى آخر سجدة منها، ووجدوا فى جانب الغار الذى كان يسكنه قبرًا محفورًا عليه الكفن والحنوط، فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه به».

* **كتب -رحمه الله- إلى الشيخ بهاء الدين الملتانى كتابًا قال فيه:** «يا أخى! من شرب من بحر مودته يحيا حياة لا موت بعدها، ومن لم يذق من صافى المحبة يخـرج من الدنيا كالبهائم صـفر اليدين، وإذا مات صار جيـفة ومات موتًا لا حياة بعده، كما قال أصدق القائلين: ﴿**وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً**﴾[2][3].

(١) «الديباج» (١/ ٤٢٢).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٧٢).

(٣) «الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام» للشيخ عبد الحى الندوى (٢/ ٢١-٢٣).

الوزير الجواد ابن بقية (رحمه الله)

«أطعم ابن بقية الوزير المساكين والفقراء، وأكرم العلماء، فغار منه السلطان واحتال عليه حتى قتله وصلبه، فلما ارتفع على الخشبة مصلوبًا، وقفت الأمة كلها بوقوفه، فطافت به قلوب المحبين، ونامت بغداد على أصوات البكاء، فترجَّل أبو الحسن الأنبارى عن فرسه إلى خشبة الصلب، وسلم على الجثمان ودشَّنه بتلك القصيدة التى من لم يحفظها ففى تذوقه للشعر نظر:

عُلُوٌّ فى الحياة وفى الممات
بحقٍّ أنت إحدى المعجزاتِ

كأنك قائمٌ فيهم خطيبًا
وهم وقفوا قيامًا للصلاةِ

مددت يديك نحوهم احتفاءً
كمدهمو إليهم بالهباتِ

ولما ضاق بطنُ الأرض عن أن
يوارى فيه تلك المكرماتِ

أصاروا الجو قبرك واستعاضوا
على مثواك صوت النائحاتِ

لعظمك فى النفوس تُبات ترعى
بحراسٍ وحُفاظ ثقاتِ

وتُوقدُ حولك النيرانُ ليلاً
كذلك كنت أيام الحياةِ

ومـــا لك تربةٌ فـــأقـــول تُســـقى

لأنك نـصب هـطل الـهـــاطلات

أصبحت خشبة ابـن بقية مسرحًا، تُلقَى عليه قصائد المادحين، وخَطب المثنين، وأصبح من قتله فى صَغار، كأنه طُلى بالقار(١).

أبو محمد الأصيلى عبد الله بن إبراهيم (رحمه الله)

قال الدارقطنى: حدثنى أبو محمد الأصيلى، ولم أر مثله!

ولى قضاء سرقسطة، وقام بالشورى بقرطبة، حتى كان نظير ابن أبى زيد بالقـيروان وعلى هَديه. . . تـوفى -رحمـه الله- يوم الخـميس سنة اثنتـين وتسعين وثلاثمائة.

* كان آخر ما سُمع منـه حين احتضر: «اللهم إنك قد وعدت الجزاء على المصيبة، ولا مصيـبة علىَّ أعظم من نفسى، فأحسن جزائى فـيها يا أرحم الراحمين».

وكان كثيـرًا ما يذكر الأربعمـائة، وما يكون فيها مـن الفتن ويدعـو الله عز وجل أن يقبضه قبلها، فأجاب الله دعاءه(٢).

* * *

(١) «مصارع العشاق» للشيخ عائض القرنى ص(٦٧-٦٨)- دار الوطن.

(٢) «الديباج» (١/ ٤٣٣-٤٤٤).

الفقيه اليمنى العلامة الزاهد، الورع القانت حاتم بن منصور الحملانى (رحمه الله)

كان - رحمه الله - عالمًا عاملاً ورعًا تقيًّا فاضلاً رأسًا فى العبادة وإمامًا يُقتدى به فى الزهادة. أستاذ أهل زمانه فى الفقه والأصلين، وعنه أخذ الزاهد الشهير إبراهيم الكينعى وكان لا يدخر شيئًا لغده.

قال تلميذه الكينعى فى نعته: صلَّى حاتم زهاء أربعين سنة إمامًا، ما ترك صلاة واحدة فى جماعة ولا سجد للسهو فى جميع هذه المدة إلا ست مرات. وكان لا يدع البكاء فى الصلاة مطلقًا. اهـ.

وقال فى «الطبقات»: روى الثقة أنه قُبضت روحه وهو يصلى صلاة التسبيح مستلقيًا من المرض[1].

مات سنة ٧٦٥ -رحمه الله-.

الإمام الطيبى الحسين بن محمد (رحمه الله)

* قال ابن حجر: كان آية فى استخراج الدقائق من القرآن والسنن، مُقبلاً على نشر العلم، متواضعًا حسن المعتقد، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة، شديد الحب لله ورسوله، كثير الحياء.

كان يشتغل فى التفسير من بكرة إلى الظهر، ومن ثم إلى العصر فى الحديث إلى يوم مات؛ فإنه فرغ من وظيفة التفسير توجه إلى مجلس الحديث، فصلى النافلة وجلس ينتظر الإقامة للفريضة فقضى نحبه متوجهًا إلى القبلة[2].

---

(١) «ملحق البدر الطالع» (١/ ٦٧).

(٢) «بغية الوعاة» (١/ ٥٢٣)، و«الدرر الكامنة» (٢/ ١٣٢).

الشيخ أبو محمد قاسم بن ثابت بن حزم (رحمه الله)

شارك أباه في رحلته، وشيوخه، وعُنى هو وأبوه بجمع الحديث واللغة، ويقال إنهما أول من أدخل كتاب العين في الأندلس، وكان قاسم عالمًا بالفقه والحديث، مُقَدَّمًا في المعـرفة بالغريب[1]، والنحو، والشعر، ورعًا ناسكًا، مجاب الدعوة.

* سأله الأمير أن يلي القضاء، فامتنع، فأراد أبوه أن يُكرهه عليه، فسأله أن يمهله ثلاثة أيام يستـخير الله تعالى، فمات في الثلاثة أيام! فكانوا يرون أنه دعا على نفسه بالموت[2].

ابن العطار يحيى بن أحمد التنوخى القاهرى الشافعى (رحمه الله)

كان يحيى أديبًا فـاضلاً متفننًا ذكيًا، ذا عقلٍ وافر، وهيئة لطيفة نورانية ظاهرة وحشمة وسكون وهمة عظيمة مع من يقصده.

قال البقاعى: مات على حالة حسنة، أُخبرت أنه ما زال يذكر الله جهراً فلما عجز صار سرًا، حتى طلعت روحه مع التبـسم والإخبار برؤية الخضرة والياسمين. . . مات -رحمـه الله- ولم يُخلِّف بعده مثله فى كل خصلة من خصاله مات سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة[3].

---

(١) له كتاب «غريب الحديث» رواه عنه ابنه، وهو كتاب حسن مشهور، قال الحميدى: ذكره أبو محمد على بن أحمد، وأثنى عليه، وقال: ما شأه أبو عبيد إلا بتقدم العصر. و«شأه» أى: سبقه.

(٢) «الديباج» (٢/ ١٤٧).

(٣) «الضوء اللامع» (١٠/ ٢١٧-٢١٨).

ابن عنان الشافعى (رحمه الله)

قال نجم الدين الغزى فى «الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة»:

«كان سيدى محمد بن عنان ممن اشتهر بالجد فى العبادة والاجتهاد فى الطاعة وقيام الليل وحفظ الأوقات من التضييع.

* وكان لا يترك قيام الليل صيفًا ولا شتاء من حين كان صغيرًا، وكان يتهيأ لقيام الليل من صلاة العصر فلا يستطيع أحد أن يكلمه حتى يصلى الوتر بعد العشاء؛ فإذا قام للتهجد من الليل لا يتجرأ أحد أن يكلمه حتى يصلى الضحى.

وكان على وضوء دائمًا وكان يقول: من ادَّعى مجالسة الله عز وجل وهو يمكث على حدث لحظة واحدة فهو قليل الأدب.

* **قال الشيخ عبد الوهاب:** لما حضرته الوفاة فوق سطوح جامع باب البحر بخط المقسم مات نصفه الأسفل، فصلى وهو جالس بالإيماء، فلما فرغ من الصلاة أشار إلىَّ أضجعونى فأضجعناه فما زال بشفتيه والسبحة فى يده حتى كانت آخر حركة يده وشفته طلوع روحه[1].

* * *

(١) «الكواكب السائرة» (١/ ٣٩-٤٠).

مات غضباً لله (جل وعلا)

* قال أبو الفضل الرياشي: سمعت الأصمعي يقول: أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة، فبينا أنا في بعض سككها، إذ طلع أعرابي جلف جاف، على قَعود[١] له، متقلد سيفه، وبيده قوس، فدنا وسلَّم، وقال لي: ممن الرجل؟ قلت: من بني الأصمع، قال: أنت الأصمعي؟ قلت: نعم. قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: من موضع يُتلى فيه كلام الرحمن. قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟! قلت: نعم.

قال: اتل عَلَيَّ شيئًا منه، فقلت له: انزل عن قعودك، فنزل، وابتدأت سورة الذاريات، فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[٢] قال: يا أصمعي، هذا كلام الرحمن؟ قلت: أي والذي بعث محمدًا بالحق إنه لكلامه، أنزله على نبيه محمد ﷺ، فقال لي: حسبك، ثم قام إلى ناقته فنحرها، وقطعها بجلدها، وقال: أعنِّي على تفريقها، ففرقناها على من أقبل وأدبر ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرها وجعلها تحت الرَّحل، وولى مدبرًا نحو البادية وهو يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فأقبلت على نفسي باللوم، وقلت: لم تنتبه لما انتبه له الأعرابي، فلما حججت مع الرشيد دخلت مكة، فبينا أنا أطوف بالكعبة، إذ هتف بي هاتف بصوت دقيق فالتفتُّ فإذا أنا بالأعرابي نحيلاً مصفارًّا، فسلَّم عَلَيَّ وأخذ بيدي، وأجلسني من وراء المقام، وقال لي: اتل كلام الرحمن، فأخذت في سورة الذاريات، فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ صاح الأعرابي: وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا. ثم قال:

---

(١) الناقة.

(٢) سورة الذاريات: الآية: (٢٢).

وهل غير هذا؟ قلت: نعم، يقول الله عز وجل: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[1]، فصاح الأعرابى، وقال: يا سبحان الله! من الذى أغضب الجليل حتى حلف؟ ألم يصدقوه حتى ألجئوه إلى اليمين؟ قالها ثلاثًا، وخرجت فيها روحه»[2].

أبو العباس أحمد بن محمد الديبلى (رحمه الله)

* ذكر تاج الدين عبد الوهاب السبكى فى «الطبقات الوسطى» أن أبا العباس النسوى قال: لما اعتلَّ أبو العباس أحمد بن محمد الديبلى علته التى توفى فيها، وتوليت خدمته، شهدت منه فى علته أحوالاً سنية، وقال لى: إنه يموت ليلة الأحد.

وقال لى: تنحَّ فإنى أريد أن أجمع بين صلاتين (يعنى: صلاة المغرب وصلاة العشاء).

وركع وأوتر، ثم أخذ فى السياق، وهو حاضر معنا إلى نصف الليل، فقمت وطرحت نفسى ساعة، ثم رجعت إليه، فلما رآنى قال:

أىُّ وقتٍ هذا؟

قلت: قربُ الصبح.

فقال: حولونى إلى القبلة.

فأخذ يقرأ مقدار خمسين آية، ثم خرجت روحه، مات -رحمه الله- سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة[3].

* * *

(١) سورة الذاريات: الآية: (٢٣).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٣٨٢)، و«كتاب التوابين» لابن قدامة ص(٢٧٩).

(٣) من «هامش الطبقات الكبرى» (٣/ ٥٥).

الشيخ أبو بكر الشعيبى (رحمه الله)

كان أبو بكر الشعيبى الولى الزاهد من قرية الشعيبية من قرى ميافارقين.

قال سعد الدين الجوينى: كان الشعيبى صاحب علم وعمل، ورياضيات ومجاهدات.

وكان أكثر أوقاته يتكلم على الخاطر، وكان كثيرًا ما يقول عقب كلامه: اللهم ارحمنا.

فسألته عن التتار قبل أن يطرقوا البلاد فزفر زفرة ثم أنشد:

ومـا كلُّ أسـرار النفـوس مُـذاعـةٌ

ولا كل مـا حل الفـؤاد يُـقـالُ

خرج إلى قريته الشعيبية، وقال لأولاده:

احفروا لى قبرًا، فأنا أموت بعد يومين.

فحفروا له، ثم مات فى اليوم الذى عينه سنة إحدى وأربعين وستمائة - رحمه الله-[1].

إبراهيم.. أحد موالى الروم (رحمه الله)

العالم العامل المولى الأجل كان والده من سادات العجم ومن أكابر أولياء الله.

* كان إبراهيم منقطعًا عن الناس فى العلم والعبادة زاهدًا ورعًا يستوى عنده الذهب والمدر. وكان متواضعًا خاشعًا.

---

(١) «الوافى بالوفيات» (١٠/ ٢٦٩).

لما كان فى مرض موته وهو قريب من الاحتضار فتح عينيه، فقال: «إن الله تعالى كريم لطيف، شاهدت من كرمه ولطفه ما أعجز عن شكره». ومات فى تلك الليلة(١).

أبو عبد الله الحربى (رحمه الله)

* عن **إبراهيم بن شبيب بن شيبة قال**: كنا نتجالس فى الجمعة، فأتى رجل عليه ثوب واحد ملتحفًا به، فجلس إلينا، فألقى مسألة، فمازلنا نتكلم فى الفقه حتى انصرفنا، ثم جاءنا فى الجمعة المقبلة فأحببناه وسألناه عن منزله، فقال: أنزل «الحربية»، فسألناه عن كنيته، فقال: أبو عبد الله. فرغبنا فى مجالسته ورأيناه مجلس فقه.

فمكثنا بذلك زمانًا، ثم انقطع عنا، فقال بعضنا لبعض: ما حالنا؟ قد كان مجلسنا عامرًا بأبى عبد الله، وقد صار موحشًا، فوعد بعضنا بعضًا إذا أصبحنا أن نأتى الحربية فنسأل عنه، فأتينا الحربية وكنا عددًا، فجعلنا نستحيى أن نسأل عن أبى عبد الله، فنظرنا إلى صبيان قد انصرفوا من الكُتَّاب، فقلنا: أبو عبد الله؟ فقالوا: لعلكم تعنون الصياد؟ قلنا: نعم. قالوا: هذا وقته، الآن يجىء.

فقعدنا ننتظره، فإذا هو قد أقبل مؤتزرًا بخرقة وعلى كتفه خرقة، وعلى كتفه أطيار مُذبَّحة وأطيار أحياء، فلما رآنا تبسم، وقال: ما جاء بكم؟ فقلنا: فقدناك وقد كنت عمرت مجلسك، فما غَيَّبك عنا؟ قال: إذًا أصدقكم:

كان لنا جار كنت أستعير منه كل يوم ذاك الثوب الذى كنت آتيكم فيه، وكان غريبًا فخرج إلى وطنه، فلم يكن لى ثوب آتيكم فيه، هل لكم أن

(١) «الكواكب السائرة» (٢/ ٨٣، ٨٤).

تدخلوا المنزل فتأكلوا مما رزقكم الله عز وجل؟ فـقال بعضنا لبعض: ادخلوا منزله، فجاء إلى الباب فسلم ثم صبر قليلاً، ثم دخل فأذن لنا فدخلنا، فإذا هو قد أتى بقطع من البوارى[1] فبسطها لنا، فقعدنا، فدخل إلى المرأة فسلم إليها الأطيار المذبحـة وأخذ الأطيار الأحياء، ثم قال: أنا آتيكم إن شاء الله عن قريب فأتى السوق فباعها واشترى خبزًا.

فجاء وقـد صنعت المرأة ذلك الطير وهيأته، فقدم إلينا خبزًا ولحم طير، فأكلنا فجعل يقـوم فيأتينا بالملح والماء، فكلما قام قـال بعضنا لبعض: رأيتم مثل هذا؟ ألا تُغـيرون أمـره وأنتم سادة أهل البصـرة؟ فقـال أحدهم: علىَّ خمسمائة، وقال الآخر: علىَّ ثلاثمائة.

وقال هذا، وقال هذا، وضمن بعضهم أن يأخذ له من غيره، فبلغ الذى جمعوا فى الحساب خمسة آلاف درهم، فقالوا: قوموا بنا نذهب فنأتيه بهذا ونسأله أن يغير بعض ما هو فيه.

فقمنا فانصرفنا على حالنا ركبانًا، فمررنا بالمربد، فإذا محمد بن سليمان أمير البصرة قاعد فى منظرة له، فقال: يا غلام! ائتنى بإبراهيم بن شبيب بن شيـبة من بين القوم فـجئت فـدخلت عليه، فسألنى عـن قصتنا، ومن أين أقبلنا، فصدقـته الحديث. فـقال: أنا أسبقكم إلى بره؛ يا غـلام ائتنى ببدرة دراهم، فجاء بها، فقال: احمل هذه البدرة مع هذا الرجل حتى تدفعها إلى من قد أمرناه.

ففرحت ثم قمت مسرعًا، فلما أتيت الباب سلمت، فأجابنى أبو عبد الله، ثم خرج إلىَّ، فلما رأى الفراش والبـدرة على عنقه كأنى سفّـيت فى وجهه الرماد، وأقبل علىَّ بغـير الوجه الأول، فقال: ما لى ولك يا هذا؟ أتريد أن تفتننى؟ فقلـت: يا عبد الله! اقعد حـتى أخبرك، إنه من القصة كذا وكذا،

---

(١) الحصير.

وهو الذى تعلم أحد الجبارين -يعنى محمد بن سليمان-، ولو كان أمرنى أن أضعها حيث أرى لرجعت إليه فأخبرته أنى قد وضعتها، فالله الله فى نفسك، فازداد علىَّ غيظًا، وقام فدخل منزله وأصفق[1] الباب فى وجهى، فجعلت أقدم وأؤخر ما أدرى ما أقول للأمير، ثم لم أجد بُدًّا من الصدق، فجئت فأخبرته الخبر، فقال: حرورى والله، يا غلام علَىَّ بالسيف، فجاء بالسيف، فقال له: خذ بيد هذا الغلام حتى يذهب بك إلى هذا الرجل، فإذا أخرجه إليك فاضرب عنقه وائتنى برأسه.

قال إبراهيم: أصلح الله الأمير، الله الله، فوالله لقد رأينا رجلاً ما هو من الخوارج، ولكن أذهب فآتيك به، ما أريد بذلك إلا افتداءه منه، قال: فضمننيه، فمضيت حتى أتيت الباب فسلمت، فإذا المرأة تحن وتبكى، ثم فتحت الباب وتوارت، فأذنت لى فدخلت، فقالت: ما شأنكم وشأن أبى عبد الله؟ فقلت: وما حاله؟ قالت: دخل فمال إلى الركى[2] فنزع منها ماءً فتوضأ، ثم سمعته يقول: اللهم اقبضنى إليك ولا تفتنى. ثم تمدد وهو يقول ذلك، فلحقته وقد قضى فهو ذاك ميت، فقلت: يا هذه! إن لنا قصة عظيمة، فلا تحدثوا فيه شيئًا، فجئت محمد بن سليمان وأخبرته الخبر، فقال: أنا أركب فأصلى على هذا.

قال: وشاع خبره بالبصرة، فشهده الأمير وعامة أهل البصرة -رحمه الله تعالى-»[3].

* * *

(١) «أصفق الباب وصفق الباب» بمعنى: أغلقه ورده.
(٢) الركى: البئر.
(٣) «صفة الصفوة» (٤/٩-١٢).

الفقيه الشافعى محمد بن الحسين الآجرى (رحمه الله)

* دخل محمد بن الحسين الآجرى الفقيه الشافعى مكة المكرمة، فأعجبته الإقامة بها فقال: اللهم ارزقنى بها سنة. فسمع هاتفًا يقول: بل ثلاثين سنة، فعاش بعد ذلك ثلاثين سنة ومات -رحمه الله- بمكة سنة ستين وثلاثمائة[1].

فاضت روحه وهو يلبى

* «قال عبد الله بن الجلاء»:

كنت بذى الحُليفة وأنا أريد الحج، والناس يُحرمون، فرأيت شابًّا قد صُبَّ عليه الماء يريد الإحرام وأنا أنظر إليه، فقال:

يا ربّ! أريد أن أقول لبيك اللهم لبيك، وأخشى أن تجيبنى: لا لبيك ولا سعديك.

وبقى يردد هذا القول مرارًا كثيرة، وأنا أتسمع عليه، فلما أكثر قلت له: ليس لك بُدٌّ من الإحرام.

فقال: يا شيخ! أخشى إن قلت: لبيك اللهم لبيك، أجابنى: «لا لبيك ولا سعديك».

فقلت له: أحسن ظنك وقل معى: لبيك اللهم لبيك.

فقال: لبيك اللهم وطولها، وخرجت نفسه مع قوله اللهم فسقط ميتًا»[2].

(١) «الوافى بالوفيات» (٢/ ٣٧٣).

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٤٠٨).

الشيخ الإمام شيخ الفقهاء وأستاذ الأولياء الشيخ على ابن عطية بن علوان الهيتى الشافعى (رحمه الله)

الشيخ علوان ممن أجمع الناس على جلالته وتقدمه وجمعه بين العلم والعمل، وانتفع به الناس وبتآليفه فى الفقه والأصول.

وقال عنه محدث حلب زين الدين بن الشماع الحلبى: أقمت عند شيخ الوقت سيدى علوان الشافعى، فأكرمنى وأنزلنى فى خلوته، وسمعت منه أشياء، وقد أذكرنى حاله قول على بن الفضيل بن عياض لأبيه: يا أبة! ما أحلى كلام أصحاب محمد ﷺ!، قال: يا بنى! وتدرى لِمَ حَلِى؟ قال: لا، قال: لأنهم أرادوا به الله تعالى، وكذلك أقول فى سيدى علوان.

كانت وفاة الشيخ علوان بحماة سنة ست وثلاثين وتسعمائة.

* **قال ولده سيدى محمد فى «تحفة الحبيب»**: وقد أخبرنى بموته قبل حلول مرضه.

قال: وفى يوم موته طلب أن يتيمم، ثم دخل فى الصلاة فبينما هو عند قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1] إذ خرجت روحه، أو وصلت إلى الغرغرة. مات وقد قارب الثمانين، وصُلِّى عليه غائبة بعد صلاة الجمعة بالجامع الأموى، وعرض خطيبه الجلال البصروى لذكره فى الخُطبة فانتحب الناس بالبكاء عليه[2].

* * *

(١) سورة الفاتحة: الآية: (٥).

(٢) «الكواكب السائرة» (٢/٢٠٦-٢١٣).

عابد يموت عند سماع آية

* عن منصور بن عمار قال: حججت حجة، فنزلت سكة من سكك الكوفة، فخرجت فى ليلة مظلمة، فإذا بصارخ يصرخ فى جوف الليل وهو يقول: إلهى! وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك، وقد عصيتك إذ عصيتك، وما أنا بنكالك جاهل، ولكن خطيئة عرضت لى، أعاننى عليها شقائى، وغرنى سترك المرخى علىَّ، وقد عصيتك بجهدى، وخالفتك بجهلى، ولك الحجة علىَّ، فالآن من عذابك من يستنقذنى؟ وبحبل من أتصل إذا قطعت حبلك منى؟ وا شباباه! وا شباباه!

قال: فلما فرغ من قوله، تلوت آية من كتاب الله ﴿... نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ﴾[١] الآية، فسمعت حركة شديدة، ثم لم أسمع بعدها حسًّا، فمضيت. فلما كان الغد رجعت من مدرجتى[٢]، فإذا بجنازة قد وُضعت، وإذا بعجوز كبيرة، فسألتها عن أمر الميت، ولم تكن عرفتنى، فقالت: هذا رجل لا جزاه الله إلا جزاءه، مرَّ بابنى البارحة وهو قائم يصلى، فتلا آية من كتاب الله، فلما سمعها ابنى تفطرت مرارته، فوقع ميتًا»[٣].

* * *

(١) سورة التحريم: الآية: (٦).
(٢) أى: طريقى.
(٣) التوابين (ص: ٢٩٠).

أبو على الحسن بن نصر السويسى (رحمه الله)

* نقل المالكى فى «الرياض» عن محمد ولد أبى على الحسن بن نصر السويسى أن أباه قال له:

يا بنى! اربط لى حبلاً فى السقف، لعلى أقدر أصلى قائمًا، وكان ذلك فى علته التى مات فيها.

قال: فربطت له الحبل، وحملناه حتى وقف على نفسه وأمسك الحبل فغلب ولم يستطع القيام كما كان، فبكى وقال:

وا غوثاه، يالله حيل بينى وبين طاعة ربى، فقلت له:

يا أبى! صلِّ جالسًا، وأنت تعلم أن الفرض يُصلَّى من جلوس مع الضرورة، فكيف النفل؟

فقال لى: يا بنى! العمر قصير، والعمل قليل، وإنما أردت أن أعمل أكثر مما عملت، فالحمد لله على ما قضى وقدر.

قال ابنه محمد: ولما طالت بأبى العلة قال لوالدتى:

يا عائشة! طالت علتى، وتوليت منى خيرًا، وتعبت معى تعبًا كثيرًا، وأنت فى ذلك مثوبة مأجورة، لا تملى ولا تزهدى فى خدمتى، واصبرى فإنى ما أشك فى أن أجلى قد قَرُب، فيذهب أجرك بقلة الصبر، سمعت هاتفًا يقول لى من هذا الطاق:

يا حسن! غدًا صلاة الظهر يُفرج عنك، فما أشك فى أنى بالغداة أموت.

فكان كذلك -رحمه الله تعالى-[1].

---

(١) «رياض النفوس» (٢/ ٣٩٣).

عبد الله بن دارس (رحمه الله)

* **قال عبد الله بن نصر:** اعتل ابن دارس، وجئنا إليه نعوده، فأصبنا عنده يحيى بن عمر، وحمديس القطان، وجبلة، وأكابر أصحاب سحنون، هؤلاء قعودًا عند رأسه، وهو مُسجًّى إلى القبلة، ودموعه تَنصبُّ، فقال له يحيى بن عمر:

أصلحك الله ما الذى أبكاك؟

فقال: والله ما بكيت خوفًا من الموت؛ لأنه كأس لا بد منه، ولا بد من قدومى على الله عز وجل لأنى أقدم على كريم رحيم، ولا بكيت إلا على تمتعكم بعدى بتلاوة القرآن، وقيام الليل، وصيام النهار، والتهجد، والتبتل، وانقطاع عملى، ثم قال لهم:

إن لى إليكم حاجة.

هذه الجبة الصوف والكساء، ختمت فيهما القرآن ثمانية آلاف ختمة ليلاً ونهارًا، كفنونى فيهما.

وهذه الحُصر كنت أسجد عليها فى سواد الليل، اجعلوها معى فى لحدى، وقليل من الشعير تصدقوا به.

وهذه السطحية (المزادة) حبِّسوها، والله ما خلفت شيئًا يسألنى الله عنه غير هذا.

ثم أسأل الله الاجتماع معكم على الحوض مع النبى ﷺ وأصحابه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، ثم قضى -رحمه الله-(١).

---

(١) «رياض النفوس» للمالكى (١/ ٤٨٠).

السلطان العادل المجاهد محمود بن محمد الكجراتى (رحمه الله)

السلطان محمود كان من خيار السلاطين، وقام بالملك سنة اثنتين وستين وثمانمائة.

فتح قلعة بيت ودوازكـا وفيها صنم من أشهـر أصنام المشركين فى الهند يحجون إليه.

* ومن مآثره الجميلة قيامه بالعدل والإحسان وإنفاذ أمر الشرع فى السياسة ومن مكارمه قـيامه بتـربية العلمـاء والصالحين وقـيامه بتـعميـر البلاد، وتأسيس المساجد والمدارس، وتكثير الزراعة وغـرس الأشجار المثمرة، وبناء الحدائق والبساتين وتحريض الناس على ذلك.

* وفى مرض الموت فتح القـبر وجلس عنده، وقال: «اللهم إن هذا أول منازل الآخرة فسهله واجعله من رياض الجنة، ثم ملأه فضة وتصدق بها»[١].

مات خوفًا من وقوفه بين يدى الله (جل وعلا)

* **قال يزيد الرقاشى:** دخلت على عابد بالبصرة وإذا أهل بيته حوله، فإذا هو مجهود قـد أجهده الاجتهاد. قـال: فبكى أبوه فنظر إليه، ثم قال: أيها الشيخ! ما الذى يبكـيك؟ قال: يا بنى! أبكى فَقْـدك وما أرى من جـهدك. قال: فبـكت أمه. فقال: أيتـها الوالدة الشفيـقة الرفيقـة: ما الذى يبكيك؟ قالت: يا بنى! أبكى فراقك وما أتعجل من الوحشة بعدك.

---

(١) «الإعلام» للندوى (٤/ ٣٠٤-٣١٠).

قال: فبكى أهله وصبيانه، فنظر إليهم، ثم قال: يا معشر اليتامى بعد قليل، ما الذى يبكيكم؟ قالوا: يا أبانا! نبكى فراقك وما نتعجل من اليُتم بعدك. قال: فقال: أقعدونى أقعدونى ألا أرى كلكم يبكى لدنياى، أما فيكم من يبكى لآخرتى؟ أما فيكم من يبكى لما يلقاه فى التراب وجهى؟ أما فيكم من يبكى لمساءلة منكر ونكير إياى؟ أما فيكم من يبكى لوقوفى بين يدى الله ربى؟ قال: ثم صرخ صرخة فمات[1].

الشيخ الصالح على بن إسماعيل العثمانى (رحمه الله)

* «كان الشيخ الصالح على بن إسماعيل العثمانى من ذرية سيدنا عثمان ابن عفان رضى الله عنه.

ولما دخل شهر شعبان من سنة تسع وخمسين وخمسمائة قال لتلاميذه:

إنى لا أصوم مع الناس شهر رمضان المعظم المستقبل، وهو -يومئذٍ- صحيح ليس به ألم، فعجبوا من مقاله، ولم يبق إلا ثلاثة أيام من شعبان، فمات فى آخر يوم من شعبان قبل دخول رمضان عليه.

ولما كان اليوم الذى توفى فيه تطهر وتوضأ وتطيَّب، وقال لخدمته:

لم يبق لكم من خدمتى إلا اليوم، ثم دخل إلى بيته فصلى ركعتين ونام على فراشه، فلما حان وقت صلاة الظهر أتاه خديمه يوقظه للصلاة فوجده ميتًا -رحمه الله ورضى عنه-»[2].

* * *

(١) صفة الصفوة (٤/ ١٨).

(٢) «مشاهد الناس عند الموت» للشيخ عبد الرحمن خليف ص(٥٦).

قتيل القرآن وقتيل المواعظ والأحزان

كنا فى مجلس صالح المرى وهو يتكلم، فقال لفتى بين يديه: اقرأ يا فتى. فقرأ الفتى قول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (١).

فقطع صالح عليه القراءة وقال:

كيف يكون لظالم حميم أو شفيع، والمطالب له رب العالمين؟ إنك والله لو رأيت الظالمين وأهل المعاصى يُساقون فى السلاسل والأنكال إلى الجحيم حفاة عراة، مسودة وجوههم، مزرقة عيونهم، ذائبة أجسادهم، ينادون يا ويلنا يا ثبورنا ما نزل بنا؟ ماذا حلَّ بنا؟ أين يُذهب بنا؟ ماذا يراد منا؟ والملائكة تسوقهم بمقامع النيران، فمرة يُجرون على وجوههم ويُسحبون عليها منكبين، ومرة يقادون إليها مقرنين، من بين باكٍ دمًا بعد انقطاع الدموع، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت.

إنك والله لو رأيتهم على ذلك لرأيت منظرًا لا يقوم له بصرك، ولا يثبت له قلبك، ولا تستقر لفظاعة هوله على قرار قدمك.

ثم نَحَبَ وصاح: يا سوء منقلباه وبكى، وبكى الناس.

فقام فتى من الأزد فقال:

أكل هذا فى القيامة يا أبا بشر؟

قال: نعم والله يا ابن أخى، وما هو أكثر، لقد بلغنى أنهم يصرخون فى النار حتى تنقطع أصواتهم، فما يبقى منها إلا كهيئة الأنين من المدنف، فصاح الفتى:

(١) سورة غافر: الآية: (١٨).

إنا لله، وا غفلتاه عن نفسى أيام الحياة، وا أسفاه على تفريطى فى طاعتك، يا سيداه، وا أسفاه على تضييعى عمرى فى دار الدنيا.

ثم بكى، واستقبل القبلة وقال:

اللهم إنى أستقبلك فى يومى هذا بتوبة لا يخالطها رياء لغيرك، اللهم فاقبلنى على ما كان فىَّ، واعف عما تقدم من فعلى، وأَقِل عثرتى، وارحمنى ومن حضرنى، وتفضل علينا بجودك وكرمك، يا أرحم الراحمين، لك ألقيت معاقد الآثام من عنقى، وإليك أنبت بجميع جوارحى، صادقًا لذلك قلبى، فالويل لى إن لم تقبلنى.

ثم غُلب فسقط مغشيًّا عليه، فحُمل بين القوم صريعًا فمكث صالح وإخوته يعودونه أيامًا، ثم مات والحمد لله فحضره خلق كثير يبكون عليه ويدعون له.

فكان صالح كثيراً ما يذكره فى مجلسه فيقول: وبأبى قتيل القرآن وبأبى قتيل المواعظ والأحزان[1].

السلطان الفاضل العادل مظفر الحليم الكجراتى (رحمه الله)

السلطان المحدث الفقيه مظفر بن محمود بن محمد الكجراتى صاحب الرياستين قام بالملك سنة ٩١٧هـ.

قال الشيخ أبو الحسن الندوى فى كتابه «المسلمون فى الهند»:

«ومنهم السلطان الفاضل العادل، المحدث الفقيه مظفر حليم الكجراتى، الذى روى عنه التاريخ من نوادر الإخلاص والإيمان، والاحتساب والتقوى، والعمل بالعزيمة، والعدل والإيثار، والحمية فى الدين، والتبحر فى العلم، ما

---

(١) «مشاهد الناس عند الموت» ص(٩٩).

يندر وجوده فى سير كبار الزهاد والربانيين وكبار المخلصين فضلاً عن الملوك والسلاطين.

* كان يقتفى آثار السنة السنية فى كل قول وفعل، ويعمل بنصوص الأحاديث النبوية، وكثيراً ما يذكر الموت ويبكى.

* وفى آخر أيامه وكان يوم الجمعة قام إلى المحل واضطجع إلى أن زالت الشمس، فاستدعى بالماء وتوضأ وصلى ركعتى الوضوء وقام من مصلاه إلى بيت الحرم، واجتمعت النسوة عليه آيسات باكيات يندبن أنفسهن حزنًا على فراق لا اجتماع بعده، فأمرهن بالصبر المؤذن بالأجر، وفرق عليهن مالاً، ثم ودعهن واستودعهن الله سبحانه، وخرج وجلس ساعة، ثم استدنى منه راجه حسين المخاطب بأشجع الملك وقال له: قد رفع الله قدرك بالعلم، أريدك تحضر وفاتى وتقرأ علىَّ سورة ﴿يسٓ﴾ وتغسلنى بيدك وتسامحنى، ثم سمع أذانًا فقال: أهو الوقت؟ فأجاب أسد الملك: هذا أذان الاستدعاء لاستعداد صلاة الجمعة ويكون فى العادة قبل الوقت، فقال: أما صلاة الظهر فأصليها عندكم، وأما صلاة العصر فعند ربى فى الجنة إن شاء الله تعالى، ثم أذن للحاضرين فى صلاة الجمعة واستدعى مصلاه وصلى، ودعا الله سبحانه بوجه مُقبلٍ عليه وقلب منيب إليه، دعاء من هو مفارق للقصر مشرف على القبر، ثم كان آخر دعائه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾(١) وقام من مُصلاه وهو يقول: استودعك الله واضطجع على سريره وهو مجتمع الحواس ووجهه يلتفت إلى القبلة، وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفاضت نفسه والخطيب على المنبر يدعو له، وفى ذلك عبرة لمن ألقى السمع وهو شهيد» (٢).

(١) سورة يوسف: الآية: (١٠١).

(٢) «الإعلام» (٤/٣١٦-٣٢٥).

* قال الشيخ أبو الحسن الندوى: «قال السلطان حليم -فى مرض وفاته- تحديثًا بنعمة الله-: ما من حديث رويته عن أستاذى المسند العالى «مجد الدين» بروايته عن مشايخه، إلا وأحفظه، وأُسنده، وأعرف لراويه نسبته، وثقته، وأوائل حاله إلى وفاته. وما من آية، إلا وقد مَنَّ الله علىَّ بحفظها، وفهم تأويلها، وأسباب نزولها، وعلم قراءتها. وأما الفقه، فإنى أستحضر منه ما أرجو به مفهوم «**من يُرد الله به خيرًا؛ يفقهه فى الدين**»[1]. ولى مدة أشهر أصرف وقتى باستعمال ما عليه الصوفية[2] وأشتغل بما سنَّه المشايخ لتزكية الأنفاس عملاً بما قيل: «**من تشبه بقوم فهو منهم**». وها أنا أطمع فى شمول بركاتهم متعللاً بعسى ولعل وكنت شرعت بقراءة «معالم التنزيل»، وقد قاربت إتمامه، إلا أنى أرجو أن أختمه فى الجنة إن شاء الله تعالى.

وفاضت روحه، وهو يدعو بدعاء يوسف - على نبينا وعليه الصلاة والسلام»[3].

فتح الموصلى (رحمه الله)

فتح بن سعيد الموصلى يُكنَّى أبا نصر.

* قال أبو إسماعيل صاحبه وخادمه عنه: كان والله كهيئة الروحانيين معلق القلب بما هناك، ليست له فى الدنيا راحة.

قال: شهدت العيد ذات يوم بالموصل ورجع بعدما تفرق الناس ورجعت معه، فنظر إلى الدخان يفور من نواحى المدينة فبكى، ثم قال: قد قرَّب الناس قربانهم، فليت شعرى ما فعلت فى قربانى عندك أيها المحبوب؟ ثم

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧١) كتاب العلم، ومسلم (١٠٣٧) كتاب الزكاة.

(٢) يعنى: الزهاد والفقراء لا المبتدعة المشعوذين.

(٣) «المسلمون فى الهند» لأبى الحسن الندوى ص(٥١-٥٣).

سقط مغشيًّا عليه. فجئت بماء فمسحت به وجهه، فأفاق، ثم مضى حتى دخل بعض أزقة المدينة فرفع رأسه إلى السماء، ثم قال: قد علمت طول غمى وحزنى وترددادى فى أزقة الدنيا، فحتى متى تَحبِس أيها المحبوب؟ ثم سقط مغشيًّا عليه فجئت بماء فمسحت على وجهه فأفاق، فما عاش بعد ذلك إلا أيامًا حتى مات - رحمه الله-.

* وعن إبراهيم بن موسى قال: رأيت فتحًا الموصلى فى يوم عيد أضحى، وقد شم ريح القتار[1]، فدخل إلى زقاق فسمعته يقول: تقرب المتقربون بقربانهم وأنا أتقرب إليك بطول حزنى يا محبوب، كم تتركنى فى أزقة الدنيا محبوسًا؟ ثم غُشى عليه وحُمل فدفناه بعد ثلاث[2].

معاوية بن قرة (رحمه الله)

* «قال قريش بن أنس: قدم معاوية بن قرة من سفر، فدخل على ابنه إياس بن معاوية فقال:

إن هذا اليوم ما ينبغى أن أكون فيه حيًّا، إنى رأيت فى النوم كأنى وأبى نستبق إلى غاية، فأدركناها معًا، وقد بلغت اليوم سن أبى.

قال: فما أُخرج إلا ميتًا»[3].

* * *

(١) القتار: رائحة الشواء.

(٢) «صفة الصفوة» (٤/١٨٨، ١٨٩).

(٣) الحلية (٢/ ٣٣٠).



الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الهادى العمرى (رحمه الله)

* «كان من خير خلق الله، مُهاب الشكل، عليه نور الولاية والصلاح، وله وقائع وكرامات كثيرة جداً، وكان يُستسقى به الغيث.

* وكان تمرَّض مدة طويلة، وأخبرنى بعض الإخـوان أنه قبل أن يموت بيومين أُسكت فلم يتكلم بشىء إلا صـبيحة وفاته فسمعه ابنه الـشيخ محمد يقول: ديننا حق ودينكم شك، قال: فـقال له: يا سيـدى! ألست عن ربك براضٍ؟ فقال: بلى، وكان هذا آخر كلام قاله»(١).

من عبادة الأصنام إلى عبادة الرحمن (جل وعلا)

* **قال عبد الواحد بن زيد:** ركبنا فى مركب فطرحتنا الريح إلى جزيرة، فإذا فيها رجل يعبد صنمًا. فقلنا له: من تعبد؟ فأومأ إلى الصنم، فقلنا: إن معنا فى المركـب من يسوى مثل هذا. ليس هذا بإله يُـعبد؟ قـال: فأنتم من تعبدون؟ قلنا: الله عز وجل. قال: وما الله؟ قلنا: الذى فى السماء عرشه، وفى الأرض سلطانه، وفى الأحياء والأمـوات قضاؤه. فقال: كـيف علمتم به؟ قلنا: وجَّه هذا الملك إلينا رسولاً كـريمًا فأخبرنا بذلك. قـال: فما فعل الرسول؟ قلنا: لما أدى الرسالة قبضه الله قال: فما ترك عندكم علامة؟ قلنا: بلى ترك عندنا كتاب الملك. قال: أرونى كتاب الملك، فينبغى أن تكون كتب الملوك حسانًا. فأتيناه بالمصحف، فقال: ما أعرف هذا فقرأنا عليه سورة من

(١) «خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر» لفضل الله المحبى (٣/ ٣٩٣، ٣٩٤).

القرآن فلم نزل نقرأ، ويبكى حتى ختمنا السورة. فقال: ينبغى لصاحب هذا الكلام أن لا يُعصى، ثم أسلم وحملناه معنا وعلَّمناه شرائع الإسلام وسورًا من القرآن، فلما جَنَّ علينا الليل وصلينا العشاء أخذنا مضاجعنا، فقال لنا: يا قوم! هذا الإله الذى دللتمونى عليه إذا جن عليه الليل ينام؟ قلنا: لا يا عبد الله، هو عظيم قيوم لا ينام. قال: بئس العبيد أنتم، تنامون ومولاكم لا ينام، فأعجبنا كلامه، فلما قدمنا عبادان قلت لأصحابى: هذا قريب عهد بالإسلام فجمعنا له دراهم وأعطيناه، فقال: ما هذه؟ قلنا: تنفقها. قال: لا إله إلا الله دللتمونى على طريق ما سلكتموها، أنا كنت فى جزائر البحر أعبد صنمًا من دونه ولم يضيعنى، فهل يضيعنى وأنا أعرفه؟! فلما كان بعد أيام قيل لى: إنه فى الموت، فأتيته فقلت: هل من حاجة؟ فقال: «قضى حوائجى من جاء بكم إلى جزيرتى».

قال عبد الواحد: فحملتنى عينى فنمت عنده، فرأيت مقابر عبادان روضة وفيها قبة، وفى القبة سرير عليه جارية لم نر أحسن منها، فقالت: سألتك بالله إلا ما عجَّلت به فقد اشتد شوقى إليه، فانتبهت فإذا به قد فارق الدنيا فغسلته وكفنته وواريته، فلما جن الليل نمت فرأيته فى القبة مع الجارية وهو يقرأ ﴿ **وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾[١][٢].

* * *

(١) سورة الرعد: الآيتان: (٢٣، ٢٤).

(٢) صفة الصفوة (٤/٣٦٩، ٣٧٠).

الشيخ سنان زاده القسطنطينى (رحمه الله)

* كان المولى أبو السعود العمادى صاحب التفسير قد وقع خلاف بينه وبين الشيخ حسن بن أحمد الرومى الخلوتى المشهور بسنان زاده القسطنطينى فحنق المولى أبو السعود، وحلف أنه إن مات الشيخ سنان قبله لا يحضر للصلاة عليه، فقال له:

خفِّض عليك لا يصلى علىَّ إمامًا إلا أنت، وليس لك محيد عن ذلك.

فاتفق أن يوم موت الشيخ سنان توفيت ابنة السلطان سليمان، وأُحضرت الجنازة فى الجامع، ودُعى أبو السعود للصلاة عليهما، وكان لم يبلغه نبأ وفاة الشيخ، فقدم للصلاة على الجنازتين.

ولما أتم الصلاة سأل، فقيل له: هذا الشيخ سنان... فكفَّر عن يمينه، وكان بعد ذلك إذا طرأ ذكره يعظمه ويذكر أحواله[1].

شيخ الإسلام نجم الدين الغزى (رحمه الله)

الشيخ محمد بن محمد محدث الشام ومسندها.

جلس تحت قبة النسر بالجامع الأُموى سبعة وعشرين عامًا لإقراء الناس الحديث.

* وقع له قبل موته بيومين أنه طلع إلى بساتينه أوقاف جده واستبرأ الذمة من الفلاحين وطلب منهم المسامحة، وفى اليوم الثانى دار على أهله ابنته وابنتها وغيرهم وزارهم، وأتى إلى منزله وصلى المغرب، ثم جلس لقراءة الأوراد وأخذ يسأل عن أذان العشاء، وأخذ فى ذكر لا إله إلا الله

(١) «خلاصة الأثر» (٢/ ٢٠).

وهو مُستقبل القبلة، ثم سُمع منه، وهو يقول: بالذى أرسلك ارفق بى فدخلوا عليه فرأوه قد قضى نحبه ولقى ربه -رحمه الله تعالى- (١).

يُحشر من حواصل الطير

* قال أبو قدامة الشامى: كنت أميرًا على الجيش فى بعض الغزوات، فدخلت بعض البلدان، فدعوت الناس إلى الغزو ورغَّبتهم فى الثواب، وذكرت فضل الشهادة وما لأهلها، ثم تفرق الناس وركبت فرسى وسرت إلى منزلى، فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس تنادى: يا أبا قدامة. فقلت: هذه مكيدة من الشيطان فمضيت ولم أُجب، فقالت: ما هكذا كان الصالحون. فوقفت، فجاءت ودفعت إلىَّ رقعة وخرقة مشدودة، وانصرفت باكية. فنظرت إلى الرقعة فإذا فيها مكتوب: إنك دعوتنا إلى الجهاد ورغبتنا فى الثواب، ولا قدرة لى على ذلك، فقطعت أحسن ما فىَّ، وهما ضفيرتاى وأنفذتهما إليك لتجعلهما قيد فرسك (٢)، لعل الله يرى شعرى قيد فرسك فى سبيله فيغفر لى، فلما كانت صبيحة القتال فإذا بغلام بين يدى الصفوف يقاتل فتقدمت إليه وقلت: يا فتى! أنت غلام غِرّ راجل ولا آمن أن تجول الخيل فتطأك بأرجلها فارجع عن موضعك هذا، فقال: أتأمرنى بالرجوع؟ وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٣).

فحملته على هجين كان معى فقال: يا أبا قدامة! أقرضنى ثلاثة أسهم.

---

(١) «خلاصة الأثر» (٤/ ١٨٩، ٢٠٠).

(٢) قال ابن الجوزى: هذه المرأة حسن قصدها وغلطت فى فعلها؛ لأنها جهلت أن ما فعلت منهى عنه، فلينظر إلى قصدها.

(٣) سورة الأنفال: الآيتان: (١٥ ، ١٦).

فقلت: أهذا وقت قـرض؟ فمازال يُلح علىَّ حـتى قلت: بشرط إن مَنَّ الله عليك بالشهادة أكون فى شفاعتك. قـال: نعم. فأعطيته ثلاثة أسهم فوضع سهمًا فى قوسه، وقال: السلام عليك يا أبا قـدامة. ورمى به فقتل روميًّا. ثم رمى بالآخر، وقال: السـلام عليك يا أبا قدامة فـقتل روميًّـا، ثم رمى بالآخر، وقال: السلام عليك سلام مودع.

فجاءه سـهم فوقع من بين عينيه فـوضع رأسه على قربوس[1] سرجه. فتقـدمت إليه، وقلت: لا تنسهـا. فقال: نعم، ولكن لى إليك حاجة: إذا دخلت المدينة فأت والدتى وسلم خَرجى إليها وأخبرها فهى التى أعطتك شعرها لتـقيد به فرسك، وسلم عليها فإنهـا فى العام الأول أصيبت بوالدى، وفى هذا العام بى... ثم مات.

فحفـرت له ودفنته: فلما هممنا بالانصـراف عن قبره قذفته الأرض فـألقته على ظهرها. فقال أصحابى: إنه غلام غـر ولعله خرج بغير إذن أمه. فقلت: إن الأرض لتقبل من هو شر من هذا. فقمت وصليت ركعتين ودعوت الله عز وجل فسـمعت صوتًـا يقول: يا أبا قدامـة! اترك ولى الله، فمـا برحت حتى نزلت عليـه طيور بيض فأكلتـه، فلما أتيت المدينة ذهبت إلى دار والـدته فلما قرعت البـاب خرجت أختـه إلىَّ، فلما رأتـنى عادت، وقالت: يـا أماه! هذا أبوقدامة ليس معه أخى، فقد أُصبنا فى العام الأول بأبى وفى هذا العام بأخى.

فخرجت أمه إلىَّ فقالت: أمعزيًا أم مهنئًا؟ فقلت: ما معنى هذا؟ فقالت: إن كان مات فعزِّنى، وإن كان استشهد فهنئنى.

فقلت: لا بل مات شهيدًا. فقـالت: له علامة فهل رأيتها؟ قلت: نعم لم تقبله الأرض ونزلت الطيور فأكلت لحمه وتركت عظامه فدفنتها، فقالت: الحمـد لله. فسلمت إليهـا الخرج ففـتحته فـأخرجت منه مسـحًا وغـلاً من

---

(١) القربوس: حنو الفرس.

حديد، وقالت: إنه كان إذا جنه الليل لبس هذا المسح وغلَّ نـفسه بهذا الغل وناجى مولاه، وقـال فى مناجاته: احـشرنـى من حواصل الطيـور. فقـد استجاب الله دعاءه(١).

القاضى أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخى (رحمه الله)

* لما تقدمت السنُّ بأبى جعفر صُـرف عن القضاء ثم أريد للعمل فأبى، وأحب أن يتأهب للموت فقال:

أحب أن يكون بين الصـرف عن القضـاء والقبـر فرجـة، ولا أنزل عن القلنسوة إلى الحفرة وقال:

تركت الـقـضـاء لأهل الـقـضـا

ء، وأقـبلت أسـمـو إلى الآخـرة

فـإن يك فـخـرًا جلـيل الثـنا

ء، فـقـد نـلت منه يـدًا فـاخـرة

وإن كـان وزرًا فـأبـعـد به

فـلا خـيـر فى إمـرة وازره(٢)

* * *

(١) «صفة الصفوة» (٤/١٩٨-٢٠١).

(٢) «الوافى بالوفيات» (٦/٢٣٦).

الأمير منجك بن محمد بن منجك اليوسفى (رحمه الله)

قال -رحمـه الله- عند حالة نزعه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، يا حى يا قيوم برحمـتك أستغيث، والصلاة والسلام على جـميع الأنبيـاء والمرسلين وعلى خـاتم الرسل الكرام الذى هدانا ودلنا على سبـيل الله، أشهـد الله علىَّ وملائكـته بأنى أشهـد أن لا إله إلا الله، آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليـوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم(١).

أبو محمد عبد الله التاهرتى (رحمه الله)

ذكر أبو إسحاق السبائى أن أبا محمد عبد الله التَّاهرتى اعتل علة شديدة حتى يئسوا منه، فقال للذى يخدمه:

«إنى لست أموت من هذه العلة، وأنا أفيق منها إن شاء الله تعالى، فإذا كان المرضة الثانية بعدها توقعوا موتى.

قال أبو إسحـاق السبائى: ما أراه إلا دعا الله عز وجل فـأُخبر بذلك فى منامه. . . . وقال أبو مالك سعد بن مالك الدباغ:

شهدته وقـد احتُضر وحوله جـماعة، فتذاكروا الموت وسكراته، وشدته وغمراته، ثم قال: ادخل يا ملك الموت، وأقبل يبـتسم وينظر عن يـمينه، وشممنا رائحة طيبة»(٢).

---

(١) «خلاصة الأثر» (٤/ ٤٠٩-٤٢٣).

(٢) «رياض النفوس» (٢/ ٨٢).

الشيخ محمد بن عمر المعلم (رحمه الله)

كان السيد محمد بن عمر الملقب بالمعلم قد جمع ليلة وفاته جميع الأصحاب، وأوصى بما وردت به السنة والكتاب، وجعلهم عن يمينه وشماله، وأعلمهم بساعة انتقاله، وأمرهم بقراءة القرآن بإخلاص، وكرر هو سورة الإخلاص، ولم يزل يكررها إلى أن فاضت روحه عند آخرها -رحمه الله- وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وثمانمائة [١].

أبو عقال بن غليون (رحمه الله)

قال المالكى فى «رياض النفوس»:

كان أبو عقال بن غليون قد جرد أذياله فى الصبا، وأطال من عنانه فى الهوى، منهمكًا فى البطالة، صاحب لهو وصبوة، مع مروءة وفتوة، إلى أن تناهت حدود القضاء فشمر وارعوى، وآثر ما يبقى على ما يفنى، فبكى وناح على ما سلف من أيامه، وعلى ما قارف من آثامه، صائمًا نهاره قائمًا ليله، حتى كان يُضرب به المثل فى العبادة. . .

ثم رحل من القيروان إلى مكة.

وقيل: إن أخت عقال كتبت إليه من القيروان كتبًا كثيرة ترغب إليه فى الرجوع إلى المغرب لتجتمع به وتُسر برؤيته قبل أن يفرق الموت بينهما، فكل كتاب وصل إليه منها ألقاه من يديه ولم يقرأه.

فلما طال ذلك عليها أوصت إليه بغير كتاب وقالت: بحق الثدى الذى

---

(١) جامع الكرامات (١/ ٢٦٠).

رضعته معك إلا أريتنى وجهك قبل الموت وفراق الدنيا. ما لك فى حين صباك وجناياتك، وكثرة ما يطرأ علينا بسببك حين كنت عندنا، وحين صرنا نفتخر بك ونتبرك برؤيتك فارقتنا؟

فقال لرسولها: قل لها: ما كنت لأدع بلدًا عرفت الله عز وجل فيه، وأمضى إلى بلد عصيت الله فيه، أخشى أن تقتضينى العوائد.

ثم قدمت عليه أخته بعد ذلك، وأقامت معه بمكة حتى ماتت.

كانت وفاة أبى عقال -رحمه الله- فى شهر رمضان، وذلك أنه لما صلى ترويحة أو اثنتين فسجد الناس، وسجد، ثم قام الناس وبقى أبو عقال ساجدًا بحاله، فظن من وراءه أنه نام فى سجوده. فلما انقضت الترويحة التى كانوا فيها ذهبوا يحركونه فإذا هو قد مات.

فصعد رجل على الحجر فقال:

أيها الناس: إن الله تبارك وتعالى، أراد أن ينشر لأبى عقال فى أرضه اليوم علمًا(١).

القاضى الأندلسى أبو الربيع سليمان الحميرى (رحمه الله)

كان القاضى أبو الربيع سليمان الحميرى خطيبًا مفوهًا، وكان هو المتكلم عن الملوك فى مجالسهم، والمبين عنهم لما يريدونه على المنبر فى المحافل، ولى الخطبة بالمسجد الجامع من بلنسية.

من مؤلفاته كتاب (الاكتفاء بما تضمنه من مغازى الرسول ﷺ والثلاثة الخلفاء) فى أربعة مجلدات.

---

(١) رياض النفوس (١/ ٤٢٧).

خرج مجاهدًا فى واقعة (أنيشة) على ثلاثة فراسخ منها.

ولما انهزم بعض من كانوا معه جعل يناديهم والراية بيده قائلاً:

أعن الجنة تفرون؟ وثبت -رحمه الله- إلى أن توفى مقبلاً غير مدبر، وذلك ضحى يوم الخميس الموفى عشرين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وستمائة وهو ابن سبعين سنة إلا شهرًا.

ورثاه أبو عبد الله بن الأبَّار فى قصيدة تزيد على مائة بيت ذكر منها أبوالحسن النباهى أربعة وستين بيتًا منها:

سقى اللهُ أشلاء بسفح (أنيشة)
سوافح يُزجِها ثقال الغمائمِ
وصلى عليها أنفُسًا طاب ذكرُها
بطيب أنفاس الرياح النواسمِ
لقد صبرُوا فيها كرامًا وصابروا
فلا غرو إن فازوا بصفو المكارمِ
وما بذلوا إلا نفوسًا نفيسةً
تَحِنّ إلى الأخرى حنين الرَّوائمِ

-رحمهم الله ورضى عنهم-(١).

أبو العباس أحمد بن سريج (رحمه الله)

كان أبو العباس أحمد بن سريج الفقيه الشافعى رأى فى مرضه الذى مات فيه كأن القيامة قد قامت. وإذا الجبار سبحانه يقول: أين العلماء؟ فجاءوا، فقال: ماذا عملتم فيما علمتم؟ فقالوا: يا ربنا قصرنا وأسأنا، فأعاد السؤال، كأنه لم يرض به، وأراد جوابًا آخر.

(١) المرقبة العليا ص (٩١).

فقلت: أما أنا فليس فى صحيفتى الشرك، وقد وعدت أن تغفر ما دونه.

فقال: اذهبوا فقد غفرت لكم.

ثم مات ابن سريج -رحمه الله- بعد ثلاثة أيام[١].

أبو عبد الله غَزية (رحمه الله)

قال الشيخ محمد الكنانى: كان أبو عبد الله غَزَّية لا يفتر لسانه عن ذكر الله، وكان يؤذِّن احتسابًا، وله صوت جهورى حسن، قَلَّ من يؤذن مثله.

قال الكنانى: وأخبرنى الشيخ أبو الفلاح صالح الجودى قاضى القيروان أنه عاده حين حضرته الوفاة، فسأل عن العصر، فقيل له: المؤذن أذَّن الآن، فقام وصلى الركعة الأولى تامة، وفى آخر الثانية سقط على الأرض ميتًا -رحمه الله-[٢].

أبو عبد الله محمد الدُّكالى (رحمه الله)

روى أبو عبد الله الأنصارى المعروف بالرصَّاع عن أبى الحسن الحياتى أنه قال: دخلت مصر فوجدت الشيخ سيدى أبا عبد الله محمد الدكالى مريضًا، فوقفت على موضعه، فاستأذنت فخرجت زوجته، ودخلتُ عليه فسألته عن حاله.

فقال لى: يا فقيه حالى حال من اشتاق إلى لقاء الله فى هذه الحالة.

قال أبو الحسن: ثم خرجت، فأنا بالباب وإذا بالزوجة أدركتنى وقالت: يا شيخ سيدى الشيخ -رحمه الله- قضى نحبه[٣].

---

(١) وفيات الأعيان (١/ ٦٧).

(٢) تكميل معالم الإيمان ص(٢٣٢).

(٣) فهرست أبى عبد الله الرصاع ص(٧٣).

ابن السماك (رحمه الله)

قال أبو جعفر الربعي: لما حضرت الوفاة محمد بن صبيح بن السماك قال: اللهم إني وإن كنت أعصيك، لقد أحببت فيك من يطيعك.

ومن كلامه ما رواه أبو الحسين علي بن الحسين الفقيه، وهو أنه قال: إن استطعت أن تكون كرجل ذاق الموت وعاش ما بعده فسأل الرجعة فأُسعف بطلبه، وأُعطي حاجته، فهو متأهب مبادر فافعل، فإن المغبون من لم يقدم من ماله شيئًا، ومن نفسه لنفسه.

توفي -رحمه الله- بالكوفة سنة ثلاث وثمانين ومائة[1].

الشيخ صدقة الضرير (رحمه الله)

كان الشيخ صدقة الضرير المتعبد إذا حبس الله عن الناس الغيث أتوا إلى صدقة يسألونه الدعاء، فأتوا إليه يومًا وقد أصاب البلد قحط شديد فسألوه الدعاء، فرفع يديه إلى السماء، ودعا بدعاء عظيم ثم قال:

يا رب.... الساعة، الساعة.

فما خرج الناس عنه حتى أغاثهم الله عز وجل بالمطر، وكانت آخر كلمة سمعت منه وهو يجود بنفسه:

ارفُق بحبيبك يا حبيبي.

ثم فاضت نفسه -رحمه الله-[2].

* * *

(١) صفة الصفوة (٣/١٧٦).

(٢) رياض النفوس (٢/١٢٩).

مُطرف بن عبد الله بن الشخير (رحمه الله)

روى ابن سعـد عن ثابت البنانى أنه ورجلاً آخـر دخلا على مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير يعودانه، فوجداه مُغمًى عليه، قال: فسطعت منه ثلاثة أنوار: نور من رأسه، ونور من وسطه، ونور من رجليه، فهالنا ذلك، فلما أفاق قلنا له: لقد رأينا شـيئًا هالنا، قال: وما هو؟ فـأخبرناه، قال: ورأيتم ذلك؟ قالا: نعم، قال: تلك ألف لام ميم السجدة وهى تسع وعشرون آية، سطع أولهـا من رأسى، وأوسطهـا من وسطى، وآخـرها من رجلى، وقد صعدت تشفع لى، وهذه تبارك تحرسنى، قال ثابت: فمات -رحمه الله-.

(يعنى: أن السورتين كان يقرؤهما كل ليلة)(١).

أبو القاسم بن عبد الصمد الدينورى (رحمه الله)

ذكر تاج الدين عبد الوهاب السبكى أن أبا القاسم عـبد الصمد بن عمر الدينورى تفـقَّه علـى أبى سعـيد الإصطخـرى، وكان يُضـرب به المثل فى مجاهدة النفس، واستعمال الصدق والتقشف، والأمر بالمعروف.

وكان يدق السِّعد للعطارين بالأجرة، ويقتات من ذلك (والسِّعد نوع من الطيب).

ولما حـضرته الوفـاة جعل يقـول: سيـدى لهذه السـاعة خبـأتك (يعنى: أعددت لهذه الساعة عفوك ومغفرتك).

توفى -رحمـه الله- ببغداد يوم الثـلاثاء لسبعٍ بقين من ذى الحـجة سنة سبع وتسعين وثلاثمائة(٢).

---

(١) شرح الصدور ص(٣).

(٢) طبقات الشافعية (٣/ ١٢٩).

القاضى إسماعيل بن حماد الأزدى (رحمه الله)

قال الكاتب: ابن أزهر:

ارتفع المطر، فخرج القاضى إسماعيل بن حماد الأزدى قاضى بغداد إلى المصلى، فصلى ركعتين بسبِّح اسم ربك، وهل أتاك حديث الغاشية، ثم صعد المنبر، وخطب خطبتين، وحوَّل رداءه، وحدَّث بحديث طويل خشع له الناس، وبكى وانصرف خاشعًا.

فقُبض ليلة استسقائه وقت صلاة العشاء، لثمانٍ بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة عن اثنتين وثمانين سنة[١].

الشيخ أحمد أبو محمد الجوينى والد إمام الحرمين (رحمه الله)

* نقل ابن خلَّكان عن أبى صالح المؤذن أن أبا محمد الجوينى مرض سبعة عشر يومًا، وأوصانى أن أتولى غُسله وتجهيزه.

فلما توفى غسلته، فلما لفـفته فى الكفن رأيت يده اليمنى إلى الإبط زهراء منيرة من غير سوء، وهى تتلألأ، تلألؤ القمر، فتحيرت وقلت فى نفسى: هذه بركات فتاواه.

توفى أبو محمد الجوينى بنيسابور فى ذى القعدة سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة -رحمه الله-[٢].

* * *

(١) المرقبة العليا لأبى الحسن النباهى ص(٣٥) -طبع دار الكتاب المصرى.

(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٤٧).

أبو الفضل يوسف بن مسرور مولى نجم الصيرفى (رحمه الله)

قال يونس: ما رأيت أحدًا سُرَّ بالموت من أبى الفضل يوسف بن مسرور مولى نجم الصيرفى. . . كان يقول:

والله لو أعلم أن أحدًا تُجاب دعوته لسألته أن يسأل الله تعالى لى الموت.

فقلت له: أصلحك الله أَوَ تحب أن تموت؟

فقال: وكيف لا أحب الخروج من دار فيها الفتن وإبليس وكذا وكذا إلى دار أرجو فيها الاجتماع مع محمد ﷺ؟

* وتحدث أبو على الحسن بن فتحون فقال:

كنت يومًا جالسًا عند أبى محمد البرقى حتى دخل عليه أبو الفضل فقال له:

إن شئت تدعو ونؤمِّن، أو ندعو وتؤمِّن.

فقال أبو الفضل: أى ذلك شئت.

وأخذ أبو الفضل فى الدعاء وأخذ الآخر يؤمِّن على دعائه يسألان الله تعالى الموت، فما أتى بعد ذلك شهر حتى مات أبو الفضل، ثم شهر آخر بعده حتى مات محمد البرقى -رحمهما الله تعالى-(١).

* * *

(١) رياض النفوس (٢/ ٢٣٦).

محمد النيسابورى (رحمه الله)

نقل تاج الدين السبكى عن أبى عبد الله الحاكم صاحب «المستدرك» أن محمد النيسابورى وُلدت له بنت وهو ابن تسعين سنة، وتوفى وزوجته حبلى.

قال: بلغنى أن زوجته قالت له عند وفاته: قد قربت ولادتى.

فقال: سلميه إلى الله، فقد جاءوا ببراءتى من السماء، وتشهَّد ومات فى الوقت.

توفى -رحمه الله- فى الثامن والعشرين من ذى القعدة سنة ست وسبعين وثلاثمائة[١].

أبو إسحاق السبائى القيروانى (رحمه الله)

* **قال أبو الحسن القابسى:** لما احتُضر أبو إسحاق رأى من حضره نوراً دخل من باب البيت، فدار فى البيت حتى أتى وجهه، ثم زال عن وجهه، ومر على صدره، ثم إلى رجليه، ثم خرج من البيت.

فقُبض الشيخ -رحمه الله- وكانت وفاته لثمان بقين من رجب سنة ست وخمسين وثلاثمائة ومولده سنة سبعين ومائتين[٢].

* * *

(١) طبقات الشافعية (٣/ ٧٠).

(٢) ترتيب المدارك (٦/ ٧٥).

الشهيد المخلص

كم فى الإسلام من مغاوير وأُسْدٍ لا نعرفهم.. وما ضرهم أن لا نعرفهم.. ولكن الذى أكرمهم بالشهادة يعرفهم.

* عن عبد الله بن قيس، أبى أمية الغفارى قال: كنا فى غزاة لنا.

فحضر العدو فصيح فى الناس، فهم يثوبون إلى مصافِّهم، إذا رجل أمامى، رأس فرسى عند عجز فرسه، وهو يخاطب نفسه يقول: أى نفس، ألم أشهد مشهد كذا وكذا؟! فقلت لى: أهلك وعيالك، فأطعتك ورجعت؟! ألم أشهد مشهد كذا وكذا؟! فقلت: أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت؟! والله لأعرضنك اليوم على الله، أخذك أو تركك. فقلت: لأرمقنه اليوم. فرمقته، فحمل الناس على عدوهم، فكان فى أوائلهم. ثم إن العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان فى حماتهم، ثم إن الناس حملوا فكان فى أوائلهم، ثم حمل العدو فانكشف الناس فكان فى حماتهم. قال: فوالله ما زال ذلك دأبه حتى رأيته صريعًا. فعددت به وبدابته ستين، أو أكثر من ستين طعنة[1].

* * *

(١) صفة الصفوة (٤/ ٤٢١).

أبو إسحاق ابن قرقول (رحمه الله)

وقال الشيخ أبوالعباس الناصري:

كان أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف المعروف بابن قرقول صاحب كتاب «مطالع الأنوار» قد صلى الجمعة بجامع فاس سادس أيام شوال من سنة تسع وستين وخمسمائة.

ولما حان أول وقت صلاة العصر أخذ يتلو سورة الإخلاص، وجعل يكررها بسرعة، ثم تشهَّد ثلاث مرات، وسقط على وجهه ساجدًا فوقع ميتًا - رحمه الله-(١).

أبو بكر بن مسلم الحضرمي (رحمه الله)

لما احتُضر أبو بكر ابتدأ القرآن فانتهى فى سورة طه إلى قول الله تعالى: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾(٢).

ففاضت نفسه -رحمه الله- وذلك سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة(٣).

* * *

(١) الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى (٢/ ١٨٦).

(٢) سورة طه : الآية: (٨٤).

(٣) ترتيب المدارك (٦/ ٢٧١).

حسن أولو بادلى
«أول مسلم وطئ أرض القسطنطينية» (رحمه الله)

فى حصار القسطنطينية، فى محاولة فتحها، تكلم الجنود عن أسوار القسطنطينية التى أُحكم تحصينها، والزيت المغلى الذى يصبونه على المسلمين فيهلكهم، وإذا بصوت شاب فى مقتبل العمر من «أولوباد» يسمى «حسن أولوبادلى» يرتفع ويقول: «وهل جئنا إلى هنا إلا لنهلك فى سبيل الله عز وجل؟! يا إخوتى، كيف نخاف من زيت الكافرين المغلى إذا كنا مجاهدين حقًّا؟! وهل تركنا قريتنا، وأهلنا، وأحبابنا إلا من أجل لقاء ربنا عز وجل شهداء فى سبيله؟!

وأقبل الجند يبايعون حسنًا على أن يكونوا أول من يجيب نداء قائدهم المجاهد فى الغد، وتواعدوا أن يكون هدفهم الثغرة التى أحدثتها مدافع الإسلام قريبًا من باب فى الجهة الشمالية للقسطنطينية. ولما اشتد القتال، واستمر الكرُّ والفرُّ، وقوافل الشهداء تزداد لحظة بعد لحظة، فى تلك الأثناء، كان حسن، وثلاثون من أبناء قريته «أولوباد» يتقدمون بخفة وحذر نحو الثغرة التى حددوها هدفًا لهم فى ليلتهم السابقة، وتمكَّن حسن وعدد من إخوانه المجاهدين من النجاة من السهام المنهمرة من السماء، حتى إذا بلغوا الثغرة اندفعوا إلى داخل المدينة مكبرين مهللين، فتلقفتهم مئات السيوف والرماح وانهمرت على أجسادهم مئات الأسهم، واندلقت فوق رؤوسهم قدور الزيت المغلى، ولكن حسن وإخوانه لم يأبهوا لكل هذا العناء، فقاتلوا قتالاً لا يقدر عليه إلا رجال صنعهم الإسلام، وتمكنوا بعون الله من الوصول إلى أحد أبواب القسطنطينية ففتحوه وبينما كان جند الإسلام يندفعون إلى

داخل القسطنطينية ويتواثبون إلى أعالى سورها يزيلون رايات الكفر من فوقها، ويضعون مكانها الرايات الإسلامية، كان حسن أولوبادلى وإخوانه يُستشهدون واحدًا إثر واحدٍ عن بكرة أبيهم، وصدى تكبيراتهم لا يفتأ يزلزل الأرض من تحت أقدام أعداء الإسلام.

وسجل التاريخ بمداد من نور أن حسن أولوبادلى، كان أول مسلم وطئت قدماه أرض القسطنطينية[١].

الأمير محمد بن أبى القاسم (رحمه الله)

كان الأمير أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الهكَّارى سمحًا، لطيفًا، ديِّنًا، ورعًا، بارًّا بأهله، وبالفقراء والمساكين، كثير الصدقات.

بنى بالقدس مدرسته للشافعية، ووقف عليها الأوقاف، وبنى مسجدًا قريبًا من الخليل عليه السلام عند يونس عليه السلام على قارعة الطريق وكان يتمنى الشهادة دائمًا ويقول:

ما أَحسن وقع سيوف الكفار على أنفى ووجهى.

استشهد على الطور، وأبلى يوم استشهاده بلاءً حسنًا، وكانت له المواقف المشهورة فى قتال الإفرنج...

ولما مات شهيدًا حُمل إلى بيت المقدس فدُفن هناك، وكانت وفاته - رحمه الله- سنة أربع عشرة وستمائة[٢].

* * *

(١) مواقف بطولة من صنع الإسلام لزياد أبو غنيمة ص(١٢-٢٥).

(٢) الوافى بالوفيات (٤/ ٣٥٠).

أبو حفص عمر بن عبد الله المعروف بابن الإمام الصدفى (رحمه الله)

لما احتُضر أبو حفص دعا بشراب فأُتى به.

ثم أومأ بيده إلى السلام.

فقلنا: رأيت الملائكة؟

قال: رأيت . . .

وجعل يومئ بيده حتى فاضت نفسه.

وقال بعضهم: لما حضرت أبا حفص الوفاة قال: بُشِّرت.

قلت: بماذا؟

قال: أما تقرأ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[1][2]..

الشيخ سعيد مُلا الكردى (رحمه الله)

الشيخ المجاهد سعيد مُلا الكردى شيخ أكبر القبائل الكردية الذى تصدى لمؤامرات الردة التى قادها العلمانى أتاتورك.

* حين أعلن أتاتورك إلغاء الخلافة فى ١٩٢٤م ثار ضده الشيخ سعيد ملا سنة ١٩٢٥م، واندفعت معه الجماهير المسلمة تحت راياته الخضراء التى كتب عليها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وكوَّن الشيخ جيشًا من الأكراد، وتمكَّن من السيطرة على مناطق شاسعة، حتى وصل إلى «ديار

(١) سورة التوبة: الآية: (٢١).

(٢) ترتيب المدارك (٦/ ٥١).

بكر- فحاصرها، وكاد يسيطر عليها، لولا أن أتاتورك سارع فقذف بكل ما لديه من قوات زاد تعدادها عن ثمانية فرق عسكرية كاملة التجهيز، استعملت فى تقدمها أبشع أساليب البطش والتنكيل، واضطر الشيخ سعيد ملا -أمام هذه القوة الغاشمة- إلى التراجع إلى الجبال الوعرة؛ ليبدأ من هناك شن حرب عصابات ضد قوات أتاتورك، فأحكم أتاتورك الحصار حول الشيخ، ومنع وصول أية إمدادات إليه.

وفى ميدان ديار بكر الرئيسى، انعقدت محكمة الطغاة، لمحاكمة الشيخ سعيد ملا وإخوانه، فحكمت بإعدامه مع عدد كبير من إخوانه، وأمر أتاتورك بأن تبقى أجسادهم الطاهرة معلقة على أبواب مسجد ديار بكر الكبير.

وكان الشيخ سعيد ملا قد أظهر أثناء المحاكمة رباطة جأش لا يقدر عليها إلا الأبطال، ولقد ظل -رحمه الله- محتفظًا برباطة جأشه حتى آخر لحظة من حياته، وتوجه إلى رئيس المحكمة العسكرية التى حكمت بإعدامه قائلاً: «سوف نصفى حسابنا يوم الحساب الأخير»، ثم توجه إلى قائد الحملة العسكرية التى هزمته قائلاً: يا أمير اللواء، تعالَ ودِّع غريمك، ثم تقدم من منصة الإعدام، وأمسك حبل المشنقة بيديه، وساعد الجلاد فى وضعه حول عنقه، وأجمعت المراجع التركية التى وصفت تنفيذ حكم الإعدام بالشيخ الملا، أن صوته شق عنان السماء مرددًا بشموخ «لا إله إلا الله محمد رسول الله». وتدلى الجسد الطاهر على أبواب مسجد ديار بكر، شاهد صدق على أن جماهير الشعب التركى المسلم قدمت القوافل المتتالية من الشهداء؛ دفاعًا عن دينها وفاءً لعهدها مع الله»[١].

* * *

---

(١) مواقف بطولة من صنع الإسلام ص(٤٤-٤٨).

شيخ الزهاد إبراهيم بن أدهم (رحمه الله)

غزا أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم في البحر مع أصحابه (فأصابه إسهال). فكان يختلف في الخلاء في الليلة التي مات فيها خمسًا وعشرين مرة... كل مرة يجدد الوضوء.

فلما أحس بالموت قال:

أوتروا لي قوسي.

ثم قبض عليها، وتوفي وهي في كفه، فدُفن في جزيرة في البحر في بلاد الروم.

توفي -رحمه الله- سنة إحدى وستين ومائة [١].

عبد الله بن إدريس الأودي (رحمه الله)

قال الإمام أحمد بن حنبل: كان ابن إدريس نسيج وحده.

وقال الحسن ابن الربيع البوراني: أتى كتاب الرشيد إلى إدريس وأنا شاهد، فقُرئ: من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى محمد بن إدريس. قال: فشهق وغُشي عليه، فلما أفاق قال: إنا لله، وصار يعرفني حتى يكتب إليَّ، أي ذنب بلغ بي هذا؟

ولما حضرته الوفاة بكت ابنته، فقال: لا تبكي، فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة.

توفي -رحمه الله- آخر سنة اثنتين وتسعين ومائة [٢].

(١) الوافي بالوفيات (٥/٣١٨).

(١) غاية النهاية (١/٣٢٧).

أبو على الروذبارى (رحمه الله)

قال أبو حامد الغزالي: «يُحكى عن فاطمة -أخت أبى على الروذبارى- قالت: لما قرب أجل أبى على الروذبارى -وكان رأسه فى حجرى، فتح عينيه وقال: هذه أبواب السماء قد فُتحت وهذه الجنان قد زُينت، وهذا قائل يقول: يا أبا على قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها ثم أنشأ يقول:

وحــــقك لا نظـرت إلى ســــواك

بعـــين مـــودة حـــتى أراكــا [1]

النور يخرج من قبره

وحكى الشيخ القحطانى: أنه أنزل رجلاً فى قبره فى ليلة ظلماء شديدة الظلمة، وكان الجو غائمًا، وكان هذا الرجل من الدعاة، وقد مات ليلة الجمعة بعملية جراحية وصلى عليه الشيخ عبد العزيز بن باز (رحمه الله)، فقد كان له محاضرة فى الجامع الكبير الذى أُحضر إليه الميت، وبعد المحاضرة ذهبنا للمقبرة، وطلبنا من أحد الإخوة أن يأتينا بسراج، أو كشاف لكى ننور القبر، ولكنه أبطأ، فأخذت أعسُّ اللحد بيدى فقلت للإخوة أعطونا الميت، فلما سللته من جهة الرجلين ووضعته فى قبره فككت تلك الأربطة وكشفت عن وجه الميت، وإذا بالمصابيح والأنوار خرجت من ذلك القبر، وأنار القبر، ورآه كل من كان معى، وكانت رائحة المسك تخرج من ذلك القبر، ثم ذكر الشيخ بعض من حضروا وشاهدوا ذلك الأمر.

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/٥١٣).

أهلاً بصديقى وحبيبى

قال فى تذكـرة الإخوان: حدثنى صاحب لنا أنه مـات رجل فى قريتهم، وكان مؤذنًا للقرية ولا يأخذ على ذلك أجرًا، وكانت له مزرعة لا يمنع أحدًا من الأكل منها لا من إنسان ولا من حيوان، وكان كثير الصدقة، فمرض قبل موته لمدة أربعة أيام، وعند احتضاره اجتمعنا، وكان لا يكلمنا ويردد: استغفر الله لا إله إلا الله، وفجأة رفع يده فى الهواء كـأنه يصافح أحدًا وهو يقول: أهلاً بصديقى وحبيبى. . . ثم مات (رحمه الله).

كل من عليها فان

يقـول أحد الشبـاب: نحن مـجمـوعة من الشـباب ندرس فى إحـدى الجامعات وكان من بيننا صديق عزيز يقال له محمد.

كان محمـد يُحيى لنا السهرات، ويجيد العـزف على الناى حتى تطرب عظامنا.

وكان المتفق عليه عندنا أن سهرة بدون محمد سهرة ميتة لا أُنس فيها.

ومضت الأيـام على هذا الحال. . وفى يوم من الأيام جـاء محـمد إلى الجامعة وقد تغيرت ملامحه وظهر عليه آثار السكينة والخشوع. . فجئت إليه أحدثه وقلت له: يا مـحمد مـاذا بك؟ كأن الوجه غـير الوجه الذى أعـرفه ويعرفه أصدقاؤك.

فرد علىَّ محمد بلهجة عزيزة وقال:

يا صديقى: لقد طلقت الضياع والخراب وإنى تائب إلى الله تعالى.

فقلت له: على العموم عندنا الليلة سهرة لا تفوت وسيكون عندنا ضيف تحبه إنه المطرب الفلانى.

فرد محمد عليَّ وقال: أرجو أن تعذرنى يا صديقى لقد قررت أن أقاطع هذه الجلسات الضائعة.. هل فهمتنى.. فَجُنَّ جنون صديقه الشاب وبدأ يرعد ويزبد.

فقال له محمد: اسمع يا فلان. كم بقى من عمرك؟ ها أنت تعيش فى قوةٍ بدنيةٍ وعقليةٍ. وتعيش حيوية الشباب فإلى متى ستبقى مذنبًا غارقًا فى المعاصى؟ لِمَ لا تغتنم هذا العمر فى أعمال الخير والطاعات؟

وواصل صديقى محمد الوعظ وتناثرت باقة من النصائح الجميلة من قلبه الصادق.. وألحَّ علىَّ يدعونى إلى التوبة النصوح قائلاً لى: يا فلان إلى متى تُسوِّف؟ لا صلاة لربك ولا عبادة..

أما تدرى أنك قد تموت اليوم أو غدًا.. كم من مغتر بشبابه وملك الموت عند بابه.. كم من مغتر فى أمره منتظرًا فراغ شهره وقد آن انصرام عمره.. كم من غارق فى لهوه وأنسه وما شعر أنه قد دنا غروب شمسه..

يقول الشاب: وتفرقنا على ذلك وكان من الغد دخول شهر رمضان.. وفى اليوم الثانى تحديدًا من أيام رمضان ذهبت إلى الجامعة لحضور محاضرات السبت فوجدت الشباب قد تغيرت وجوههم وقد بدا عليهم الحزن الشديد.

قلت: ما بالكم؟

فقال أحدهم: محمد بالأمس خرج من صلاة الجمعة فصدمته سيارة مسرعة.. لا إله إلا الله توفاه الله تعالى وهو صائم.. الله أكبر ما أجملها من خاتمة.

وتابعٍ قائلاً: لقد صلينا على محمد فى عصر ذلك اليوم وأهلنا عليه التراب.. وكان منظرًا مؤثرًا.

إنما الأعمال بالخواتيم

حدثت هذه القصة فى أسواق العـويس بالرياض.. يقول أحد الصالحين: كنت أمـشى فى سيـارتى بجانب السـوق.. فإذا بشـاب يعاكس فـتاة، يقول فـترددت هل أنصـحـه أم لا؟ ثم عزمـت على أن أنصحـه، فلمـا نزلت من السيارة، هربت الفتاة وخاف الشاب وظن أنى من الهيئة التى تأمر بالمعروف..

ولما وصلت إليه رأيتـه مرتبكًا.. فسلمت علـيه وقلت له: أنا لست من الهيئة ولا من الشرطة، وإنما أخ أحببت لك الخير فأحببت أن أنصحك.. ثم جلسنا وبدأت أذكـره بالله تعالى حـتى ذرفت عيناه ثم تفـرقنا وأخذت رقم هاتفـه وأخذ هو رقم تليـفونى.. وبعـد أسبـوعين كنت أفـتش فى جيـبى فوجدت رقم الشاب فقلت فى نفسى: أتصل به.. وأرى ماذا صنع.. وكان الوقت صباحًا فاتصلت به قلت: السلام عليكم.. فلان هل عرفتنى..؟

فقـال لى: وكـيف لا أعرف الصـوت الذى سمـعت به كلمات الهـداية وأبصرت به النور وطريق الحق.. ثم ضربنا موعدًا للقـاء فى اليوم نفسه بعد العـصر، وقدر الـله تعالى أن يأتينى ضـيوف لم أسـتطع أن أعتـذر منهم، فتأخرت على صاحبى حوالى الساعة ثم ترددت هل أذهب إليه أو لا.

فقلت: أفى بوعدى ولو متأخرًا، وعندما طرقت الباب فتح لى والده.. فقلت له السلام عليكم. فقال: وعليكم السلام..

قلت: فلان موجود.

فأخذ الأب ينظر إلىَّ بدهشة عجيبة.. فقلت: فلان موجود. وهو مازال ينظر إلىَّ باسـتغراب شـديد.. ثم قال لى: يا ولدى إن الذى تسـأل عنه قد مات.. وهذا تراب قبره قد دفناه قبل قليل.

قلت: يا عم لقد كلمنى فى هذا الصباح اليوم..

فقال أبوه: نعم لقد صلى الظهر ثم جلس فى المسجد يقرأ القرآن.. وعاد إلى البيت ثم نام القيلولة فلما أردنا إيقاظه للغداء؛ فإذا روحه قد فاضت إلى الله تعالى.

ويتابع الأب قائلاً: ولقد كان ابنى من الذين يجاهرون بالمعصية.. لكنه قبل أسبوعين تغيرت حاله وأصبح هو الذى يوقظنا لصلاة الفجر بعد أن كان يرفض القيام للصلاة.. بل كان يجاهرنا بالمعصية فى عقر دارنا، ثم منّ الله عليه بالهداية منذ وقت غير بعيد.

ثم قال الرجل: متى عرفت ولدى يا بنى؟

قلت: منذ أسبوعين.

فقال: أنت إذًا الذى نصحته؟

قلت: نعم.

قال: دعنى أُقبِّل رأسًا أنقذ ابنى من النار..

صدق رسول الله ﷺ يوم قال: «إذا أراد الله عز وجل بعبد خيرًا، عسَّله» قيل: وما عسله؟ قال: **«يفتح الله عز وجل له عملاً صالحًا قبل موته، ثم يقبضه عليه»** (١).

* * *

(١) رواه أحمد (١٧٣٣٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١١١٤).

يقرأ القرآن عند موته

كان هناك شخص يسير بسيارته سيرًا عاديًّا، وفجأة تعطلت سيارته فى أحد الأنفاق المؤدية إلى المدينة... ترجَّل هذا الشاب من سيارته لإصلاح العطل فى أحد العجلات وعندما وقف خلف السيارة لكى يُنزل العجلة السليمة، جاءت سيارة مسرعة وارتطمت به من الخلف.. سقط مصابًا إصابات بالغة..

يقولُ أحدُ العاملين فى مراقبة الطرق: حضرت أنا وزميلى وحملناه معنا فى السيارة وقمنا بالاتصال بالمستشفى لاستقباله؛ شاب فى مقتبل العمر.. متدين يبدو ذلك من مظهره.. وعندما حملناه سمعناه يهمهم.. ولعجلتنا لم نميز ما يقوله، ولكن عندما وضعناه فى السيارة وسرنا به.. سمعنا صوتًا مميزًا إنه يقرأ القرآن وبصوت ندى.. سبحان الله لا تقول هذا مصاب.. الدم قد غطى ثيابه.. وتكسرت عظامه.. بل هو على ما يبدو على مشارف الموت..

استمر يقرأ القرآن بصوتٍ ندى جميل.. يرتل القرآن.. لم أسمع فى حياتى مثل تلك القراءة.. أحسست أن رعشةً سرت فى جسدى وبين أضلعى.. وفجأة سكت ذلك الصوت.. التفتُّ إلى الخلف فإذا به رافعًا إصبع السبابة يتشهد ثم انحنى رأسه... قفزت إلى الخلف.. لمست يده.. تحسست قلبه.. أنفاسه.. لا شيء لقد فارق الحياة..

نظرت إليه طويلاً.. سقطت دمعة من عينى.. أخفيتها عن زميلى.. التفتُّ إليه وأخبرته أن الشاب قد مات.. انطلق زميلى فى بكاءٍ أما أنا فقد شهقت شهقةً وأصبحت دموعى لا تتوقف من كثرة البكاء.. أصبح منظرنا

داخل السيارة مؤثرًا جدًا. . وصلنا إلى المستشفى. . أخبرنا كل من قابلنا عن قصة هذا الشاب. . الكثيرون تأثروا من حادثة موته. . وذرفت أعينهم الدموع. . أحدهم بعدما سمع قصة هذا الشاب ذهب إليه وقبَّل جبينه. . الجميع أصروا على عدم الذهاب حتى يعرفوا متى يُصلَّى عليه ليتمكنوا من الصلاة عليه. .

وفعلاً اتصل أحد الموظفين فى المستشفى بمنزل المتوفَّى. . كان المتحدث أخوه. . قال عنه. . إنه يذهب كل إثنين لزيارة جدته الوحيدة فى القرية. . كان يتفقد الأرامل والأيتام والمساكين. . كانت تلك القرية تعرفه فهو يحضر لهم الكتب والأشرطة الدينية. . وكان يذهب وسيارته مملوءةً بالأرز والسكر لتوزيعها على المحتاجين. . وحتى حلوى الأطفال كان لا ينساها ليفرحهم بها. .

وكان يرد على من يثنيه عن السفر ويذكر له طول الطريق.. قائلاً له: إننى أستفيد من طول الطريق بحفظ القرآن ومراجعته. . وسماع الأشرطة والمحاضرات الدينية. . وإننى أحتسب عند الله كل خطوةٍ أخطوها. .

وفى الغد غَصَّ المسجد بالمصلين. . صليت عليه مع جموع المسلمين الكثيرة. . وبعد أن انتهينا من الصلاة حملناه إلى المقبرة. . أدخلناه فى تلك الحفرة الضيقة. .

استقبل أول أيام الآخرة. . وكأننى استقبلت أنا أول أيام الدنيا. .

* * *

الشيخ إبراهيم عزت (رحمه الله)

لله در شيخ العُبَّاد إبراهيم عزت. . الذى يصدق فيه قول رسولنا ﷺ .
الشيخ الذى أبكى الآلاف بصدقه وإخلاصه ووعظه الجميل، وتأثر به الشباب وكان أمة -رحمه الله-.

فى شهر رمضان سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م عقد الشيخ النية على السفر لأداء العمرة والاعتكاف بالمسجد الحرام فى العشر الأواخر من الشهر الكريم.

وقبل أن تصل الباخرة إلى ميناء جدة، وفى إحدى ليالى الوتر من الثلث الأخير، وبعد انقضاء يوم من الصيام، أفطر الشيخ «إبراهيم عزت» وصلى المغرب مع مرافقيه، ثم استأذنهم للراحة، فلم يحن وقت صلاة العشاء إلا وكانت روحه قد صعدت إلى خالقها، وله من العمر ثلاث وأربعون عامًا، وتم دفنه فى مكة المكرمة بعد أن صلى عليه آلاف المسلمين فى الحرم الشريف مكفنًا فى إحرامه، وبهذه الخاتمة الصالحة والموتة الطيبة حقق الله لعبده إحدى أمنياته[1] . إذ كان يكثر من الدعاء بالموت فى بلد حبيبه ﷺ .

وعند ذاك سيدى وعند ذاك.
سينتهى السؤال.
ستهدأ الودائع التى فى داخل الصدور.
سنستقر فى مرافئ الأمان[2] .

* * *

(١) الشيخ إبراهيم عزت للدكتور حسن عبد السلام ص(٣١).
(٢) قصيدة لحظة الوصال للشيخ إبراهيم عزت من كتاب الشيخ إبراهيم عزت للدكتور حسن عبد السلام ص(١٠٩).

الشيخ عبد الحميد كشك
(رحمه الله)

لله در إمام الوعاظ وشيخهم... من كان مدرسة فى الوعظ لا تدانيها مدرسة.. من كان رجل عامة يصل صوته إلى الألوف المؤلفة فى جميع أرجاء البسيطة.. ذلكم الجبل الراسخ..

كان يدعو الله أن يموت فى سجوده، ومات العابد البكّاء فى سجوده ليعلم الناس أن الشيخ صدق الله فصدقه، مات الشيخ كشك فى السجود أقرب ما يكون الإنسان من ربه.. ويا لمسك الختام للعابد الواعظ الإمام!!

الشيخ عامر شيخ القراء
(رحمه الله)

أحسن الناس هِجِّيرى عند الموت، من كان سلوكه حميدًا، ونيته سليمة، ومعتقده محققًا، فإنه يلهج بما كان عليه من الضياء والنور.

من كان على الخير فى حياته لقى الخير عند مماته.

قال رسول الله ﷺ : «من مات على شىء؛ بعثه الله عليه»[1] .

قال المناوى: أى يموت على ما عاش عليه.

يقول الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى فى مقاله «تباريح» بالمجلة العربية: «حدثنى أخى الشيخ محفوظ الشنقيطى، مدير عام العلاقات

(١) **صحيح:** رواه أحمد، والحاكم (٤/٣١٣) عن جابر، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤١٩).

بمجمع الملك فهد للمصحف الشريف، عن شيخ القراء بالمجمع الشيخ عامر السيد عثمان -رحمه الله تعالى- أنه فقد أحباله الصوتية فى السنوات السبع الأخيرة من حياته، وكان يُدرِّس تلاميذه القراءة فلا يفصح لهم إلا بشهيق وإيماء، ثم مرض مرض الوفاة، وكان طريح السرير الأبيض بالمستشفى، ففوجئ أهل المستشفى بالرجل المريض فاقد الأحبال الصوتية يقعد ويدندن بكلام الله، بصوت جهورى جذاب، مدة ثلاثة أيام ختم فيهن القراءة، من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، ثم أسلم الروح إلى بارئها»(١).

الشيخ المجاهد أحمد ياسين (رحمه الله)

هو الشيخ أحمد إسماعيل ياسين، مؤسس حركة «حماس» بفلسطين.
وُلد عام ١٩٣٨م فى قرية الجورة، قضاء المجدل جنوبى قطاع غزة، لجأ مع أسرته إلى قطاع غزة بعد حرب العام ١٩٤٨.

تعرض لحادثٍ فى شبابه أثناء ممارسته للرياضة، نتج عنه شلل جميع أطرافه شللاً تامًّا.

عمل مدرسًا للغة العربية والتربية الإسلامية، ثم عمل خطيبًا ومدرسًا فى مساجد غزة، أصبح فى ظل الاحتلال أشهر خطيب عرفه قطاع غزة لقوة حُجته وجسارته فى الحق. ثم عمل رئيسًا للمجمع الإسلامى فى غزة.

اعتقل من قبل اليهود عدة مرات، وحُكم عليه حكمًا بالسجن مدى الحياة مضاف إليه خمسة عشر عامًا، بعد أن وُجهت للشيخ لائحة اتهام تتضمن (٩ بنود) منها: التحريض على اختطاف وقتل جنود صهاينة وتأسيس حركة «حماس» وجهازيها العسكرى والأمنى.

---

(١) المجلة العربية، العدد ١٧١، ص(٧٠، ٧١).

وهكذا عاش هذا الشيخ قعيد الجسد قوى الهمة حياةً خافلةً بالجهاد والرباط . إلى أن اغتالته يد المكر والغدر بعد اعتكافه ليلاً فى مسجدٍ مجاورٍ لبيته فى غزة صباح يوم الإثنين (٢٢/٣/٢٠٠٤) بعد أدائه لصلاة الفجر وخروجه من المسجد .

كانت وقتها أعين الخونة تلاحقه، ولما توسط الطريق عائدًا إلى منزله وجهت إليه طائرة صهيونية أربعة صواريخ، لتنقله من سجن الدنيا إلى جنات الخلود .

وكان قد وجَّه قبلها بقليلٍ رسالةً إلى زعماء العرب يناشد فيهم الضمير . وعندما سُئل عن أمنيته قال : «أتمنى أن يرضى الله عنى» . . رضى الله عنك أيها الشيخ . . ورحمك الله .

* * *

موت القانتات العابدات الراكعات الساجدات

آسية بنت مزاحم زوج فرعون اختارت القتل على الملك

* قال الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (١).

* قال الحافظ ابن حجر: «من فضل آسية امرأة فرعون: اختارت القتل على الملك، والعذاب فى الدنيا على النعيم الذى كانت فيه» (٢).

* قال ابن كثير: «روى ابن جرير بسنده عن سليمان التيمى: كانت امرأة فرعون تُعذَّب فى الشمس، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها فى الجنة».

* قال ابن جرير: كانت امرأة فرعون تسأل: من غلب؟ فيقال: غلب موسى وهارون. فتقول: آمنت برب موسى وهارون. فأرسل إليها فرعون، فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهى امرأتى، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت بيتها فى الجنة، فمضت على قولها، وانتُزعت روحها» (٣).

* * *

(١)سورة التحريم: الآية (١١).
(٢)فتح البارى (٦/ ٥١٦).
(٣)تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٣، ٣٩٤).

ماشطة ابنة فرعون (رحمها الله)

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «لما كانت الليلة التي أُسري بي فيها، أتت عليَّ رائحة طيبة. فقلت: يا جبريل! ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها. قال: قلت: وما شأنها؟ قال: بينما هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم، إذ سقط المدرى من يدها فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي وربِّ أبيك، قالت: أُخبره بذلك؟ قالت: نعم، فأخبرته، فدعاها، فقال: يا فلانة! وإن لك ربًّا غيري؟ قالت: نعم ربي وربك الله، فأمر ببقرة من نحاس فأُحميت، ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها، قالت له: إن لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا. قال: ذلك لك علينا من الحق.

قال: فأمر بأولادها فأُلقوا بين يديها واحدًا واحدًا، إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مرضع وكأنها تقاعست من أجله. قال: يا أمه! اقتحمي؛ فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فاقتحمت»[1].

* * *

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٠٩)، وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٦٥): رواه أحمد، والبزار، والطبراني في الكبير، والأوسط، وفيه عطاء بن السائب، وهو ثقة ولكنه اختلط والحديث ضعفه العلامة الألباني رحمه الله في الإسراء والمعراج (ص ٨٠).

وقوله: المدرى: أداة لتسريح الشعر.

بقرة من نحاس: إناء كبير من نحاس كانوا يوقدون تحته نارًا حتى يحترق ويحمر ثم يلقوا فيه من أرادوا.

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

إنهــا أول من آمن بالله – من النســاء –. . . وأول من صلى مع رســول الله ﷺ . . . وأول من رزُق منها الأولاد. . . وأول من بــشرها بالجنة من أزواجه. . وأول من أقرأها ربها السـلام. . . وأول صِدِّيقة من المؤمنات. . . وأول زوجات النبى ﷺ وفاة. . . وأول قبــر نزل فيه النبى الكريم ﷺ بمكة. . . آمنت به حــين كفر به الناس وصــدقته حــين كذبه الناس وواســته بمالها حين بخل الناس ورزقه الله منها الولد.

إنهــا العاقلة اللــبيــبة المصــونة الكريمــة التى كانــت تُدعى فى الجاهليــة «الطاهرة» فكيف بها فى ظل الإسلام؟!

إنها سكن النبى ﷺ التى آزرته ووقفت بجـواره ليبلغ دعوة ربه (جل وعلا) وهيــأت للحبــيب ﷺ كل أسباب السـعادة والنعيــم. وساندته فى أحلك أوقات المحنة حــتى استحـقت بكل جدارة أن يأتيهــا السلام من عند السلام (جل وعلا) من فوق سبع سماوات بل وتأتيها البشرى ببيتٍ فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

إنها سيدة نساء العالمين وزوجة ســيد الأولين والآخرين ﷺ . إنها خديجة رضي الله عنها التى سطع نجمها فى عالم الإيمان والطهر والعفاف والنُّبل والعطاء والوفاء.

* وتأملوا معى تلك البشريات التى ساقها الله إليها قبل موتها.

عن أنس قال: جاء جبريل إلى النبى ﷺ وعنده خديجة فقال: «**إن الله يُقرئ خديـجة السلام**» فقــالت: إن الله هو السلام، وعلى جبــريل السلام، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته[1] .

(١) رواه النسائى فى فضائل الصحابة (٢٥٤): وإسناده حسن.

عن أبى هريرة ﷺ قال: أتى جبريل النبى ﷺ فقال: يا رسول الله! هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»[1].

عائشة بنت أبى بكر ﷺ

إنها أم المؤمنين عائشة ﷺ.

إنها الزهرة التى نبتت فى شجرة مباركة رسخت جذورها فى الأرض وارتفع غصنها فى السماء حتى كاد أن يعانق كواكب الجوزاء.

*إنها أحب الناس إلى قلب النبى ﷺ بعد أبيها... إنها التى رضعت لبان الصدق من أبويها وتغذَّت على مائدة النبوة المحمدية... إنها الطاهرة المطهرة التى أنزل الله براءتها من فوق سبع سماوات... إنها التقية النقية الورعة الزاهدة عائشة بنت أبى بكر ﷺ.

وحان وقت الرحيل

وبعد هذه الرحلة الطويلة من العبادة والعلم والبذل والعطاء والتضحية لدين الله (عز وجل) نامت الصدِّيقة الطاهرة المطهرة على فراش الموت بعدما ملأت الدنيا علمًا وفقهًا وزهدًا وورعًا... فلقد آن الآوان لأمنا الغالية أن تستريح وأن تبدأ رحلتها مع النعيم المقيم فهى زوجة الحبيب ﷺ فى الدنيا وفى الآخرة. فهنيئًا لها ثم هنيئًا لها.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٢٠) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٢) كتاب فضائل الصحابة.

ابن عباس رضي الله عنه يثنى عليها عند موتها

* **عن ابن أبى مليكة:** أن ذكوان أبا عمرو: حدثه قال: جاء ابن عباس رضي الله عنه يستأذن على عائشة، وهى فى الموت. قال: فجئت وعند رأسها عبد الله ابن أخيها عبد الرحمن، فقلت: هذا ابن عباس يستأذن. قالت: دعنى من ابن عباس، لا حاجة لى به، ولا بتزكيته، فقال عبد الله: يا أُمه! إن ابن عباس من صالحى بنيك، يودعك ويسلم عليك. قالت: فائذن له إن شئت. قال: فجاء ابن عباس، فلما قعد، قال: أبشرى، فوالله ما بينك وبين أن تفارقى كل نصب، وتلقى محمدًا صلى الله عليه وسلم والأحبَّة، إلا أن تفارق روحك جسدك.

قالت: إيهًا يا ابن عباس! قال: كنت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعنى إليه - ولم يكن يحب إلا طيبًا، سقطت قلادتك ليلة الأبواء، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتقطها، فأصبح الناس ليس معهم ماء، فأنزل الله ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً ﴾[1] فكان ذلك من سببك، وما أنزل الله بهذه الأمة من الرخصة، ثم أنزل الله تعالى براءتك من فوق سبع سماوات، فأصبح ليس مسجد من مساجد يُذكر فيها الله إلا براءتك تُتلى فى آناء الليل والنهار. قالت: دعنى عنك يا ابن عباس، فوالله لوددت أنى كنت نسيًا منسيًّا[2].

وفى شهر رمضان من السنة الثامنة والخمسين للهجرة، ألمَّ المرض بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكانت وصيتها أن تُدفن بالبقيع مع صواحبها أمهات المؤمنين وآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفى ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان، توفيت أم المؤمنين عائشة، وصعدت روحها إلى ربها راضية مرضية، ولما سمعت أم المؤمنين أم سلمة

---

(١) سورة النساء: الآية: (٤٢).

(٢) طبقات ابن سعد (٨/ ٧٥، ٧٦).

الصرخـة على عائشة قـالت: والله لقد كانت أحـب الناس إلى رسول الله ﷺ إلا أباها.

ودُفنت من ليلتها بعد صلاة الوتر(١).

وقدم أبو هريرة رضي الله عنه فصلى عليها، فاجتمع الناس، ونزل أهل العوالى، وحضروا جنازتها، فلم تر ليلة أكثر ناسًا منها(٢).

زينب بنت جحش رضي الله عنها

عن عـائشـة بنت طلحـة عـن عـائشـة أم المؤمنين قـالت: قال رسـول الله ﷺ : **«أسرعكن لحاقًا بى أطولكن يدًا»**.

قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يدًا.

قالت: فكانت أطولنا يدًا زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق(٣).

* وذكر الإمام النووى -رحمه الله- أنها دُفنت بالبقيع، وصلى عليها سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، ونزل فى قبرها أسامة بن زيد، ومحمد بن عبد الله بن جحش، وعبد الله بن أبى أحمد بن جحش، ومحمد بن طلحة بن عبـيد الله وهو ابن أختها حمنة، فكلهم محارم لها رضي الله عنها (٤). وأختم تلك الترجمة بقول أُمِّنا عائشة رضي الله عنها.

حيث قالت: يرحم الله زينب، لقد نالت فى الدنيـا الشرف الذى لا يبلغه شرف، إن الله زوَّجها، ونطق به القرآن. وإن رسول الله قال لنا: **«أسرعكن بى لحوقًا أطولكن باعًا»**(٥). فبشرها بسرعة لحوقها به، وهى زوجته فى الجنة (٦).

---

(١) طبقات ابن سعد (٨/ ٧٦).

(٢) نساء أهل البيت (ص: ١٦٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٥٢).

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٤٥، ٣٤٦).

(٥) **متفق عليه:** رواه البخارى (١٤٢٠) كتاب الزكاة، ومسلم (٢٤٥٢)، كتاب فضائل الصحابة.

(٦) سير أعلام النبلاء/ للذهبى (٢/ ٢١٥).

فاطمة بنت رسول الله ﷺ

إنها فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

إن سيرتها العطرة خير زاد لنسائنا وبناتنا حيث تجعل القلوب المؤمنة تتدفق بنور اليقين وتتصل بحبلٍ من الإيمان والتقوى. فهى بنت سيد الأولين والآخرين ﷺ وأمها سيدة نساء العالمين خديجة رضي الله عنها.

وحان وقت الرحيل

مرضت فاطمة مرضًا شديدًا ونامت على فراش الموت بعد تلك الرحلة الطويلة من الجراح والأفراح... وجلس أولادها ينظرون إليها فى حنان وإشفاق.

وفتحت فاطمة الزهراء عينين واهنتين، فرأت زوجها عليًّا والهًا حزينًا، والحسن والحسين وفى أعينهما الدموع، بينما كانت ابنتاها زينب وأم كلثوم تكادان تذوبان من الأسى، فأرادت الزهراء أن تواسيهم جميعًا، إلا أن الكلمات رقدت على شفتيها، ولم تتكلم.

كان الموت يطلبها، وإنها لتترك الدنيا غير آسفة على فراقها، فما تنافست فى عزِّها وفخرها، وما بهرتها زينتها ونعيمها وزخرفها، إنها ستصبح ميتًا يُبكى، وستترك من ورائها دنيا لا خير فى شيءٍ من أزوادها إلا التقوى، نعم، فإن خير الزاد التقوى، وخير لباسٍ التقوى، وقد كان التقوى لباسها وزادها.

وفى يوم الثلاثاء، لثلاثٍ خلون من رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة، فاضت الروح المطمئنة، ورجعت إلى ربها راضية مرضية.

توفيت فاطمة الزهراء، فأجهش زوجها بالبكاء، وراح الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم يذرفون الدموع على أعظم أُمٍّ فى الوجود؛ فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة، وابنة سيدة نساء أهل الجنة.

واجتمع الناس فى المسجد النبوى، وقد نزل بقلوبهم حزن ثقيل، فقد جدد موت فاطمة الزهراء أحزانهم على فراق أبيها رسول الله، وقد توفيت بعده بستة أشهر... وصلى عليها زوجها علىّ، وعمه العباس بن عبد المطلب؛ ... وفى سكون الليل، خرجت الجنازة إلى البقيع إلى حيث تثوى زينب ورقية وأم كلثوم رضي الله عنهن[1].

فاطمة بنت أسد رضي الله عنها

أم الفارس الغالب (على بن أبى طالب) رضي الله عنه وهو رابع الخلفاء الراشدين.. وهى جدة سيدا شباب الجنة (الحسن والحسين) رضي الله عنهما وهى أم الشهيد الذى رآه النبى صلى الله عليه وسلم يطير بجناحيه فى الجنة مع الملائكة (جعفر بن أبى طالب) رضي الله عنه أحد الأمراء الثلاثة فى سرية مؤتة.. وهى أيضًا حماة سيدة نساء العالمين فى زمانها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها.

وحان وقت الرحيل

وظلت فاطمة رضي الله عنها تعيش فى ظل الإيمان والتوحيد عابدة صائمة قائمة إلى أن جاء اليوم الذى نامت فيه على فراش الموت لتلقى ربها (عز وجل) فيكافئها عن صنيعها مع الحبيب صلى الله عليه وسلم.

وماتت رضي الله عنها ودُفنت بالمدينة المنورة وأكرمها الله (عز وجل) بأن نزل

(١) نساء أهل البيت (ص: ٦٠١-٦٠٣) بتصرف.

الحبيب ﷺ فى قبرها ليدفنها.

* ذكر السمهودى أن النبى ﷺ، لم ينزل فى قبر أحد قط إلا خمسة قبور، ثلاث نسوة ورجلين، منها قبر خديجة بنت خويلد رضي الله عنها بمكة، وأربع بالمدينة، قبر ابن خديجة كان فى حجر النبى ﷺ وتربيته، وقبر عبد الله المزنى الذى يقال له ذو البجادين، وقبر (أم رومان) أم عائشة بنت أبى بكر الصديق، وقبر فاطمة بنت أسد[1] رضى الله عنهم جميعًا.

هذا هو الوفاء.... وتلك هى الكرامة

وها هو الحبيب ﷺ صاحب القلب الوفى لم ينس أبدًا هذه المرأة الصالحة التى كانت له أمًّا بعد أمه فنزل فى قبرها ليدفنها فكان فى هذا كرامة لها (رضى الله عنها وأرضاها).

عن أنس بن مالك، قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علىٍّ، رضي الله عنها، دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال:

«رحمك الله يا أمى، كنت بعد أمى تجوعين وتُشبعينى، وتعرين وتكسينى، وتمنعين نفسك طيبًا وتطعمينى، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة» ثم أمر أن تُغسَّل ثلاثًا، فلما بلغ الماء الذى فيه الكافور، سكبه رسول الله ﷺ بيده، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه وكفنها ببُرد فوقه، ثم دعا رسول الله أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصارى وعمر بن الخطاب وغلامًا أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه، فقال: **«الله الذى يحيى ويميت، وهو حى لا يموت، اغفر لأمى فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها، بحقِّ نبيك والأنبياء الذين قبلى فإنك**

---

(١) وفاء الوفا للسمهودى (٣/ ٨٩٧).

أرحم الراحمين» وكبَّر عليـها أربعًا، وأدخلوها اللحد هو والعباس وأبوبكر الصديق ﷺ»[(١)] .

* وعن ابن عباس ﷺ قال: لما ماتت فاطمة أم على بن أبى طالب، خلع النبى ﷺ قميصـه وألبسها إياه، واضطجع فى قبرها، فلما سوَّى عـليها التراب قال بعـضهم: يا رسول الله! رأيناك صنعت شيئًـا لم تصنعه بأحد!! «**ألبستها قميصى لتلبس من ثياب الجنة، واضطجعت معها فى قبرها ليخفف عنها من ضغطة القبر، إنها كانت من أحسن خلق الله إلىَّ صنيعًا بعد أبى طالب**»[(٢)] .

أم حرام بنت ملحان ﷺ

جلست أم حرام ﷺ تتذكر قول النبى ﷺ لها حين قال: «**أول جيش من أمتى يركبون البحر قد أوجبوا** - أى وجبت لهم الجنة -قالت أم حرام: يا رسول الله! أنا فيهم؟ قال: «**أنت فيهم**»[(٣)] .

وركبت أم حرام (البحر) مع زوجها عبادة بن الصامت ﷺ فلما رجعوا قُربت لها بغلة لتركبها فصرعتها فدقت عنقها فماتت ﷺ ودُفنت فى جزيرة قبرص. . وقبرها فى قبرص يُدعى بقبر المرأة الصالحة.

والعجيب أن قـبرها يتبرك به أهل قبـرص... قال الإمام الذهبى: وبلغنى أن قبرها تزوره الفرنج[(٤)] .

---

(١) ضعيف: رواه الطبرانى (٢٤/٣٥١)، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩/٢٥٧): رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه: روح بن الصلاح وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الضعيفة (٢٣).

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط (٧/٨٧)، وقال الهيثمى فى المجمع (٩/٢٥٧): رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه: سعدان بن الوليد ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٩٢٤) كتاب الجهاد.

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/٣١٧).

* وذكر أبو الحسن ابن الأثير وغيره خبر تلك الغزوة فقالوا: وكانت تلك الغزوة غزوة قبرص فدُفنت فيها، وكان أمير المؤمنين أمير الجيش معاوية بن أبى سفيان فى خلافة عثمان ومعه أبو ذر وأبو الدرداء، وغيرهما من الصحابة وذلك سنة سبع وعشرين(١).

سمية بنت خباط (أم عمار) رضي الله عنها

إنها أول شهيدة فى الإسلام... وها هى قصة استشهادها:

كان أبو جهل الفاسق -الذى يغرى بهم فى رجال من قريش- إن سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة، أنَّبه وخزَّاه وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنُسفِّهن حلمك، ولنفلين رأيك، ولنضعن شرفك.

وإن كان تاجراً قال: والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفًا ضربه، وأغرى به - لعنه الله وقبَّحه(٢).

* وظلت الصحابية الكريمة سمية رضي الله عنها تتحمل العذاب، وتصبر على أذى أبى جهل صبر الأبطال، فلم تصبأ، ولم تهن عزيمتها أو يضعف إيمانها الذى رفعها إلى مستوى الخالدات من النساء، بل الأوليات فى لائحة الصابرات(٣).

* وبدأت المحنة تتحول إلى منحة ربانية بعد أن بشرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة، وهنا تقوم (أم عمار) سمية رضي الله عنها لتكتب بدمها سطوراً من النور على جبين التاريخ لتكون أول شهيدة فى الإسلام. وذلك عندما تعرض لها الهالك أبو جهل -عليه من الله ما يستحقه- فطعنها فى موطن عفتها فقتلها(٤).

* قال مجاهد -رحمه الله-: أول شهيدة كانت فى أول الإسلام أم عمار

(١) أسد الغابة ترجمة رقم (٧٤٠٣) - والنجوم الزاهرة (١/ ٨٥).

(٢) البداية والنهاية (٥/ ٥٩).

(٣) نساء مبشرات بالجنة/ (ص: ١٣٤).

(٤) أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم للمصنف (١/ ٥٢٧).

سمية، طعنها أبو جهل بحربة فى قُبلها [١].

* وكان استشهاد سمية رضي الله عنها فى السنة السابعة قبل الهجرة.

أم ورقة بنت الحارث رضي الله عنها

إنها الصحابية الجليلة التى بشرها النبى صلى الله عليه وسلم بالشهادة.

فعن أم ورقة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، لما غزا بدرًا، قالت: قلت له: يا رسول الله! ائذن لى فى الغزو معك، أُمرِّض مرضاكم، لعل الله أن يرزقنى شهادة. قال: «**قرِّى فى بيتك، فإن الله تعالى يرزقك الشهادة**»[٢]. قال: فكانت تُسمَّى الشهيدة.

* وعادت تلكم العابدة الزاهدة التقية إلى بيتها -طاعةً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . عادت تنتظر الشهادة التى بشرها بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعلم الناس بتلك البشارة التى بشَّرها بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان الحبيب إذا أراد أن يزورها يصطحب معه ثُلة من أصحابه الكرام ويقول لهم: «**انطلقوا بنا نزور الشهيدة**».

وحان وقت الرحيل

وتأتى اللحظة المناسبة التى قدر الله أن يرزقها فيها الشهادة. فلقد كانت (أم ورقة) تنتظر تلك اللحظة بكل شوقٍ ولهفة.

* وكانت (أم ورقة) ليس معها أحد فى بيتها إلا غلام وجارية يخدمانها ويعيشان معها: جارية مملوكة وعبد مملوك ورثتهما عن أهلها. . . فلما أسلمت وعدتهما بالحرية والعتق بعد موتها فما كان منهما إلا أن تعجَّلا موتها. . ولكن كيف كان ذلك؟

(١) البداية والنهاية (٣/ ٥٩).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٥٩١) كتاب الصلاة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن أبى داود (٥٥٢).

* لقد كان فتـاها وفتاتها، اللذان غذتهما بإحـسانها وفضلها، وأغدقت عليهمـا من عطفها وحنانها وعظيم رعـايتها، غير جـديرين بما أسلفت لهما وقدمت إليهما، وانطبقت عليهما الحكمـة المأثورة (اتق شر من أحسنت إليه) إذ عزَّ عليهما أن يريا مـدة ولائهما لها تطول. . ، كما غـرهما بمالها وغناها الغرور واستيقظ فى نفسيهما غدر الشيطان وفجوره. .

فدبروا ذات ليلة جريمة قتلها. . ، فماتت «شهيدة» الظلم والبغى والغدر تمامًا كما تنبأ لها رسول الله ﷺ.

وفرا هاربين!!. . ولكن إلى أين؟

فقد أمسكت بهـما يد العدالة، وأُعيدا إلى المدينة، حيث لقيـا جزاء ما جنت أيديهما.

فقُتلا. . وصُلبا. . ليكونا عِـبرة لمن يعتبر. .، وعمَّ المدينة حزن شديد، ولم تبق عين إلا ودمعت على «أم ورقة». . ولـم يبق قلب إلا وقد انفطر ألمًا على المؤمنة الفاضلة[١].

* ففى جزء من الحديث الذى رواه أبو داود عن قصة شهادتها:

قال: وكانت قد قـرأت القرآن فاستأذنت النبى أن تتـخذ فى دارها مؤذنًا فأذن لها، قال: وكانت دبرت غلامًا وجارية، فقاما إليها فـغماها بقطيفة لها حتى ماتت وذهبا.

فأصبح عـمر فقام فى النـاس فقال: من كان عنده من هذين علم، أو من رآهما، فليجئ بهما، فأمر بهما فصُلبا، فكان أول مصلوب بالمدينة[٢].

* وهكذا رحلت العـابدة الزاهدة عن دنيا الناس وفـازت بالشهـادة التى بشرها بها رسول الله ﷺ.

---

(١) المبشرات بالجنة/ محمد على قطب (ص: ٨٧).

(٢) هو الحديث السابق.

الغامدية رضي الله عنها

عن بريدة قال: كنت جالسًا عند النبى ﷺ، فجاءته امـرأة من غامدٍ، فقالت: يا نبى الله! إنى قد زنيت، وأنا أريد أن تطهرنى.

فقال لها النبى ﷺ: «ارجعى» فلما أن كان من الغد، أتته أيضًا، فاعترفت عنده بالزنى، فقالت: يا رسول الله! إنى قد زنيت، وأنا أريد أن تطهرنى، فقال لها النبى ﷺ: **«ارجعى»** فلما أن كان من الغد، أتته أيضًا، فاعترفت عنده بالزنى، فقالت: يا نبى الله! طهرنى، فلعلك أن تردنى كما رددت ماعز بن مالك، فوالله إنى لحُبلى، فقال لها النبى ﷺ: **«ارجعى حتى تلدى»**.

فلما ولدت جاءت بالصبى تحمله، فقالت: يا نبى الله! هذا قد ولدت.

فقال ﷺ: «فاذهبى فأرضعيه حتى تفطميه».

فلما فطمته، جاءت بالصبى فى يده كسرة خبزٍ، قالت: يا نبى الله! هذا قد فطمتـه، فأمر النبى ﷺ بالصبى فدفـعه إلى رجل من المسلمين، وأمر بها فحُفر لها حفرة، فجُعلت فيها إلى صدرها، ثم أمر الناس أن يرجموها، فأقبل خالد بن الوليـد بحجرٍ، فـرمـى رأسها، فنضح الدم على وجنة خالدٍ فسبَّـها، فسمع النبـى ﷺ سبَّه إياها، فقال: **«مهلاً يا خـالد بن الوليد! لا تسبها، فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبـةً لو تابها صاحب مكسٍ لغُفر له»**. فأمر بها، فصلى عليها، ودُفنت.

* وفى رواية مسلم، قال له عمر: تصلى عليها يا نبى الله وقد زنت؟

فـقـال ﷺ: «لقـد تابت توبـة لو قـسِّـمت بين سـبـعـين مـن أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى؟» [١].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٩٦) كتاب الحدود.

السيدة الربانية الصالحة نفيسة ابنة الحسن بن زيد العلوية الحسنية (رحمها الله)

كانت -رحمها الله- من الصالحات، زاهدة نقية تقية، تقوم الليل، وتصوم النهار، وتكثر البكاء من خشية الله عز وجل، حتى قيل لها: «ترفَّقى بنفسك- لكثرة ما رأوا منها، فقالت: «كيف أرفق بنفسى وأمامى عقبة لا يقطعها إلا الفائزون؟-، حجت ثلاثين مرة، وكانت تحفظ القرآن وتفسيره.

تُوفيت - رحمها الله تعالى- وهى صائمة، فألزموها الفطر، فقالت: «واعجباه! أنا منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه صائمة، أأفطر الآن؟! هذا لا يكون، وخرجت من الدنيا، وقد انتهت قراءتها إلى قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[(١)][(٢)].

معاذة العدوية (رحمها الله)

* كانت أم الصهباء معاذة العدوية تلميذة السيدة عائشة إذا جاء النهار قالت: هذا يومى الذى أموت فيه، فما تنام حتى تمسى، وإذا جاء الليل قالت: هذه ليلتى التى أموت فيها فلا تنام حتى تصبح، وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم.

* وكانت تقول إذا غلبها النوم: يا نفس... الموت أمامك لو قد متِ طالبت رقدتك فى القبور على حسرة أو سرور.

وكانت تقول: عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد فى ظُلمة القبور.

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٢).

(٢) مرآة النساء - (ص: ٨٢).

* وعن ثابت البُنانى أن صلة بن أشيم زوج معاذة كان فى مغزًى له ومعه ابن له، فقال: أى بنى! تقدَّم فقاتل حتى أحتسبك، فحمل فقاتل حتى قُتل، ثم تقدم فقُتل، فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة العدوية فقالت: مرحبًا! إن كنتن جئتن لتهنئننى، فمرحبًا بكن وإن كنتن جئتن بغير ذلك فارجعن.

قالت أم الأسود بنت زيد العدوية - وكانت معـاذة قد أرضعتها - قالت لى معاذة لما قُتل أبو الصهباء وقُتل ولدهـا: والله يا بُنية ما محبتى للبقاء فى الدنيا للذيذ عيش ولا لروح نسيم، ولكن والله أحب البقاء لأتقرب إلى ربى عز وجل بالوسائل لعله يجمع بينى وبين أبى الصهباء وولده فى الجنة.

* **قالت عفيرة العابدة:** بلغنى أن معاذة العدوية لما احتضرها الموت بكت، ثم ضحكت، فقيل لها: مم بكيت ثم ضحكت؟ فمم البكاء ومم الضحك؟

قالت: أما البكاء الذى رأيتم فإنى ذكرت مفـارقة الصيام والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك.

وأما الذى رأيتم من تبسـمى وضحكى فإنى نظرت إلى أبى الصهـباء قد أقبل فى صحن الدار وعليه حُلتان خضروان وهو فى نفر والله ما رأيت لهم فى الدنيا شبهًا فضحكت إليه ولا أرانى أدرك بعد ذلك فرضًا فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة[1].

* * *

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٢-٢٤).

رابعة العدوية (رحمها الله)

جمهـور أهل العلم على صلاحها وتقواها وعلـو مكانها وكلٌّ يؤخذ من قوله ويتُرك.

* قال محمـد بن عمرو: كانت رابعة إذا ذكرت الموت انتـفضت وأصابتها رعدة، وإذا مرت بقوم عرفوا فيها العبادة[1].

* وعن عبـدة بنت أبى شوال وكانت من خيـار إماء الله، وكانت تخدم رابعة - قالت: كـانت رابعة تصلى الليل كله، فإذا طلع الفجـر هجعت فى مصلاها هجعة خفيفة حتى يُسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهى فزعة: يـا نفس كم تنامين؟ وإلى كم تقومين؟ يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور.

قالت: فكان هذا دأبها دهرها حتـى ماتت، فلما حضرتهـا الوفاة دعتنى فقالت: يا عـبدة! لا تؤذنى بموتى أحدًا وكفنينـى فى جُبتى هذه - جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون.

قالت: فكفنَّاها فى تلك الجبة وخمار صوف كانت تلبسه.

قالت عابدة: رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها فى منامى عليها حلة إستبرق خضراء وخـمار من سندس أخضـر لم أر شيئًا قط أحـسن منه، فقلت: يا رابعة! ما فعلت الجبة التى كفنَّاك فيها والخمار الصوف؟ قالت: إنه والله نُزع عنى وأُبدلت به هذا الذى ترينه علىَّ، وطُويت أكفانى وخُتـم عليها ورُفعت فى عليين ليكمل لى بها ثوابها يوم القيامة.

قالت: فقلت لها: لهـذا كنت تعملين أيام الدنيا؟ فـقالت: وما هذا من

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٢٨).

كرامة الله عز وجل لأوليائه. قالت: فقلت: فما فعلت عبدة بنت أبى كلاب؟ فقالت: هيهات هيهات، سبقتنا والله إلى الدرجات العلى، قالت: وبِمَ وقد كنت عند الناس؟ أى أكثر منها. قالت: إنها لم تكن تبالى على أى حالة أصبحت من الدنيا وأمست. قالت: فقلت: ما فعل أبو مالك؟ تعنى ضيغمًا. قالت: يزور الله متى شاء. قالت: فما فعل بشر بن منصور؟ قالت: بَخٍ بَخٍ أُعطى والله فوق ما كان يأمل.

قالت: فمرينى بأمر أتقرب به إلى الله عز وجل: قالت: عليك بكثرة ذكره، أوشك أن تغتبطى بذلك فى قبرك[1].

راهبة العابدة أم عثمان بن سودة الطفاوى (رحمها الله)

* «عن عثمان بن سودة الطفاوى، وكانت أُمه من العابدات، يقال لها راهبة، قال: لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت: يا ذُخرى وذخيرتى، ويا من عليه اعتمادى فى حياتى وبعد موتى، لا تخذلنى عند الموت، ولا توحشنى فى قبرى»[2].

فرآها ذات ليلة فى منامه فقال لها: يا أماه! كيف أنت؟ قالت: أى بنى! إن للموت لكربة شديدة، وأنا بحمد الله لفى برزخ محمود، نفترش فيه الريحان ونتوسد فيه السندس والإستبرق إلى يوم النشور.

* * *

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٩، ٣٠).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٤٢).

رقية بنت عبد الله مُعَن الأندلسى
«الولية الكاملية العلية» (رحمها الله)

* شقيقة الشيخ أحمد بن عبد الله معن الأندلسى.

«كانت آية من آيات الله فى رفع الهمة والزهد والحزم فى الطريق والجَدِّ، فى غاية الإخمال والتقشف والإقلال».

وكان أخوها يقول عنها: إنها لفارغة القلب من الدنيا مع الحزم فى الدين والتمسك بحبله المتين.

وأثنى عليها أخوها بعد وفاتها وقال: كانت تخبرنى بأمور لا يجدها المتصبون للمشيخة، وحكى عنها أنها قالت له: إنى أرى نوراً ينتشر فى محل سجودى كلما سجدت وأخاف أن يكون الشيطان يلعب بى. قال: فقلت لها: نعم يُخاف من ذلك، ثم قال للحاضرين: هكذا شأن الصِّدِّيقين يخافون وإن كانوا محققين.

* وكانت فى المرض الذى تُوفيت فيه مسرورة بلقاء الله، جميلة الرجاء فيه، ولما قَرُبَت وفاتها جعلت تسأل عن وقت الظهر فأُخبرت بدخوله فصلَّت وماتت. وكانت وفاتها سنة سبع وثمانين وألف»[١].

* * *

(١) «نشر المثانى لأهل القرن الحادى عشر الثانى» للشيخ محمد بن الطيب القادرى (٢/ ٢٢٠).

عابدة تموت من خشية الله (جل وعلا)

قال ابن الجوزى -رحمه الله-: «بلغنا أن بعض المتعبدات البصريات وقعت فى نفس رجل مهلبى وكانت جميلة، وكانت تُخطَب فتأبى، فبلغ المهلبى أنها تريد الحج فاشترى ثلاثمائة بعير ونادى: من أراد الحج فليكتر من فلان المهلبى فاكترت منه، فلما كان فى بعض الطريق جاءها ليلاً فقال: إما أن تزوجينى نفسك، وإما غير ذلك، فقالت: ويحك اتق الله! فقال: ما هو إلا ما تسمعين والله ما أنا بحمَّال ولا خرجت فى هذا إلا من أجلك، فلما خافت على نفسها، قالت: ويحك! انظر أبقى فى الرجال أحد لم ينم؟ قال: لا، قالت: عُد فانظر فمضى وجاء، فقال: ما بقى أحد إلا وقد نام.

فقالت: ويحك! أنام رب العالمين؟ ثم شهقت شهقة وخرت ميتة.

وخر المهلبى مغشيًا عليه ثم قال: ويحى قتلت نفسًا ولم أبلغ شهوتى فخرج هاربًا[١].

عابدة تموت شوقا للقاء الله (جل وعلا)

«قال ذو النون: بينا أنا أسير على ساحل البحر إذ بصرت بجارية عليها أطمار شعر وإذا هى ذابلة ناحلة، فدنوت منها لأسمع ما تقول، فرأيتها متصلة الأحزان بالأشجان، وعصفت الرياح فاضطربت الأمواج فصرخت، ثم سقطت إلى الأرض فلما أفاقت نحبت[٢] ثم قالت: يا سيدى! بك تفرد المتفردون فى الخلوات، ولعظمتك سبحت النينان[٣] فى البحار الزاخرات، ولجلال قدسك

---

(١) «ذم الهوى» لابن الجوزى (٢٧٦، ٢٧٧).

(٢) أى: بكت أشد البكاء.

(٣) أى: الحيتان.

اصطفَّت الأمواج المتلاطمات، أنت الذى سجد لك سواد الليل وضوء النهار والفلك الدَّوار، والبحر الزخَّار، والقمر النوَّار، وكل شىء عندك بمقدار.

يا مُـــــؤنس الأبـرار فى خـلواتـهم
يا خــيـــــر من حطَّـت به النُّزالُ

فقلت: زيدينا من هذا. فقالت: إليك عنى. ثم رفعت طرفها نحو السماء وقالت:

أحــبك حُــبــين حُـب الوداد
وحــبًّــا لأنك أهـلٌ لذاكــا
فــأمــا الذى هـو حب الـوداد
فـحبٌّ شُـغلتُ به عـن سـواكـا
وأمـــا الـذى أنـت أهـل لـه
فكشـفك للـحُجب حـتى أراكـا
فــمـا الحـمـدُ فى ذا ولا ذاك لى
ولكن لـك الحـمـد فـى ذا وذاكـا

ثم شهقت شهقة فإذا هى قد فارقت الدنيا (١).

عابدة تخر ميتة لما رأت الكعبة

* عن عبد العزيز بن أبى رواد قال: دخل قوم حُجَّاج ومعهم امرأة تقول: أين بيت ربى؟ فيقولون: الساعة ترينه فلما رأوه قالوا: هذا بيت ربك أما ترينه؟ فخرجت تشتد وتقول: بيت ربى بيت ربى؛ حتى وضعت جبهتها على البيت. فوالله ما رفعت إلا ميتة (٢).

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٣٧٤، ٣٧٥).
(٢) صفة الصفوة (٤/ ٤١٥).

«وجارية تتعلق بأستار الكعبة تدعو وتضرع وتبكى حتى ماتت»

* عن يعلى بن حكيم قال: قال سعيد بن جبير: ما رأيت أرعى لحرمة هذا البيت، ولا أحرص عليه من أهل البصرة، لقد رأيت جارية ذات ليلة، تعلقت بأستار الكعبة، تدعو وتضرع وتبكى حتى ماتت»[١].

حكاية ياسمين

كان ذلك فى يوم من أيام صيف (١٩٩٦م) فى مدينة الدمام فى المملكة العربية السعودية وبالتحديد فى فندق الأوبروى.. حيث كنت على موعد مع صديقٍ لشرب القهوة العربية بعد صلاة العصر.

وصلت إلى الفندق وتحديداً إلى قاعة المقهى المكيف الجميل ذى الديكورات الخلابة وذلك قبل الموعد بساعةٍ.. دخلت المقهى ولم أكن أعرف أين أجلس أو أنظر، إلا أن جمال المكان شدّنى للتجوال فى أنحائه لرؤية كل زاويةٍ فيه، وبالفعل تنقلت بين روعة الفن والديكور والأعمال الخشبية والزجاجية الجميلة حتى وصلت إلى زاوية فى آخر المقهى حيث وُضع أثاث جميل وهادئ الألوان.. وإضاءة خفيفة جدًّا، ولا يرى الإنسان هناك إلا صفحة الوجه.. شدنى ذلك الديكور الرائع.. وتقدمت قليلاً وبهدوء شديد إلى الجالس على تلك الأريكة، فقط لكى أهنئه على حسن اختياره لتلك الزاوية.. ولكننى رأيت رجلاً فى الخمسينيات نحيف الوجه.. قد خطَّ فيه

(١) «السير» (٤/ ٣٣٤)، وقال الذهبى: إسنادها صحيح.

الزمن خطوطه.. وعيناه غائرتان ومليئتان بدمعتين من الحجم الكبير جداً.. وكان يجاهد لكى يمنعها من التدحرج على خديه.

تقدمت إليه فرأيته غارقًا فى فكر بعيدٍ جداً.. يخترق بنظرته الخمسينية ما وراء الفندق والدمام والكرة الأرضية كلها. فقلت له: السلام عليكم ورحمة الله.. فنظر إلىَّ نظرة استغراب؛ لأنه لا يعرفنى ولا أعرفه.. وقال: وعليكم السلام، وسكت. قلت له: هل يمكننى الجلوس على الأريكة المقابلة أم أنها محجوزة؟

فقال كالمنزعج لانقطاع حبل أفكاره: لا.. نعم.. تفضل.. تفضل..

فعرفت من طريقةِ كلامه بأنه من أهل الشام وبالتحديد من لبنان..

جلست وأنا ساكت.. ولكن كيف للثرثار بأن يجلس دون تعذيب لسانه..!

قلت له: عفواً.. ولكن لماذا تعذب عينيك وتمنع دمعتيك من التدحرج على خدك.. لو كنت مكانك لأرحت عينى من تحمل حرارة الدمع الحزينة وأرسلتها على خدَّى.. فما إن سمع كلامى حتى تدحرجت الدموع على خديه وسلكت التقاطيع الكثيرة فى وجهه ولكنه لم يمسحها بمنديل..

قلت له: لا بد وأنك تذكرت أُناسًا أعزاء عليك!!

قال: وما يدريك؟! قلت: أرى معزتهم فى عينيك ومحياك..

قال: نعم.. أعزاء جداً جداً.. قلت: ومتى ستلتقيهم؟

قال: والله أتمنى فى كل لحظةٍ أن أسافر إليهم؛ ولكن المسافة بعيدة جداً جداً..

قلت: وأين سكنهم؟ فقال: كان آخر لقائى بها فى أمريكا قبل ثلاث سنوات ولكننا افترقنا فلم نكن نلتقى إلا فى المنام أو الأحلام..

قلت: أيها العاشق! أخبرنى بقصة عشقك، إن لم يكن فى ذلك تدخل

شخصى فى حياتك. . قال - وبابتسامة صغيرة -: لا أبدًا، ليس هناك بينى وبين ياسمين أية أسرار بل، وستكون سعيدةً حسب ظنى بها لو أننى قصصت عليك قصة حبنا الكبير.

ولكن دعنى أصحح لك معلومة صغيرة، وهى أن ياسمين هى ابنتى التى كانت تبلغ من العمر عشر سنوات. .

ففوجئت بالمعلومة.. ثم استطرد قائلاً: هل تحب أن تسمع قصة حبنا الكبير؟! قلت متحمسًا: نعم، وبكل شوقٍ. قال: عشت فى الدمام عشر سنين، ورُزقت فيها بابنةٍ واحدةٍ أسميتها ياسمين، وكان قد ولد لى من قبلها ابن واحد، وأسميته أحمد وكان يكبرها بثمانى سنين، وكنت أعمل هنا فى مهنة هندسيةٍ. . فأنا مهندس، وحائز على درجة الدكتوراة. .

كانت ياسمين آية من الجمال لها وجه نورانى وملائكى زاهر. . ومع بلوغها التسع سنوات رأيتها من تلقاء نفسها تلبس الحجاب، وتصلى وتواظب على قراءة القرآن بصورةٍ ملفتةٍ للنظر. . فكانت ما إن تنتهى من أداء واجباتها المدرسية حتى تقوم على الفور، وتفترش سجادة صلاتها الصغيرة وتأخذ بقرآنها، وهى ترتله ترتيلاً طفوليًّا ساحرًا. .

كنت أقول لها: قومى يا ابنتى والعبى مع صديقاتكِ. . فكانت تقول لى: صديقى هو قرآنى، فقلت لها: نعم الصديق. . ثم أتركها؛ لتواصل قراءة القرآن. .

وذات يوم اشتكت من ألم فى بطنها عند النوم. . فأخذتها إلى المستوصف القريب، فأعطاها بعض المسكنات فهدأت آلامها ليومين. . ثم عاودتها. . وهكذا تكررت الحالة. . ولم أُعط الأمر حينها أى جديةٍ. .

وشاء الله أن تفتح الشركة التى أعمل بها فرعًا فى الولايات المتحدة الأمريكية. . وعرضوا علىَّ منصب المدير العام هناك فوافقت. . ولم ينقضِ

شهر واحد حتى كنا فى أحضان أمـريكا مع زوجتى وأحمد وياسمين. . ولا أستطيع وصف سعادتنا بتلك الفرصة الذهبية والسفر للعيش فى أمريكا، هذا البلد العملاق الذى يحلم بالسفر إليه كل إنسان. .

بعد مضى قرابة الشهرين على وصولنا إلى أمريكا عاودت الآلام ياسمين فأخذتها إلى دكتور باطنى متخصص. . فقـام بفحصها وقال: ستظهر النتائج بعـد أسـبـوع ولا داعى للقلق. . أدخل الطبـيب الاطـمئـنان إلى قلبى. . وسرعان ما حجزت لنا مقاعد على أقرب رحلة إلى مدينة الألعاب (أورلاند) وقضـينا وقتًا ممتعًـا مع ياسمين. . بين الألعاب والـتنزه هنا وهناك. . وبينما نحن فى متعة المرح. . رن صوت هاتفى النقال. . فوقع قلبى. . لا أحد فى أمريكا يعـرف رقمى. . عجـبًا أكيـد الرقم خطأ. . فتـرددت فى الإجابة. . وأخيرًا ضغطت على زر الإجابة. .

ألو. . من المتحـدث؟؟ أهلاً يا حضرة المهندس. . معـذرةً على الإزعاج فأنا الدكتور «سـتيفن» طبيب ياسمين. . هل يمكننى الـلقاء بك فى عيادتى غدًا؟

فقلت له: وهل هناك ما يقلق فى النتائج؟!

فقـال لى: فى الواقع نعم. . لذا أود رؤية ياسـمين. . وطرح عـددًا من الأسئلة قبل التشخيص النهائى. .

فقلت له: حسنًا سـنكون عصر غـدٍ عند الخامـسة فى عـيادتك. . إلى اللقاء. .

عندها اختلطت المخاوف والأفـكار فى رأسى. . ولـم أدر كيف أتصرف، فقـد بقى فى برنامج الرحلة يومان، وياسمـين فى قمة السعـادة؛ لأنها المرة الأولى التى تخرج فيها للتنزه منذ وصولنا إلى أمريكا. .

وأخيرًا أخبـرتهم بأن الشركة تريد حضورى غـدًا إلى العمل لطارئ ما،

وهى فرصة جيدة لمتابعة تحاليل ياسمين.. فوافقوا جميعًا على العودة بشرط أن نرجع إلى «أورلاند» فى العطلة الصيفية.. فوافقت..

وفى العيادة استهل الدكتور «ستيفن» حديثه لياسمين بقوله: مرحبًا ياسمين، كيف حالك؟ فقالت: جيدة ولله الحمد، ولكنى أحس بآلام وضعفٍ، لا أدرى مم؟

وبدأ الدكتور يطرح الأسئلة الكثيرة عليها.. وأخيرًا طأطأ رأسه، وقال لى: تفضل فى الغرفة الأخرى..

وفى الحجرة أنزل الدكتور على رأسى صاعقةً.. تمنيت عندها لو أن الأرض انشقت وبلعتنى.. قال الدكتور: منذ متى وياسمين تعانى من المرض؟

قلت: منذ سنة تقريبًا، وكنا نستعمل المهدئات وتتعافى..

فقال الطبيب: ولكن مرضها لا يتعافى بالمهدئات.. إنها مصابة بسرطان الدم وفى مراحله الأخيرة جدًّا.. ولم يبق لها من العمر إلا ستة أشهر.. وقبل مجيئكم تم عرض التحاليل على أعضاء لجنة مرضى السرطان فى المنطقة، وقد أقروا جميعًا بذلك من واقع التحاليل..

فلم أتمالك نفسى وانخرطت فى البكاء وقلت: مسكينة.. والله مسكينة ياسمين.. هذه الوردة الجميلة.. كيف ستموت وترحل عن الدنيا.. وسمعت زوجتى صوت بكائى فدخلت ولما علمت أُغمى عليها.. وهنا دخلت ياسمين وابنى أحمد، وعندما علم أحمد احتضن أخته وقال: مستحيل أن تموت ياسمين.. فقالت ياسمين ببرائتها المعهودة: أموت.. يعنى ماذا أموت؟

فتلعثم الجميع من هذا السؤال.. فقال الطبيب: يعنى سترحلين إلى الله..

فقالت ياسمين ببراءة: حقًّا سأرحل إلى الله؟!.. وهل هو سيئ الرحيل إلى الله، ألم تُعلِّمانى يا والدى بأن الله أفضل من الوالدين والناس وكل الدنيا..

وهل إذا رحلت إلى الله يجعلك تبكى يا أبى، ويجعل أمى يغمى عليها..

فوقع كلامها البرىء الشفاف علينا كمثل صاعقةٍ أخرى على قلبى وسمعى..

فياسمين ترى فى الموت رحلة شيقة فيها لقاء مع الحبيب.. مع الله تعالى.. والتى كانت تقول عنه ببراءة الطفولة.. هو حبيبى.. فهى دومًا كانت تسأل متى سأرى الله؟ وكنا نقول لها: بأن الله لا يُرى فى الحياة الدنيا..

فقالت: آمنت بالله، ولكن هل سأرى رسول الله محمدًا ﷺ والصحابة، وجبرائيل، وميكائيل، والملائكة جلوسًا عند الله.. فكنا نقول لها: إن شاء الله سترينهم جميعًا ولكن عليك الآن أن تبدأى العلاج..

فقالت: إذا كان لا بد لى من الموت، فلماذا العلاج والدواء؟!

فقلت لها: نعم يا ياسمين.. نحن الأصحاء أيضًا سنموت، فهل يعنى ذلك بأن نمتنع عن الأكل والعلاج والسفر والنوم وبناء المستقبل.. فلو فعلنا ذلك لتهدمت الحياة، ولم يبق على وجه الأرض كائن حى..

فقاطعنى الطبيب قائلاً: تعلمين يا ياسمين بأن فى جسد كل إنسان أجهزة وآلات كثيرة هى كلها أمانات من الله أعطانا إياها لنعتنى بها.. فأنتِ مثلاً إذا أعطتك صديقتك لعبةً.. هل ستقومين بتكسيرها أم ستعتنين بها؟

فقالت ياسمين: بل سأعتنى بها وأحافظ عليها..

الطبيب: وكذلك هو الحال لجهازك الهضمى والعصبى والقلب والمعدة

والعينين والأذنين، كلها أجهزة ينبغى عليك الاهتمام بها وصيانتها من التلف.. والأدوية والمواد الكيميائية التى سنقوم بإعطائك إياها إنما لها هدفان.. الأول: تخفيف آلام المرض.. والثانى: المحافظة قدر الإمكان على أجهزتك الداخلية من التلف حتى عندما تلتقين بربك وخالقك تقولين له: لقد حافظت على الأمانات التى جعلتنى مسؤولة عنها.. ها أنا ذا أعيدها لك إلا ما تلف من غير قصدٍ منى.

فقالت ياسمين: إذا كان الأمر كذلك.. فأنا مستعدة لأخذ العلاج حتى لا أقف أمام الله كوقوفى أمام صديقتى إذا كسرت لعبها وحاجياتها..

ومضت الستة أشهر ثقيلة وحزينة بالنسبة لنا جميعًا كأسرةٍ، ستفقد ابنتها المدللة والمحبوبة.. وعكس ذلك كان بالنسبة لابنتى ياسمين، فكان كل يوم يمر يزيدها إشراقًا وجمالاً وقربًا من الله تعالى.. وقامت خلال هذه الفترة بحفظ سورٍ من القرآن.. وسألناها: لماذا تحفظين القرآن؟ قالت: علمت بأن الله يحب القرآن.. فأردت أن أقول له: يا ربِّ! حفظت بعض سور القرآن لأنك تحب من يحفظه.. وكانت كثيرة الصلاة والوقوف بين يدى الله تعالى..

وأحيانًا كثيرة تصلى على سريرها.. فسألتها عن ذلك فقالت: سمعت أن رسول الله ﷺ يقول: «**وجُعلت قرة عينى فى الصلاة**»[1] فأحببت أن تكون لى الصلاة قرة عينٍ.

وآخر ما فعلته أنها حفظت سورة ﴿يسٓ﴾... وكانت ترددها كى لا تنساها.. وما أجملها حين تسمعها تتغنى بها بصوت براءة الأطفال..

وحان يوم رحيلها.. وأشرق بالأنوار وجهها.. وامتلأت شفتاها بابتسامة واسعةٍ.. وأخذت تقرأ سورة ﴿يسٓ﴾ التى حفظتها.. وكانت تجد مشقةً فى قراءتها إلى أن ختمت السورة، ثم قرأت سورة «الفاتحة»، وسورة

(١) صحيح: رواه النسائى (٣٩٣٩) كتاب عشرة النساء، وأحمد (١١٨٨٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٨٠٩).

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم آية «الكرسى».. ثم قالت: الحمد لله العظيم الذى علمنى القرآن، وحفَّظنيه، وقوَّى جسمى للصلاة، وساعدنى وأنار حياتى بوالدين مسلمين أحبهما كثيرًا، يا ربٍّ أشكرك لأنك لم تجعلنى كافرةً أو عاصيةً أو تاركةً للصلاة..

ثم قالت: تنحَّ يا والدى قليلاً، فإن سقف الحجرة قد انشق وأرى أُناسًا مبتسمين لابسين البياض، وهم قادمون نحوى ويدعوننى لمشاركتهم فى التحليق معهم إلى الله تعالى..

وما لبثت أن أغمضت عيناها وهى مبتسمة، ورحلت إلى الله تعالى..

ثم أجهش الأب بالبكاء، وبكى بكاءً مريرًا، جعل كل من فى قاعة المقهى فى الفندق يلتفتون إلى الزاوية التى نحن فيها..

فقلت له: هوِّن عليك، فهى فى رحمة الله وكنفه ورعايته، فليرحمها الله، ويلهم قلوبكم الصبر على فراقها..

فقال: رحمة الله عليها، لقد كانت ابنة بارة مؤمنة قانتة، لم تترك صلاتها ولا قرآنها حتى آخر لحظات عمرها..

* * *

دموع الفراق

وحدثتك الليالى أن شيمتها
تفريقُ ما جمعته فاسمع الخبرا
وكن على حذرٍ منها فقد نصحت
وانظر إليها ترى الآيات والعِبرَا
فهل رأيت جديدًا لم يَعُد خَلَقًا
وهل سمعت بصفوٍ لم يعد كدرًا

تقول الزوجة الصابرة: أقبلت ابنتى الصغيرة بدور. يسبقها صوت كتغريد الطيور.. وما إن التفتُّ إليها، فإذا بها تجرى نحوى بسرعةٍ رافعةً يديها..

ضممتها بقوةٍ.. وتحسست أطراف أصابعها تخترق جسمى.. أغمضت عينى.. حمدت الله.. نِعمٌ كثيرة..

طفلة وسيمة المحيا.. تغمرها سعادة وارفة الظلال.. حين ضممتها إلى صدرى.. تذكرت تلك الأيام الخالية.. عندما كنت فى المرحلة الثانوية.. عندها تقدم عادل لخطبتى.. وبحكم القرابة وافق الأهل.. مع أنه كانت قلوب الكثيرات من الفتيات تتمناه.. لأنه جمع بين حسن الخلق والدين..

وبعد انتظارٍ طويل تم عقد الزواج بعد أن نلت شهادتى الجامعية.. بدأنا نفكر معًا فى المستقبل.. ونحن فى بداية الطريق.. والآمال كبيرة.. والطموحات كثيرة.. تم التعاقد معه للعمل فى إحدى الشركات..

سافر وحده.. وبقى فى غربته.. وأنا وحيدة فى غربتى.. وبعد عام ونصف من بعد المسافات ومن الشوق والحنين.. قدمت إليه وكلى خوف من الغربة الجديدة..

وخوف من الوحدة.. كيف سأعيش بعيدة عن أهلى وأقاربى..

ولكن تذكرت أن هنا زوجًا ينتظرنى.. ذا خلقٍ ودين ما حلمت به فى منامى ولا فى يقظتى لصفاتٍ وجدتها فيه.. حسن المعاشرة.. لين الجانب.. بشاشة الوجه.. صفاء النفس.. صدق الحديث.. منحنى من الحنان أوفره ومن العطف أكثره جمعت بيننا الغربة.. ونَمتَ فى قلوبنا المودة.. أشياؤه البسيطة.. أحببتها..

أحيانًا يطلب كأسًا من الماء أو الشاى.. يتبعه الثناء والشكر.. عجبت من أدبه وحسن تعامله..

قلت له مرة: لا تشكرنى على خدمتك.. هذا واجبى نحوك.. ولكنه كان يغمرنى بطيب أخلاقه..

حمدت الله وشكرته.. أن زوجى مسح عنى دموع الغربة، وعوضنى فَقْدَ من أحب من أهلى..

كان لى نعم الزوج والأب والأهل.. ومرت الأيام.. وأنا اليوم فى الشهور الأخيرة من حملى..

لم يرهقنى بطلبٍ.. ولم يأمرنى بما لا أستطيع..

بل كان يقدم لى سؤالاً قبل طلبه.. هل أنتِ مرهقة..؟ هل أنتِ متعبة؟

كان يشاركنى فرحه.. وحلمه.. ويقول: إن رزقنا الله طفلاً.. سنسميه بلالاً.. كان يحب بلالاً مؤذن رسول الله ﷺ.

تمر الأيام الأخيرة للحمل.. وأضع طفلة كالبدر.. أسميناها «بدور».. سألته يومًا وهو يداعبها.. هل أنت حزين؛ لأنها أتت بدور ولم يأت بلال..؟

فقال لى: إن هذا رزق الله ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ

الذُّكُورَ﴾(١). ومن رزقنا بدورًا.. يرزقنا بلالاً.. إن شاء الله.

الحمد لله.. ظِل السعادة يزيد.. وشجرة المحبة تكبر وتنمو.. ومن نعم الله علينا.. قدومنا إلى هذه البلاد.. حيث دروس العلماء.. والمحاضرات والندوات.. وحتى مجتمع المدرسة مجتمع تناصح وخير.. أهدتنى زميلة لى فى المدرسة.. شريط «أيتها المرأة الحجاب أو النار- لأحد العلماء...».

وبمجرد سماعى لهذا الشريط. هدانى الله لغطاء وجهى.. كان زوجى يفرح بسماع أذان الفجر.. يَهبُّ من فراشه مسرعًا.. يوقظنى.. ويخرج للصلاة.. وكانت وصيته لى وأنا ذاهبة للمدرسة - لأننى أعمل آنسةً فى إحدى المدارس الشرعية -: أنت مربية الأجيال.. عليك بالإخلاص..

واحذرى الغِيبة والنميمة.. إن كان فى حديثك خير فتحدثى، لا خير فى حديثٍ تندمين عليه يوم القيامة..

وكنا غالبًا فى ذهابنا وعودتنا.. نستمع إلى شريطٍ لأحد العلماء..

وهكذا مرت الأيام حلوة جميلة.. كهبات نسيم معطرةٍ..

وفى يوم مثل بقية الأيام.. ذهبت للمدرسة.. وعندما خرجت بعد صلاة الظهر من المدرسة.. رأيته على غير عادته.. لاحظت تعبه وإرهاقه.. قلت: ماذا بك..؟

قال: إننى مرهق وأحس بدوار فى رأسى.. وعندما وصلنا إلى المنزل.. جهزت له طعام الغداء..

لم يستطع أن يتحرك من سريره.. أطعمته بيدى.. كررت عليه السؤال.. ما بك؟! فقال: مرهق وأريد أن أستريح..

تركته نائمًا حتى موعد صلاة العصر.. أيقظته.. لكن لم يستطع أن يستيقظ اتصلت بالجيران.. ثم ذهبت معهم إلى المستشفى..

---

(١) سورة الشورى: الآية: (٩٤).

وهناك.. كانت بداية النهاية.. أتى الطبيب بخطوات سريعة.. وقال لى: حالة زوجك حرجة جدًّا، وهناك اشتباه فى وجود التهاب على قشرة المخ..

ثم فصل الأمر.. هناك نوعان.. نوع بسيط ونوع خطير..

تقبلت الخبر بثبات.. وما كنت أظن أنى كذلك..

وفى الساعة الواحدة والنصف ليلاً، وأنا أصلى وأدعو الله أن يشفيه.. ظل فى غيبوبة ثلاثة أيام متواصلة من ظهر يوم الأربعاء.. ومرورًا بيومى الخميس والجمعة..

وفى صباح يوم السبت.. تحسنت حالته وأفاق من غيبوبته وبدأ يعرف الزائرين شكلاً.. وعندما اقتربت منه.. قلت له: هل عرفتنى يا عادل؟

قال: لا.. فقلت له: أتعرف بدور؟

قال: هى ابنتى.. أردفت بسرعة.. فقلت: أنا أم بدور..

تبسم ضاحكًا وقال:.. أنت زوجتى!.. بكيت بكاءً مرًّا..

قبل ثلاثة أيام.. كيف كان حاله.. ذاكرته.. عقله.. سؤاله عنى.. واليوم تبدلت الأحوال.. لا يعرف حتى أحب الناس إليه.. لا يعرف زوجته ولا ابنته..!

طال بى التفكير.. ولم أنس ذكر الله.. ومن المسجد المجاور تنبهت على صوت الإمام يقرأ فى الصلاة. وكأنه يخاطبنى.. ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾(١).

وأنا أتابع الآيات تتابعت دموعى..وعلمت أننى من أصحاب هذه الآية.. ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾(٢).

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٥٣).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٥٥).

فقلت فى نفسى: نحن هنا فى غربةٍ.. وبفقد الزوج.. فى مصيبةٍ.. من يذهب بى إليه فى المستشفى.. من يأتى معى!.. إنها غربة بل هى أشد أنواع الغربة.. خاصة إذا كانت امرأة ضعيفة مثلى.. وحيدة فى بيتها.. لا أخ ولا أب.. ولا زوج..

وفى يوم الأحد كتمت حزنى.. ذهبت مع أحد أصدقائه وزوجته..

وحين وصلنا كانت سعادتى لا توصف.. وفرحى لا نهاية له..

عرفنى زوجى.. وعرف كل من ذهب إليه.. لكنه لا يستطيع تذكر الأسماء.. أما أنا زوجته وأم أبنائه.. عرفنى منذ أن رآني.. ونادانى باسمى.. وابتسم فى وجهى..

كأنى لم أذق طعم السعادة إلا اليوم.. وكأنى لم أسمع اسمى على لسانه إلا هذه المرة..

طلب منى أن يتوضأ للصلاة، ويصلى ما فاته من الصلوات فى الأيام الماضية.. هاجسه الأذان.. وحديثه الصلاة.. ومر هذا اليوم بسرعةٍ رهيبة.

وفى اليوم التالى كان يوم الاثنين.. نقلوه إلى غرفة بمفرده؛ لأن الفيروس انتشر فى جسمه وزادت حرارته.. كان هذا اليوم.. يومًا مشهودًا فى حياته..

كل يوم أزوره من الساعة الثالثة حتى الساعة الخامسة.. ومن الساعة السابعة وحتى التاسعة.. وأراد الله فى هذا اليوم أن أبقى معه من الثالثة وحتى التاسعة..

وأنا أضع له الكمادات الباردة على وجهه ويديه ورجليه.. ولكن حرارته فى ازدياد.. بدأت أقرأ القرآن بصوتٍ يسمعه..

وعندما توقفت برهة عن القراءة، لكى أضع الكمادات على قدميه.. قال لى: افتحى جهاز التسجيل على القرآن..

فرحت وقلت له: تريد أن تسمع القرآن يا عادل..

قال: .. طبعًا.. أكملت له التلاوة إلى أن أتى موعد الزيارة الثانية، وحضر بعض زملائه وأصدقائه.. ومنهم صديق له ملتزم يحبه ويوده..

تبسم زوجي عندما شاهده.. ومد يده نحوه ليسلم عليه..

ولكن كانت فرحتي أكبر، فمددت يدى بسرعةٍ.. وصافحت زوجي.. وكان آخر سلام ومصافحةٍ له..

بعدها ذهبت إلى منزلى فارغة القلب.. مهمومة النفس.. أغالب أحزانى.. كل شيءٍ أصبح بجانبى حزينًا.. وأسأل الله الثبات..

وفى صباح اليوم التالى.. بحثت عمن يذهب بى إلى المستشفى.. وتطوع أحد الجيران مع زوجته..

شعرت أن زوجي ربما حدث له شيء من أثر الحرارة المستمرة..

ونحن بجوار المستشفى قال لى جارنا: انتظرى سأذهب، وأسأل عن حالته ثم أعود مسرعًا.. رفعت طرفى إلى مكان غرفته.. أقلب الطرف.. فكان يعود كسيرًا..

طالت غيبة جارنا.. أو حسبت أن الأمر كان كذلك..

لم أستطع الصبر.. وعندما هممت بدخول المستشفى.. فإذا به قادم مطأطئ الرأس.. وقال لى بصوتٍ خافتٍ: رحمه الله تعالى.. اصبرى واحتسبى.. فإنه مع تباشير هذا الصباح.. والمؤذن يرفع صوته بالأذان.. الله أكبر.. الله أكبر، فتح زوجك عادل عينيه، وجلس نصف جلسةٍ على سريره.. ونظر بعينيه إلى السماء.. ثم رجع إلى الخلف وأغمض عينيه.. وصعدت روحه إلى بارئها..والمؤذن لم يفرغ بعد، مات على صوت طالما كان يحب سماعه.. بل كان يقول لى: إن رزقنى الله مولودًا سأسميه بلالاً.. حبًا فى الأذان.. وحبًا بمؤذن رسول الله ﷺ.

نعم.. كل إنسان مهما طالت حياته له نهاية.. وقد حانت نهايته.. فى هذا اليوم.. أصبح من أهل الدنيا، وأمسى من أهل الآخرة.

فقلت لجارنا والدموع تنسكب فياضة غزيرة: هل ذهبوا به من هنا..؟

قال: لا.. قلت: أرجوك أريد أن أراه.. وأصررت على ذلك.. ذهبنا نحن الثلاثة.. وأنا أردد: «إنا لله وإنا إليه راجعون»..

أسابق اللحظات.. واستحث الخُطى.. دخلت إلى غرفته.. فإذا به مُمدداً على السرير.. ومغطى برداءٍ.. تقدمت نحوه.. كشفت الغطاء عنه..

فإذا بوجهه تعلوه السكينة والبِشر.. لم أشعر إلا وأنا أُقبِّله على جبينه.. إلى جنة الخلد.. إلى الحور العين..

فسارعوا إلى إخراجى، ولسانى يردد: «إنا لله وإنا إليه راجعون»..

اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلفنى خيراً منها...

الصدمة قوية.. والفجيعة كبيرة.. ولكنى أحتسب مصيبتى عند الله تعالى..

دفنَّاه هنا حيث الأرض التى أحب..

بعدها جاءت المعزيات يواسيننى.. فالجميع هنا، وكل من عرفه بدأ يعدد محاسنه.. ومحافظته على الصلاة..

حمدت الله تعالى على هذه الخاتمة الطيبة.. ثم تفكرت فى حال الدنيا.. إن أعطت أخذت.. وإن أفرحت أبكت.. وإن أسرَّت أحزنت..

ساعات قليلة.. بين فرحى وحزنى.. بين ابتسامتى ودمعتى.. اليوم انقلبت إلى غربتى..وعادت إلىَّ وحدتى.. فقدت عادل.. ولكن بقى ربٌّ عادل.. لن يضيعنى أنا وبدور.. وهو أرحم الراحمين..

* * *

ماتت فى ليلة الزفاف

هذه القصة هى كما قال ناشرها حقيقية وواقعية، وليست ضربًا من الخيال.. خططتها لكم كى يتعظ بها من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.. كى يأخذ العاقل منها الفائدة، ويتعلم من صاحبتها العظة.. فصاحبة قصتنا هذه فتاة مسلمة صادقة مع الله تعالى..وإليك قصتها باختصار..

حفل الزفاف.. الليلة موعد زفاف العروس.. كل الترتيبات اتُّخذت.. الكل كان مهتمًّا بها..

أمها وأخواتها وجميع أقاربها.. الجميع ينتظرون الكوافيرة، والتى ستأتى بعد صلاة العصر؛ لتجهيز العروس لحفل زفافها.. تأخرت الكوافيرة ومضى الوقت مسرعًا.. ثم وصلت وبدأت عملها.. حتى اقترب موعد أذان المغرب..

طلبت العروس من الكوافيرة أن تعجل فى عملها قبل أن يؤذن المغرب.. فهى لم تتعود منذ صغرها أن تؤخر الصلاة عن وقتها..

وتمضى اللحظات.. وفجأة انطلق صوت الحق قائلاً: الله أكبر.. الله أكبر.. إنه أذان المغرب.. والعروس بدت مرتبكة ومهمومة بل حزينة تريد أن تصلى.. فقالت للكوافيرة: أرجوك بسرعة.. فوقت المغرب قصير، وكانت الكوافيرة ترد عليها وتقول: إننا نحتاج لبعض الوقت، اصبرى قليلاً وأنت الليلة عروس وماذا لو أنك تأخرت قليلاً.. ومضى الوقت وكاد وقت المغرب أن ينتهى.. والعروس تصر على الصلاة.. والجميع يحاول أن يثنيها عن الصلاة إلى أن تنتهى الكوافيرة من عملها.. قائلين لها: إذا توضأت ستهدمين كل ما عملناه منذ ساعات.. وكانت الفتاوى فى تأخير المغرب

تأتيها من هنا وهناك، فـتارة يقلن لها: اجمعى المغـرب مع العشاء.. وتارة تيممى.. ولكن العروس المؤمنة، أصرت فى هذه المرة على موقفها..

وعـقـدت العزم وتوكـلت على الله وألقت بأقـوالهم وفـتـاويهم خلف ظهرها.. فما عند الله خير وأبقى.

وقامت العروس المؤمنة بـشموخ المسلم الصادق فتـوضأت.. ثم فرشت سجادتها لتبدأ الصلاة.. وظهر عليها، وهى قائمة بين يدى الله من السعادة أضعاف مـا كانت عليه من السعادة حـين كانت تُجهَّز لتُـزف إلى زوجها.. وارتسمت على هيئتها الراحة والطمأنينة..

الله أكبـر.. نعم، الله أكبر من كـل شىء.. ومن كل أمر.. وها هى العروس وصلت للركـعة الثالثة عند التـشهد الأخير مـن صلاتها.. والأهل يرمقونها بنظراتهم الغريبة، وينتظرون فراغها من الصلاة بلهفة شديدة.. كى تعود إلى ما كانت عليه..

وما إن سلمت عن يمينها، ثم سلمت عن يسـارها حتى أسلمت روحها إلى بارئها.. ورحلت عن هذه الدنيا طائعة لربها عـاصية لشيطانها.. نسأله تعالى أن تكون ممن زُفَّت إلى جنات الخلد فى دار النعيم المقيم التى لا يُكدَّر ساكنها ولا يشقى..

* * *

فى أعلى الجنة

قالت صديقتها والدمع فى عينيها، وغصة فى حلقها تدفعها حينًا وتغلبها أحيانًا أخرى. . لقد سكن حبها فى قلبى منذ أن رأيتها. .

ابتسامتها العذبة. . كلماتها الرقيقة. . نور الإيمان الذى يشع من وجهها. . صفاؤها. . نقاؤها. . كل شىءٍ فيها جعلنى أتخذها الصديقة والحبيبة. .

إليها أبث أحزانى فتعزينى. . أشكو لها ضعف إيمانى فتعظنى وتُذكرنى. .

أتأملها كثيرًا وهى تردد آيات القرآن الكريم التى كانت تحفظها، فأشعر بنقصى وضعفى. . الكل يستمع إليها، والكل يحبها. . لقد كانت مشعل هداية للجميع.

أعرضت عن الدنيا. . لم تشغلها فتن هذا الزمان. . وكأنها من أهل الآخرة. .

الموضات. . الصرعات. . الموديلات الحديثة. . لا تعنى لها شيئًا أبدًا. .

بسيطة فى ملبسها. . فى مأكلها ومشربها. . حديثها ذكر الله وقراءة للقرآن. . وأمر بالمعروف. . أو نهى عن المنكر. . تأنس بحديثها النفوس. .

وفجأة هجم عليها مرض خطير. . وتمكن من جسدها. . وانتشر فى خلاياها. .

صارحها الجميع. . إنه مرض السرطان. . وصدق رسول الله ﷺ يوم قال: **«أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل، يُبتلى الناس على قدر**

دينهم، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى فى الناس وما عليه خطيئة»(١).

وكيف لا فإن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السُّخط. .

ألم يخبرنا نبينا ﷺ فقال: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة»(٢) اللهم إنى أعوذ بك من جَهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.

وهكذا بدأت حالة صديقتى الحافظة لكتاب الله تسوء شيئًا فشيئًا. . لكن هذا الداء لم يصل إلى قلبها. . ولم يحطمه. . فظل قلبها قويًا بالإيمان. . صابرًا محتسبًا. . راضيًا بقضاء الله وقدره. . لم يتوقف لسانها عن ذكر الله. . وهى تردد آيات القرآن الكريم. . لتجد سلوانها وعزاءها فيها. . وكيف لا، وهو كلام رب العالمين. .

وحانت اللحظة الحاسمة. . وجاءت سكرة الموت. . جاءت غُصصه. . وآلامه. . فصارت تردد بضع كلماتٍ لم يفهمها من كان حولها، لقد كانت تقول وهى تبتسم، وقد أشرق وجهها كأنه ورقة مصحفٍ. . لا. . أريد درجة أعلى. . لا. . أريد درجة أعلى. .

تعجب أهلها من قولها.. فقالوا: إنها الحُمَّى. . إنها سكرات الموت. . لابد، وأنها تهذى. . ظلت صديقتى المؤمنة الصابرة تردد. . لا. . أريد درجة أعلى. . وأخيرًا ابتسمت ابتسامة عريضة. . وسكن بعدها كل شىءٍ فى جسدها. . لقد صعدت روحها إلى خالقها. . لقد ماتت بعد أن اختارت درجتها فى الجنة. .

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٨) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٠٢٣) كتاب الزهد، وأحمد (١٤٨٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب (٣٤٠٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٩) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٨٠).

أسأل الله تعالى أن يجعلها من أصحاب الفردوس الأعلى..

لقد ماتت حافظة القرآن.. الداعية إلى الإيمان.. الحريصة على الصلاة.. المواظبة على الطاعات.. لم تُغرها الدنيا بشهواتها وملذاتها.. حفظها الله تعالى بحفظها للقرآن الكريم.. وبما فيه من أوامر ونواهٍ..

أيها الأحبة الكرام بين سماعي لهذه القصة وكتابتها ساعات قليلة.. وهي قصة من الواقع ذكرها الشيخ «علي باقيس». فنسأله تعالى أن يرحم هذه الفتاة.. وأن يحسن ختامنا وختام المسلمين.. آمين.

* * *

ورحلت نورا

تقول: بدت أختى شاحبة الوجه نحيلة الجسم.. لكنها كعادتها تقرأ القرآن الكريم.. إذا بحثت عنها وجدتها فى مُصلاها راكعة ساجدةً رافعة يديها إلى السماء.. هكذا فى الصباح وفى المساء وفى جوف الليل لا تفتر ولا تمل..

أما أنا فلقد كنت أحرص على قراءة المجلات الفنية والكتب ذات الطابع القصصى.. وأشاهد الفيديو بكثرة لدرجة أنى عُرفت به.. ومَن أكثر من شىء عُرف به.. فأنا لا أؤدى واجباتى كاملة، ولست منضبطة فى صلواتى..

وفى ليلةٍ من الليالى وبعد أن أغلقت جهاز الفيديو وقد شاهدت أفلامًا منوعةً لمدة ثلاث ساعات متواصلةٍ.. ها هو ذا الأذان يرتفع من المسجد المجاور..

فعدت إلى فراشى.. فنادتنى أختى نورا من مصلاها.. قلت لها: نعم ماذا تريدين يا نورا؟

قالت لى بنبرةٍ حادة: لا تنامى قبل أن تصلى الفجر..

فقلت: أوووه.. بقِى ساعة على صلاة الفجر، وما سمعتيه كان هو الأذان الأول..

فأجابتنى بنبرتها الحنونة -وهكذا كانت هى حتى قبل أن يصيبها المرض الشديد وتسقط طريحة الفراش-: تعالى يا هناء إلى جانبى..

وأنا لا أستطيع إطلاقًا رد طلبها.. فأنت تشعر بصفائها وصدقها..

فقلت لها: نعم ماذا تريدين؟

فقالت لى: اجلسى..

فقلت: ها قد جلست ماذا تريدين؟

فقالت مُرددة بصوت عذب: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[1]. ثم سكتت برهةً.. ثم سألتنى: ألم تؤمنى بالموت؟

فقلت: بلى إننى مؤمنة به..

قالت: ألم تؤمنى بأنك ستحاسَبين على كل صغيرةٍ وكبيرةٍ؟

فقلت: بلى.. لكن الله غفور رحيم.. والعمر طويل..

قالت: يا أختى ألا تخافين من الموت وبغتته؟ انظرى هندًا هى أصغر منك وتوفيت فى حادث سيارة.. وفلانة.. وفلانة.. وفلانة.. الموت يا أختى لا يعرف العمر وليس مقياسًا له..

أجبتها بصوت خائف حيث مصلاها المظلم: إننى أخاف من الظلام وأخافتنى من الموت.. كيفَ أنام الآن؟ كنت أظن أنك وافقتى على السفر معنا هذه الأجازة.

فجأة.. تحشرج صوتها واهتز قلبى لذلك..

فقالت: لعلى هذه السنة أسافر سفرًا بعيدًا.. إلى مكان آخر.. ربما يا هناء فالأعمار بيد الله تعالى.. وانفجرت بالبكاء..

تفكرت فى مرضها الشديد، وأن الأطباء أخبروا أبى سرًّا أن المرض ربما لن يمهلها طويلاً.. ولكن من أخبرها بذلك.. أم أنها تتوقع هذا الشىء؟

قلت لها: نورا.. ما لكِ؟ بِمَ تفكرين؟

فجاءنى صوتها القوى هذه المرة: هل تعتقدين أنى أقول هذا؛ لأنى مريضة؟ كلا.. ربما أكون أطول عمرًا من الأصحاء.. وأنت إلى متى ستعيشين؟ ربما عشرين سنة.. ربما أربعين.. ثم ماذا؟

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

لمعت يدها في الظلام وهزتها بقوة.. قائلة: لا فرق بيننا، كلنا سنرحل وسنغادر هذه الدنيا إما إلى الجنة أو إلى النار.. تصبحين على خيرٍ يا هناء..

هرولت مسرعةً وصوتها يطرق أذنى، هداك الله.. لا تنسِ الصلاة..

وفى الثامنة صباحًا أسمع طرقًا على الباب.. هذا ليس موعد استيقاظى.. بكاء.. وأصوات.. ماذا جرى؟

لقد تردَّت حالة أختى نورًا.. وذهب بها أبى إلى المستشفى.. إنا لله وإنا إليه راجعون.. لا سفر هذه السنة، مكتوب علىَّ البقاء هذه السنة فى بيتنا..

وبعد انتظار طويل.. بعد الواحدة ظهرًا، هاتَفنا أبى من المستشفى قائلاً.. تستطيعون زيارتها الآن.. هيا بسرعةٍ.. أخبرتنى أمى أن حديث أبى غير مطمئن وأن صوته متغير.. ركبنا فى السيارة.. أمى بجوارى تدعو لها.. إنها بحقٍّ بنت صالحة ومطيعة.. لم أرها تضيع وقتًا أبدًا.. دخلنا من الباب الخارجى للمستشفى وصعدنا درجات السلم بسرعةٍ...

قالت الممرضة: إنها فى غرفة العناية المركزة وسآخذكم إليها، إنها بنت طيبة، وطمأنت أمى أنها فى تحسن بعد الغيبوبة التى حصلت لها.. وقالت لنا: ممنوع الدخول لأكثر من شخصٍ واحدٍ... هذه غرفة العناية المركزة.

وفى وسط زحام الأطباء وعبر النافذة الصغيرة التى فى باب الغرفة رأيت عينى أختى نورا تنظر إلىَّ، وأمى واقفة بجوارها، بعد دقيقتين خرجت أمى التى لم تستطع إخفاء دمعتها.

سمحوا لى بالدخول والسلام عليها بشرط أن لا أتحدث معها كثيرًا..

فقلت لها: كيف حالك يا نورا؟ لقد كنتِ بخيرٍ البارحة.. ماذا جرى لك؟

أجابتنى بعد أن ضغطت على يدى قائلة: وأنا الآن والحمد لله بخير..

فجلست بجانبها على حافة السرير فلامست يدى ساقها.. فإذا بها تُبعده عنى.. قلت لها: أنا آسفة إذ ضايقتك.. قالت: كلا؛ ولكنى تفكرت فى قول الله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[1]. أوصيك يا هناء بالدعاء لى فربما أستقبل عما قريب أول أيام الآخرة.. سفرى بعيد وزادى قليل.. سقطت دمعة من عينى بعد أن سمعت ما قالت وبكيت.. لم أنتبه أين أنا.. استمرت عيناى فى البكاء.. أصبح أبى خائفًا علىَّ أكثر من نورا.. لم نتعود مثل هذا البكاء من قبل..

ومع غروب شمس ذلك اليوم الحزين.. ساد صمت طويل فى بيتنا.. دخلت علينا ابنة خالتى.. وابنة عمتى.. أحداث سريعة.. كثر القادمون.. واختلطت الأصوات.. شىء واحد عرفته.. نورا ماتت.

لم أعد أميز من جاء.. ولا أعرف ماذا قالوا.. يا الله.. أين أنا؟ وماذا يجرى؟ عجزت حتى عن البكاء.. تذكرت مَن قاسمتنى رحم أمى، فنحن توأمان.. تذكرت من شاركتنى همومى.. تذكرت من نفَّست عنى كربتى.. من دعت لى بالهداية.. من ذرفت دموعها ليالى طويلة وهى تحدثنى عن الموت والحساب.

الله المستعان.. هذه أول ليلة لها فى قبرها.. اللهم ارحمها ونورٍ لها قبرها.. هذا هو مصلاها.. وهذا هو مصحفها.. وهذه هى سجادتها.. وهذا.. وهذا.. بل هذا هو فستانها الوردى الذى قالت لى سأخبئه لزواجى.. تذكرتها وبكيت على أيامى الضائعة.. بكيت بكاءً متواصلاً ودعوت الله أن يتوب علىَّ ويعفو عنى.. دعوت الله أن يثبتها فى قبرها كما كانت تحب دائمًا أن تدعو هى، رحمها الله تعالى.

* * *

(١) سورة القيامة: الآيتان: (٢٩، ٣٠).

ومسك الختام أمي الحبيبة [١]
(رحمة الله عليها)

كانت أمى (رحـمة الله عليـها) عـابدة زاهدة لا تطمع فى أى شىء من حطام الدنيا الفـانية. . . كنت إذا رأيتـها تذكرت قـول الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ [٢]. . كـانت تصلى قيـام الليل على الرغم من شدة مرضها، وكانت تحب الخير لكل من حولها، وكان لسانها لا يفتر عن ذكر الله.

مات أبوها وهى فى بطن أمـها، وماتت أمهـا بعد ولادتها بشـهرٍ واحد فتجرعت غُصص اليُتم، وذاقت من العذاب ألوانًا، ولم يكن لها أخ أو أخت فعاشت كل أنواع الغربة.

وعلى الرغم من ذلك كـان لسانها لا يفـتر عن كلمة «الحـمد لله. . .» وكانت تدعو دائمًا ألا تطول عليها السكرات، فلما جاء اليوم الموعود سمعت أذان العصر، فقامـت لتتوضأ فما غسلت إلا كفـها ووجهها، فقالت لها ابنة أختى: «يا ستى أنت ما توضأتى» فقالت لها أمى: «والله يا ابنتى ما تركونى حتى وضـؤونى» فتـعجـبت ابنة أختى!! وقامـت أمى لتصلى العـصر وهى جالسـة -لشدة مرضـها- ثم لما أرادت أن تكبـر مرة أخرى، قـالت لها ابنة أختى: «يا ستى ليس هناك صلاة بعد العـصر». فقالت لها أمى: «بل هناك صلوات كـثيـرة بس يا ريت الوقت يسـمح» ودخلت فى الصـلاة وجاءتهـا السكرات ومـاتت وهى تصلى وكنا نلقنهـا كلمـة: «لا إله إلا الله» فكانت تقولها وظلت ترددها حتى ماتت.

---

(١) أى: أمى أنا (محمود المصرى).

(٢) سورة الفرقان: الآية: (٦٣).

وإذا بالمفاجأة السعيدة: فعلى الرغم من كبر سنها إلا أن وجهها عاد ناصعًا وكأنها ابنة عشرين سنة، وإذا بالوجه تعلوه ابتسامة جميلة وكأنها ترى الجنة فى تلك اللحظة. وإذا بالبشائر العظيمة -التى لا أستطيع أن أذكرها- تخبر بها الأخت التى قامت بتغسيلها... وإذا بالصالحين يجمعهم الله على غير موعد ويمتلئ المسجد للصلاة عليها، وذهبنا إلى القبر ونزلت لأدفن حبيبتى - التى نزف قلبى بموتها الدماء بدل الدموع - وإذا برائحة جميلة تصدر من قبرها.

وتتوالى البشريات العظيمة، فيعلم العلماء والدعاة فى مصر بخبر موت أمى فيدعون لها فى صلاة الجمعة. فكان هؤلاء الأفاضل يدعون لها وآلاف البشر يؤمِّنون على دعائهم... فرأيتها فى المنام فى تلك الليلة وهى تقول: جزاك الله يا بنى خير الجزاء على كل الخير الذى وصلنى.

فأسأل الله أن يرحم أمى رحمة واسعة -وكل موتى المسلمين- وأن يجمعنى بها فى جنته ومستقر رحمته.

وأسأل الله - جل وعلا - أن يرزقنى وإياكم حسن الخاتمة، وأن يجمعنا جميعًا فى جنته إخوانًا على سُررٍ متقابلين.

وأُشهد الله - عز وجل - على أنى أحبكم جميعًا فى الله... فمن أحبنى، فليدعُ لأمى بالمغفرة والرحمة، وبأن يجعل الله قبرها روضة من رياض الجنة.

* * *

دعوة مستجابة

أخى الحبيب.... أختى الفاضلة:

أضع بين أيديكم هذا الكتيب المتواضع سائلاً ربى - عز وجل - أن ينفع به المسلمين فى كل زمان ومكان، وأن يجعله فى ميزان حسنات أبى وأمى.

فما كان فى هذا الكتيب من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من سهو أو خطإٍ أو نسيان فمنى ومن الشيطان. . والله ورسوله ﷺ منه براء وأعوذ بالله أن أُذكركم به وأنساه.

فمن استفاد فائدة من هذا الكتيب فلا يبخل علىَّ بدعوة لعل الله أن يتجاوز عنى وعنكم، وأن يجمعنا جميعًا فى جنته إخوانًا على سُرٍر متقابلين.

* **روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «من دعا لأخيه بظهر الغيب، قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثله»**[1].

* جزى الله خيراً كل من قرأ هذا الكتاب، وتعلم منه شيئًا وعلَّمه لمن حوله.

* كما أنصح إخوانى وأخواتى بقراءة هذا الكتاب على المسلمين فى المساجد والبيوت ومجالس العلم؛ لتعم الفائدة وتموت البدع وتحيا السنن وتعود الأمة مرة أخرى خير أمة أُخرجت للناس.

* سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. . . . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء.

الفهرس

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

* * *